

المجلد الثالث

الجزء الأول

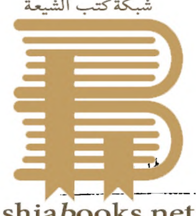
(١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد





١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م



الجزء الأول



الحرية والسلام والحكم فى الاسلام

الاسلام منهج من مناهج الحياة الرصينة القويمة في المجتمع الانساني ، وثقافة صحيحة عالية اجتماعية وليس هو مجرد عبارات مرسومة ، وأدعية مأثورة ، وأوراد معلومة ، كما قد يظنه بعض الناس بل هو أسلوب اجتماعي محكم مبني على فلسفة عميقة لا تقبل الطعن ، وقضايا مسلم بها لا تتعرض للجدل والانكار ، قررت حقوق الانسان وكرامته قبل أن تقررها الدساتير الحديثة والمبادىء الجديدة والمؤتمرات العديدة ، ووضعت قواعد الحكم الصحيح والعلاقات بين الأمم والشعوب ، وأصلت أصولاً قيمة في الاقتصاد والاجتماع وسائر نواحي الحياة وقد تخلف الباحثون والمحاضرون في مجتمعنا عن أن يبسطوا للناس هذا المنهاج القويم وما تضمنه من القواعد الاجتماعية المنطقية ، مع أن كثيراً منهم مندفع في بحث المناهج الاجتماعية الأخرى بحماسة زائدة ، فمثلهم كمثل من يخفي عن الأبصار ما في حقيبته ومتناول يديه من درر وضاءة تهدي السبيل ، ويستضيء بأشعة خافتة يبذل الجهد لأن يجليها بمجهر حماسته ، ولكنها تخبو كلما ازداد حماسة لها

وقد دفعني حب البحث وعرض الحقائق على ذوي البصائر ، أن أعرض بايجاز أربع مسائل اجتماعية أبحثها باختصار ، في ضوء مشكاة الاسلام وسراجه الوهاج ، وهي :

(١) الحكم في الاسلام شعبي شوري

(٢) التطور والتجدد في التشريع الاسلامي حقيقة واقعة

(٣) في الاسلام الحرية ، فلا استعباد فيه ، ولا استرقاق

(٤) الاسلام يدعو الى السلام بين الأمم والأفراد

وقد قصرت الاستدلال فيما أقول على نصوص القرآن الكريم ، ولم أحرج إلى غيره من الأحاديث الصحيحة والقواعد الفقهية الا قليلا وقبل الدخول في البحث أقول :

إن هذا البشر المنتشر على وجه البسيطة ، المتصل بعضه ببعض بأواصر النسب والشبه في الخلقة والطباع والنزاع ، يؤلف قبائل وأمماً ودولاً متجاورة أو متباعدة ، يدعو اشتراكها في الانسانية الى أن تتعاون وتتقارب وتعمل في سبيل خيرها ، وأن يرشد عالمها جاهلها ، ويرحم قويها ضعيفها ، لا أن تتناكر وتتخاذل وتتباعد ، ويتعالى بعضها على بعض ، ويغتصب بعضها أرض بعض ، ويستبيح خيراته ونعمه ، ويستولي على موارد رزقه ظلماً وعدواناً (يا أيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل ، لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب) ، كما أن هذا الاشتراك في الأخوة الانسانية يدعوها الى أن يسود السلام بينها ، ليتيسر لها التعاون والتعارف بينها ، فيهتدي بعضها ببعض ، ويقتبس بعضها من بعض ما يفيدها ويبعث بها الى الحياة الهنيئة ورغد العيش ، فتأخذ الانسانية مكانتها في هذه الأرض التي ملأها الله تعالى خيراً وبركة ، وأن يجري في نظام الحكم فيها على طرائق صحيحة متشابهة أو متقاربة ، فان التباين في نظام الحكم من أهم دواعي التشتت والاضطراب والاختلاف بينها ، مما يدعو الى ما تجرعته البشرية من آلام وشقاء وفقر وفوضى عصوراً ، أكلتها فيها حروب فظيعة ، وهي تسكن كوكباً خزن الله فيه كل أسباب الهناء والسعادة ، يتكفل بالعيش الهني لساكنيه كافة

جاء الاسلام وهذه الأمور المهمة المؤثرة في حياة الانسان نصب عينه ، فأعرب القرآن عن الخطة الواجبة الاتباع فيها بايجاز في القول ، مراعياً الوضع الراهن ، متمشياً على طريقة التدرج والتجدد وإصابة الهدف الذي يرمي اليه من وجهة قد تكون بعضاً غير منظورة للمخاطب أو غير محسة منه ، توصلاً الى الغاية التي يجري اليها ، والحقيقة التي يهدف اليها .

(١) الحكم في الاسلام شعبي شوري

ظهر الاسلام في أرض لا يجمع أهلها نظام حكم ، لا دستور فيها يقرر الحقوق الطبيعية الأساسية للناس ، ولا قانون يجمع أحكام المعاملات والادارة ، فكان الأمر فيها فوضى من كل الوجوه . ولكن الاسلام ما لبث أن قرر في قرآنه العظيم أهم الأسس في هذه الأمور الثلاثة.

التي تتصل بالحكم اتصالاً وثيقاً ، وترك الخطة التفصيلية الى رأي الأمة ، واجتهاد ذوي الاختصاص من العلماء

فقرر حرية الرأي والاعتقاد ، فقال : (لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي)

وقرر كرامة الانسان وحرمته ، فقال : (ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات) .

وقرر المساواة بين الناس ، فقال : (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل ، لتعارفوا) ، وقال : (إنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً) ، وقال الحديث الصحيح : (الناس سواسية كأسنان المشط) ، وقال : (كلكم من آدم ، وآدم من تراب) .

وقرر حرية التجارة ، فقال : (فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه)

وقرر منع المنكرات والعمل بالصالحات ، فقال : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر) ، وقال : (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) ، وقال : (والله لا يحب الفساد)

ووضع دستوراً عاماً في الحكم الشعبي الديمقراطي بأوجز تعبير ، وأوسع معنى ، فقال : (وأمرهم شورى بينهم) ، فترك وجوه الأمر الى الشورى ولا يخفى ما تتضمنه هذه القاعدة : (وأمرهم شورى بينهم) من الاعتراف بالمساواة بين المؤمنين والحرية في إبداء آرائهم ، وأن الأمة هي التي تحكم نفسها بنفسها ، وأن الشعب هو الأول والآخر في الحكم

وعلى هذا جرى المسلمون في أول حالهم ، فقد سلكوا في الحكم طريقة الانتخاب ، وطريقة التشاور بين أهل الحل والعقد في أمور الدولة وما تستوجبه الحالة الراهنة وهو أشبه بما يجري في مجالس الأمة التي تقدم اليها حكوماتها ما تراه واجب الاقرار من الأمة ، فيوضع فيها موضع البحث

وأسس للمرأة حقوقاً في الحكم ، إذ لم يفرق بين المرأة والرجل في سائر الأحكام

ومنح النساء حق المبايعة كالرجال ، فقد جاء في القرآن : (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك ... فبايعهن) ، فكان الرسول يبايع النساء كما يبايع الرجال

وقرر القرآن أيضاً أسس الأحوال الشخصية : من إرث ، ووصية ، ونكاح ، وطلاق ، ونسب على أصح القواعد وأسلمها

ووضع أهم قواعد المعاملات ، فقال : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) ، وقال : (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل)

ثم ترك التفصيل الى اجتهاد ذوي الرأي ، فنرى من كل ذلك أن الاسلام ساير في الحكم النظام الشعبي الدمقراطي ، والقواعد المدعمة بالأدلة الواضحة ، فهو في نظام حكمه لم يتأخر عن قبول أرقى الأساليب والخطط ، ولا ينبذ ما تنتهي اليه الشورى

(٢) التجدد والتطور في التشريع الاسلامي حقيقة واقعة

الشريعة الاسلامية شريعة مرنة ، متحركة غير جامدة ، تقبل التطور والتجدد بحسب مقتضيات العصر وحاجاته ، وبحسب ما عليه الحوادث ورسمه الأيام ، وبحسب مقتضيات البيئات وتطور المجتمعات ولهذا كانت شريعة عامة مع اختلاف الأزمان والأمكنة

وقد ذم القرآن الجمود على المألوف من القديم ، والعكوف عليه ولو كان الجديد أهدى وأجدى قال القرآن : (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلاّ قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون قل : أوَ لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟) ، وقال في معرض الذم : (بل قالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مهتدون) ، ومثل هذا في القرآن كثير

وقد تقرر في القواعد الفقهية المعتبرة أنه « لاينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان »

فالأحكام في الوقائع المتشابهة ، قد تختلف باختلاف أزمان وقوعها ، لاختلاف العادة والعرف كما أن الشريعة الاسلامية ، قد جعلت العادة حكماً في حسم القضايا ، فما تقرره العادة من الحكم فهو الحكم وقد جاء في القواعد الفقهية المعتبرة « العادة محكمة » ومما لاشك فيه أن العادات متطورات متغيرات

ومما هو ظاهر ومعروف أن الشرع الاسلامي جعل الاجماع حجة من الحجج في الأحكام ، فما يجمع عليه المجتهدون من الأمور ، فهو واجب الاتباع ولا ريب أن الاجماع قد ينعقد على شيء جديد لم يكن معروفاً في الماضي ، ولا ريب أيضاً أن أول ما ينظر اليه المجمعون في إجماعهم هو ما تتطلبه حاجة الأمة وقت الاجماع ، ليستجيب اليها ، وهذا يختلف باختلاف الدوافع

والأسباب والحوادث واختلاف الأزمان وتعاقب الأيام كما أن الاسلام قد قبل اعتبار « المصالح المرسلة » ، وبعبارة أخرى « المصالح العامة » ، مداراً للأحكام ومرجعاً لتقريرها ، والمصالح العامة متطورة متجددة بحسب تطور المجتمع المنبعث من دوافع جلية أو خفية

وقبل الاسلام أيضاً العمل بالاستحسان ، ولا شك أن للاستحسان أثراً بليغاً في تطور الأحكام باختلاف الأزمنة والأمكنة

وفوق هذا كله ، فتح الاسلام باب الاجتهاد في التشريع على مصراعيه ، وهذا الباب واسع جداً يجرف كل عتبة تقف أمام التقدم والتطور عند سير الأمم في طريق حياتها

واذا رجعنا الى الأمر الواقع في هذا الشأن ، نجد أن التشريع الاسلامي قد تطور فعلا ، بسبب هذه الأصول المهمة المقبولة فيه تطور في أحكامه بحسب البيئات ، واختلاف العادات ، واختلاف الاجتهاد وتطور في طريقة تدوينه وتبويبه وتطور في طريقة تدريسه ولم يزل في تطور مستمر ، وإن وقف به الواقفون الذين لم يبصروا ما يجري في عالم التشريع في الكون ، وما أستجد من الأمور في المعاش وسائر مقتضيات الحياة

ومن درس تأريخ التشريع الاسلامي ، يجد التطور السريع أو البطيء بارزاً فيه بكل وضوح شأن الأمور الاسلامية الأخرى : من أدب ، وتأريخ ، ولغة وهذا التطور في التشريع والأدب والتأريخ واللغة ما هو إلا دليل الحيوية ونتيجة طبيعية لاختلاط شعوب مختلفة في بيئاتها وأجناسها وطباعها وعاداتها ، وانبعاثها في صعيد واحد ، وامتزاجها أمة واحدة تجري على قواعد وأسس مرنة متحركة غير جامدة

وما اختلاف المذاهب الفقهية الاسلامية في كثير من الأحكام الفرعية الا أحد الأدلة على المرونة وعدم الجمود في الاسلام

وما تلون الأدب باختلاف العصور ، وتغاير البيئات ، الا أثر من آثار هذا الاختلاف والامتزاج بين أمم وشعوب يمتاز بعضها عن بعض في الطباع والذوق والشعور

قارن بين التشريع في مبدأ العصر الاسلامي الأول والعصر الثاني ، ثم قارن بين العصور السبعة الأولى والعصور التي بعدها الى العصر الحاضر ، ثم قارن بين العصر الحاضر وتلك العصور

الغابرة ، يجد الفروق والتطورات في الأحكام وفي الطرائق والأساليب واضحة جلية وقارن بين الأدب الاسلامي العربي مثلاً في العصر الأول من الاسلام وما بعده من العصور الى عصرنا الحاضر ، يظهر الاختلاف والتلون مكشوفاً واضحاً والتطور بارزاً

كل هذا يشعر بأن الاسلام يقبل التجدد والتطور في تشريعه وأدبه ، وأن هـذا هو الواقع فعلا ، وأن الجمود لا يركن اليه الاسلام ، ولا يقبله ، بل يذمه وينبذه

على أني أقرر أن في الاسلام قواعد معينة في العقيدة والتشريع أصيلة ثابتة ، لا يجوز التغيير والتبديل فيها مهما تبدلت الظروف وتغيرت الأحوال واختلف الأزمنة والأمكنة ؛ لأن الاسلام اعتبرهـا من الأمور الطبيعية الراسخة التي يمنع العقل ثبوت خلافها مطلقاً (كالتوحيد) ، أو تأبى المصلحة العامة تبديلها أو تغييرها كحرمة الربا

ولا يتسع المجال للتفصيل والاطناب في هذا الموضوع بأكثر ممـا أشرت اليه وما أجملته ويكفي للاستعانة فيه الرجوع الى الأسلوب الذي درج عليه الحكم في عصر الراشدين

(٣) لا رق ولا استعباد في الاسلام ، بل الحرية والاطلاق والكرامة للانسان

الاسـتعباد هو أن تطلب جعل الغير رهن ارادتك ، خاضعاً لحكمك ، مستسلماً في شؤونه وما يملك لأمرك ونهيك وهو نوعان : استعباد الأفراد ، واستعباد الشعوب ويسمى الأول (الاسـترقاق) ، أي جعل الانسان رقيقاً لغيره ، أي ضعيفاً لغيره عبداً مملوكا لا يقدر على شيء من التصرفات الا بأمر سـيده وإذنه ، لا يملك مالاً ولا ولداً ، بل العبد وما ملك وما أنتج لسيده فهو لا يفرق عن بقرة حلوب تثير أرض مالكها ، وتسقي حرثه ، وتدر له اللبن ، بل هو كسائر السوائم الأخرى ، يستغلها ملاكها ، ويستبدون بالانتفاع بها فالرقيق محروم الارادة مثلها ، عليه السمع والطاعة رضاءً أو كرهاً ، لا يملك أمراً ولا نهياً

وأما استعباد الشعوب ، فهو سيطرة شعب على شعب آخر ، وتقييده حريتـه في تصرفه في نفسه وأرضه ووسائل اقتصاده ، طمعاً في ثروته ، واستخداماً لقواه في مصلحته .

وهذا النوع من الاستعباد أشد خطراً من الأول ، وأفظع وقعاً ؛ لأن الأول يخص أفراداً ،

وهذا يعم شعوباً وهو ممقوت مهما تلاعبت الألفاظ في تسميته بالأسماء الخلابة الخداعة ما دام المعنى واحداً والأثر واحداً

كان للنوعين من الاستعباد سوق رائجة ، وكانا من الأعمال المألوفة غير المستنكرة حتى أصبح من العادات السائدة في المجتمع الانساني والأمور المحببة اليه ، لا عيب فيه ولا عار ، بل صار المستعبد نفسه يعتقد أن عبوديته شيء لازم عليه ، لا يجوز له الخروج على قواعدها واذا ما حدثته نفسه بذلك ، فله الويل والثبور من الناس أجمعين

وقد اشتدت وطأة الاستعباد في عصور الرومان ، وأمسى الرقيق من أعز رؤوس الأموال وأثمنها ، ووضعت للرقيق قواعد وأصول وأحكام خاصة كلها قيود وسلب لنعمة الانسانية ممن خلقه الله إنساناً

جاء الاسلام ، والاستعباد بنوعيه راسخ متأصل في المجتمع الانساني ، فالفرد من أمة يملك أفراداً من أمة أخرى ، وشعب من الشعوب يملك شعوباً أخرى ، والجور على المستعبد معروف غير مستنكر ولا مستبشع ، وليس له غير الاستسلام لظلم أخيه الانسان

نظر الاسلام الى هذا الأمر العجاب وهذا التناكر سواء بين الأمم أو بين الأفراد ، فصرخ معلناً حرية الشعوب ، مقتلعاً روح الأنانية بينهم ، مقرراً المساواة بين الأمم ، فقال : (يا أيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل ، لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، وقال : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) معلناً أنه لا يجوز أن تستضعف أمةٌ أمةً أخرى ، وتخضعها لهواها فاذا ما فعلت ذلك ، كان الله في عون المستضعف ، فينصره ، ويحرره من ربقة الاستعباد ، ويجعله هو الوارث لمن استعبده وظلمه « والله أكبر » وجاء في الحديث : (كلكم من آدم ، وآدم من تراب) منبهاً في هذا الى المساواة بين الناس ، وقال القرآن مستنكراً استعباد شعب لشعب آخر مهما أظهر له من البذل والنعمة ، فقال: (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل) ؛ لأن الحرية لا ثمن لها ، ولا يعدلها شيء فالطير السابح في الفضاء ، لا يرضى لنفسه بالتقيد في قفص من لؤلؤ منضد وماس راق ، بل يأبى انتقاص حريته ولو أطعمته أغلى الأطعمة وأشهاها ؛ لأن للحرية لذة لا تماثلها لذة ، وفي الاستعباد ألم فظيع لا يوازيه ألم ، ووحشة لا تشبهها وحشة ،

والسمكة طليقة في قعر البحار لا يسعدها أن تعيش في حوض من فضة أو ذهب فالاسلام راعى هذا كله ، فقرر المساواة بين الأمم ، وأعلن ذلك بصريح العبارة ، كما أنه افتتح قرآنه بآية : (الحمد لله رب العالمين) ، فعبارة (رب العالمين) تحمل من معنى المساواة بين الشعوب ما لا غموض فيه

لهذا لم يطلب العرب عندما ظهروا بالاسلام استعباد أمة ، ولا استعمار شعب ، بل قاموا بالاسلام محررين داعين الأمم الأخرى للاشتراك معهم في العمل ، وهكذا كان الواقع ، ولم يخرجوا عن هذا المبدأ إلا بعد أن امتزج بهم من ألفوا الاستعلاء على الناس واستعبادهم (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً) وخروج المسلمين بعد ذلك عن هذا المبدأ ، لا ينفي كون هذا المبدأ من أهم ما قرره الاسلام من المبادىء الانسانية

وأما استعباد الأفراد (الاسترقاق) ، فقد طغى أمره قبل الاسلام ، وشاع حكمه بين الناس حتى أصبحت كلمة (عبد) عذبة في الأسماع ، طيبة في الايقاع ، خفيفة على اللسان ، وأصبح البشر الضعيف من أثمن ممتلكات القوي منهم ببدنه أو ماله ، كالأغنام طائعة لراعيها

جاء الاسلام والاسترقاق مستحكم عند الأمم على اختلاف عناصرها ومساكنها ، والعبيد من أعز الأموال وأغلاها : أعز من الخيل والبغال والحمير ، وأغلى من البقر والأغنام ، فاستبعد الاسلام أن علك الانسان أخاه الانسان ، وأن يحسبه عبداً مملوكاً له ولكن أنى له أن يقتلع هذا الأمر الشائن بالانسانية من جذوره بين عشية وضحاها ، فصمد الى قاعدة التدرج في التشريع التي جرى عليها من أول يومه ، فبدأ أول ما بدأ باشاعة كلمة (مولى) بدل كلمة (عبد) وفي كلمة مولى من سمو المعنى ما ينبه الأذهان البشرية الى ما في كلمة (عبد) من خسة المعنى وحطته ثم صرف العبودية الى الله وحده ، فأشاع في الأسماء بين الناس (عبد الله) و (عبد الرحمن) ، وهكذا ثم أطلق صفة العبودية لله على النبي نفسه ، فقال : (وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) ، فقال المسلمون : محمد عبد الله ورسوله فمهد بهذا الأسلوب الى تقرير حكم يمحو الاسترقاق تدريجاً من طريق غير مباشر ، ثم جاء بالحكم من الطريق غير المباشر كما أقرره الآن :

ووجه التقرير أنه لم يرد في القرآن حكم ما باسترقاق الناس واستعبادهم ، وإنما ورد العكس فيه ، وهو عتق العبيد وإطلاق حرياتهم فانه قصر المعاملة مع الأسرى في الحروب على أحد أمرين لا ثالث لهما ، وهما : (المن) ، أو (الفداء) قال القرآن الكريم : (حتى اذا أثختنموهم فشدوا الوثاق ، فإما منّاً بعد ، وإما فداء ، حتى تضع الحرب أوزارها) ، فلم يذكر في الحكم شيئاً آخر غير المن ، وهو إطلاق الأسير بلا عوض ، أو الفداء، وهو اطلاقه بعوض فألزم المسلمين عند انتصارهم على الناس بالمن أو الفداء ما دامت الحرب قائمة فاذا وضعت الحرب أوزارها ، فليس هناك غير الاطلاق ، أو فليس هناك غير الاطلاق أو الفداء فليس في الأمر استرقاق واستعباد مطلقاً ، لا وقت قيام الحرب ولا بعد انتهائها ، بل هناك من أو فداء فاستقرت النتيجة على نفي موجب الاستعباد والاسترقاق ، فانقطع مورد الاسترقاق ، وتعينت الحرية خالصة من شائبة الرق والعبودية

هذا من جهة ومن جهة أخرى رتب الاسلام على الناس عقوبات مالية اذا وقعت مهم أمور عينها ، وهي بطبيعتها أمور قل ألا تقع من الانسان في حياته ولو مرة وخص هذه العقوبة المالية بعتق العبيد ، فمن صدر منه أحد هذه الأمور ، وجب عليه عتق عبد ، اذا كان قادراً على ذلك وهذه الأمور ، هي :

(١) الحنث في اليمين

(٢) الظهار

(٣) القتل الخطأ

قال القرآن في الحنث في اليمين : (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة فمن لم يجد ، فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم)

وقال في الظهار : (والذين يظاهرون من نسائهم ، ثم يعودون لما قالوا ، فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به ، والله بما تعملون خبير فمن لم يجد ، فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً) وفي تعبير : (فمن لم يجد) اشارة الى

توقع فقدان الرقيق والظهار كان شائعاً كثيراً بين العرب وقت ظهور الاسلام

وقال في القتل الخطأ : (ومن قتل مؤمناً خطأ ، فتحرير رقبة مؤمنة) الآية

وهذه الأمور قل من الناس من لايتصل ببعضها في حياته ولو مرة واحدة فاذا كان عقابه عتق عبد ، لا يبقى في الاسلام عبد بعد زمن غير طويل من ظهوره ، فتنتهي العبودية بانقطاع موردها أولاً وبنفاد الموجود منها ثانياً ومن حيث إنه يعلم أن هذه العقوبة المالية ستصبح غير ممكنة التحقيق يوماً ما ، لنفاد العبيد ، جعل لها بدلاً ، وهو إطعام المساكين ، أو الصوم لمن لا تملك ما يطعم به المساكين ومن ناحية أخرى حث الناس على عتق العبيد ، وجعل العتق من أحب العبادات الجالبة لرضاء الله تعالى ، فاستقرت النتيجة على امحاء الاسترقاق والاستعباد من طريق غير مباشر وهذه الطريقة في التشريع ، نوع من التدرج ، بل إنه ألطف نوع فيه وأسهل تقبلاً ، بخلاف ما اذا أصدر حكماً مستقلا مباشراً دفعة واحدة ، كأن يقول : « يا أيها الناس ، اعتقوا عبيدكم » فان وقع هذا الحكم المفاجيء الذي يكلف الناس التخلي عن أعز أموالهم وأنعمها في ذلك العصر ، سيكون صعب التلقي ، كما لو كلفت الناس أن يتخلوا عن أغنامهم وابلهم وسياراتهم دفعة ، بأمر واحد ، ولكن من الحكمة ، اذا ما أردت ذلك ، أن تصل الى غرضك من طريق غير مباشر ، فتسد مثلا معمل السيارات ، ثم توجب دفع السيارات غرامة ، مقابل عمل يقوم به الأفراد ، فلا يمر زمن الا وتنفد السيارات من الوجود ، وهكذا فعل القرآن في أمر الرقيق

ولا يرد على هذا ما فعله المسلمون من التبسط في الاسترقاق وما قرره الفقهاء من أحكام الرقيق ، فان المسلمين في كثير من أمورهم خرجوا عن القواعد التي أقرها الاسلام ، وإن أقوال الفقهاء في أحكام الرقيق تخص الأرقاء الموجودين ، ولا يريدون منه استحداث الرق ولو أرادوه لقلنا إنهم انحرفوا عن الطريق

(٤) الاسلام يدعو الى السلام بين الأمم والأفراد

السلام وتوطيده بين الشعوب وبين الأفراد ، من أهم ما يدعو اليه الاسلام ويعمل على تحقيقه وقد بلغ اهتمامه به أن جعل (السلام) هو التحية المتكررة بين الأفراد وبين الأمم آنا

بعد آن ، يومياً في المشاهدات والمكاتبات ، فيقولون أو يكتبون (السلام عليكم) فكلما تقابل شخصان أو أشخاص ، حيا بعضهم بعضا بعبارة (السلام عليكم) وكذلك الأمر عند المكاتبة ، فإن الكاتب يبدأ ويختم بعبارة (السلام عليكم) وقد يختم فقط بهذه العبارة وما ذلك إلا تذكيراً من بعضهم لبعض بالسلام وأهميته في الحياة الانسانية وجاء في القرآن : (قالوا : سلاما ، قال : سلام) تعليما لهذه التحية المحبوبة وقال القرآن : (لهم دار السلام عند ربهم) ، كما صدع داعياً البشر للدخول في السلام فقال : (يا أيها الذين آمنوا ، ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين) وقد أكثر القرآن من ذكر السلام ، وأكثر الحديث من ذكره وتعداد فضائله ، ترسيخاً لمبدإ السلام في العقول ، واستمالة للنفوس الى إدراك مغزاه والتذوق لحلاوته

ولا يبيح الاسلام تعكير السلام بالحرب الا لأحد أمور ثلاثة :

الأول — الدفاع عند الاعتداء قال القرآن : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين)

الثاني — حماية المستضعفين وتخليصهم من ربقة الاستعباد قال القرآن : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين يقولون : ربنا ، أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا)

الثالث — معارضة نشر الدعوة الاسلامية بالسلاح قال القرآن : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله فان انتهوا ، فلا عدوان الا على الظالمين)

فاذا هاجم أمة أمةً أخرى ، كانت الأمة المهاجمة معتدية ، ومن حق الأخرى أن تثير عليها حرباً عواناً دفاعاً عن سلامها فاذا جنحت الأولى للسلم ، وجب على الثانية أن تجنح لها أيضاً قال القرآن : (وإن جنحوا للسلم ، فاجنح لها ، وتوكل على الله)

ولا يجيز الاسلام الاعتداء بالمبادأة في القتال قال القرآن : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين) وقال : (فإن اعتزلوكم ، فلم يقاتلوكم ، وألقوا اليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا)

وما وقع فى التاريخ من المسلمين خلافا لهذا ، فهو من شذوذهم عن قواعد دينهم شأنهم اليوم فى كثير من تصرفاتهم

أما المستضعفون فى الأرض ، وهم الذين وقعوا تحت سلطان غيرهم بدون رضاهم ، ولا طاقة لهم للتخلص من سلطانهم ، فقد أوجب الاسلام العمل على استخلاصهم ، وإعادة الحرية الطبيعية اليهم ولو أدى ذلك الى القتال وهذا هو عين ما قبلته الهيآت الأممية فى عصرنا

فاذا ما طغت أمة على أمة أخرى ، وأخضعتها لسلطانها ، وسلبتها حريتها ، فمن مبادىء الاسلام القيام لاستخلاص المعتدى عليها من القادر ، وإعادة حريتها اليها (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ...) الآية

والاســـلام مؤمن بأنه يحمل مبدأ إنسانياً يضمن للناس الحرية والمساواة وطهارة العقيدة — وهي التوحيد الخالص — والشواهد على ذلك كثيرة واضحة ، منها قول القرآن : (قل : يا أهل الكتاب ، تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا ، فقل : اشهدوا بأنا مسلمون)

وهو مؤمن بأنه ملزم بأن ينشر مبادئه فى العالم ، ويبشر بها خدمة للانسانية ، لذلك يرى أن من واجب المتمسكين بالاسلام أن يقوموا بالدعوة اليه باللين والسلام قال القرآن : (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) ، وقال : (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) . فاذا ظهر مقاوم للدعوة ، وشهر السلاح عليها ، وجبت مقاتلته وشهر الحرب عليه تخليصاً للدعوة الانسانية من الاعتداء عليها

هذا ، وقد أوجب الاسلام الاستعداد وتوفير القوى المقاتلة ، إرهاباً للعدو ، ودفعاً لوقوع الحرب ، فلا يجرؤ على المبادأة بها واخلال السلام قال القرآن : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) ، وقال : (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) وأوجب مراعاة العهود ، وذم الخيانة بالعهد ، إبعاداً للحروب قال القرآن : (وأوفوا بالعهد ، إن العهد كان مسؤولا) ، وقال : (الا الذين عاهدتم من المشركين ، ثم لم ينقصوكم شيئاً ، ولم يظاهروا عليكم أحداً ، فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ، إن الله يحب المتقين) ، وقال : (وإما تخافن من قوم

خيـانة ، فانبذ اليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين) ، وقال : (وإن يريدوا أن يخدعوك ، فان حسبك الله)

والحاصل أن الاسلام يدعو الى السلام والرحمة ، ويعتبر الحرب دواء مراً يعالج به من يريد الخروج على السـلام والاخلال بالأمن العـالمى : (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ، فقـل : سـلام ، كتب ربكم على نفسه الرحمة) ، وقال : (ولا تفسـدوا فى الأرض بعد اصلاحها ، وادعوه خوفاً وطمعاً ، إن رحمة الله قريب من المحسنين) ، وقال : (فاذكروا آلاء الله ، ولا تعثوا فى الأرض مفسدين)

فالسلام من أهم قواعد الاسلام ؟

منير القاضي

موارد تاريخ الطبري

العرب قبل الاسلام :

وقد أدمج الطبري أكثر كلامه على العرب قبل الاسلام في طيّات الأوراق التي دوّنها عن الفرس ، خاصة في تأريخ المناذرة والغساسنة ، وأستند في أكثره الى روايات ابن الكلبي والى روايات أخرى مستمدة من الكتب المترجمة عن الفارسية ، ولم يفرد لهم فصولا مستقلة إلا في موضوع « الحيرة والأنبار وما حوالي ذلك[1] » و « طسم وجديس[2] » ولم يكن كلامه على « الحيرة والأنبار » في الواقع إلا كلاماً عاماً في مجيء العرب الى العراق قبل الاسلام ، وفي جذيمة الوضاح وقصة الزباء . وقد استهل مقدمته عن تأريخ الحيرة بقوله : « فحدثت عن هشام بن محمد ، قال : لما مات بختنصر ...[3] » ، ثم أخذ يسرد ما روي عن هشام في هذا الباب وقد توقف في مواضع علق عليها بقوله : « قال ابن الكلبي » ، أو « قال هكذا وجد ... » وأمثال ذلك مما يبعث على الظن أن الطبري وجد بعض الاختلاف في الموارد التي استقى منها هذه الروايات المروية عن ابن الكلبي والمنسوبة اليه ، وبين مؤلفات لابن الكلبي كانت لديه ، فأراد تنبيه القاريء على ذلك بتدوينه هذه الجمل ودون بعضها في شرح موضع يحتاج الى شرح ، مثل قوله : « قال : هكذا وجد الشعر ليس بتام وكان ينبغي أن يكون البيت الثالث لقد كان كذا وكذا » قال هذه الكلمات عند ايراده أبياتاً قيلت على لسان عمرو بن عدي وعمرو بن عبد الجن[4] ثم عاد الطبري بعد ذلك الى تتمة الحديث ، ومثل قوله : « قال ابن الكلبي : كان

---

(١) الطبري (٢/٢٧)　　(٢) الطبري (٢/٣٨)

(٣) الطبري (٢/٢٧)　　(٤) الطبري (٢/٣٤)

أبو الزّباء أخذ النفق لها ولأختها ، وكان الحصن لأختها في داخل مدينتها » وبعد أن ذكر هذه الملاحظة ، عاد فقال : « قال : فقال له عمرو : فأنت أبصر ، فجدع قصير أنفه ... » وقد كان الصواب تأجيل هذه الملاحظة الى ما بعد الانتهاء من القصة ، ولكن في طبع الطبري حرص العالم على تقديم كل ما عنده من علم الى قرّائه وإن أخرجه ذلك عن سياق الحديث ، وحمله على الاخلال بوحدة الموضوع وتقطيع الكلام قطعاً تفصل بينها هذه القواطع من التعليقات والشروح

ويفعل الطبري ذلك حين يجد نفسه أمام جملة روايات تختلف بعضها عن بعض كل الاختلاف أو بعضه ، فتراه يروي الرواية حتى اذا بلغ الى موضع اختلف فيه ، قطع الحديث ، ليذكر موضع الاختلاف ، مشيراً الى ذلك بجمل ، مثل قوله : « وأما ... فقد قال ... » ، و « وذكر بعض أهل العلم ... » ، و « هذا قول ... وأما ... فقد ... » ، وأمثال ذلك . ثم يذكر بعد هذه الجمل ما اختلف فيه ، حتى اذا انتهى منه عاد فأتم روايته الأولى وتقطيع الكلام على هذه الصورة ، وإن روعي فيه إطلاع القاريء على أوجه الاختلاف وعلى ملاحظات الرواة أو المؤلف في مسألة أو كلمة مهمة ، يفكك ، كما قلت ، الحديث ، ويخلّ بوحدة الموضوع ، ويربك القاريء ، وقد يربك المؤلف نفسه فينسيه الأصل ، ويحمله على الاهتمام بالفروع دون الأصول والمنطق هو أن يستمر في سرد الرواية الى النهاية ، فاذا انتهى منها ، أخذ في ذكر الروايات الأخرى أو ما اختلف فيه على هذا النسق ، وبذلك يجد الباحث أمامه وثائق متعددة ، يستطيع أن يكون منها لنفسه عن ذلك الموضوع وجهة نظر خاصة به

وأقدم العرب في نظر الطبري والأخباريين ، هم عاد وثمود وجديس وعبيل وجاسم وأميم وأمثالهم [1] ، وقد نقل الطبري أخبارهم من السيرة النبوية لابن اسحاق وبعض من ذكر ، معروف مشهور ، ورد اسمه في الكتابات ، مثل ثمود الذين ذكروا في الكتابات الآشورية ، ولدى الكتبة « الروم » و « الرومان » [2] أما عاد ، فلم يرد اسمهم في كتابة ، إنما ذكرهم

---

(١) الطبري : الدورة الأولى (ص ٢١٣) « طبعة ليدن »

(٢) جواد علي : العرب قبل الإسلام (١/ ٢٤٤ وما بعدها)

الجغرافي بطلميوس ، وهو أول من ذكرهم من « الكلاسيكيين » ويظن أن (Jolistae) (Jodistæ) هم « جديس »

ومرجع الطبري في رواية أخبار هؤلاء ، هشام بن الكلبي ، وشيخ الطبري الحارث بن محمد الكوفي ، وهذا عن شيخه محمد بن سعد كاتب الواقدي (— ٣٢٠ هـ) البصري مصنف الطبقات والتأريخ [١] ، شيخ ابن أبي الدنيا أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان الأموي مؤدب المعتضد ومن أصحاب المؤلفات في التأريخ [٢] ، وشيخ الحسين بن فهم (— ٢٨٩ هـ) من العلماء بالأدب والأخبار والنسب والشعر [٣]

أما ابن الكلبي ، فقد تحدثت سابقاً عنه وعن علمه بالأخبار ، وهو وأبوه في طليعة من عُنُوا بجمع أخبار الجاهلية وتدوينها ، ومن طريقهما عرفنا أموراً عن العرب قبل الاسلام لم يذكرها غيرهما من الأخباريين ، بالرغم من نواحي الضعف التي تظهر عليهما ، وبالرغم مما رميا به من الكذب والتزوير والحق أننا نجد في رواياتهما ، وخاصة روايات هشام ، تناقضاً غريباً في بعض الأحيان يستغرب صدوره من رجل له علم ومعرفة وتمييز في الأمور وينسب ابن الكلبي أشياء الى التوراة والى رجال من أهل الكتاب لم ترد في التوراة ، ولا يمكن صدورها من رجل له أقل علم أو المام بالتوراة من أهل الكتاب وهي حاصل أحد أمرين : إما أنها أمور مفتراة وضعها ابن الكلبي لإظهار علمه ومعرفته بكل شيء ، وإما أنها من وضع من أخذ عنهم ابن الكلبي ، أخذها منهم من غير نقد ولا تمحيص ولا بحث عن صحتها أما اذا كانت الحالة الثانية ، فهو مقصر في روايتها كذلك ، اذ كان عليه مراجعة أهل العلم من أهل الكتاب ، والتأكيد من صحة ما يقال له ، والانتباه لمظاهر التناقض فيما قيل له قبل تدوينه ونشره بين الناس

ولم يذكر ابن النديم لمحمد بن السائب الكلبي والد هشام المعروف بابن الكلبي كتابا غير كتاب تفسير القرآن [٤] ، وهو تفسير ينظر اليه ثقات العلماء نظرة حذر وارتياب وقد زعم

---

(١) تذكرة الحفاظ (١٢/٢) ، الفهرست (ص ١٤٥)

(٢) تذكرة الحفاظ (٢٢٤/٢) (٣) التذكرة (٢٢٦/٢)

(٤) الفهرست (٩٥/١) « طبعة فلوكل »

ابن الكلبي أن أباه نقل علمه بأخبار العرب من المتخصصين المعروفين ، فنقل علمه بنسب قريش من أبي صالح عن عقيل بن أبي طالب ، وقد كان عقيل من أمهر المعروفين بنسب قريش ؛ وأخذ نسب كندة عن أبي الكناس الكندي ، وكان أعلم الناس بأخبار كندة ؛ وأخذ أخبار معد بن عدنان عن النجار بن أوس العدواني ، وكان من أحفظ الناس ، وروى علمه بنسب إياد عن عدي بن رثاث الإيادي ، وكان عالماً بإياد [١]

وقد أحصى ابن النديم مؤلفات ابن الكلبي ، فذكر فيها كتباً تتصل بموضوعنا ، منها : كتاب من نقل من عاد وثمود والعماليق وجرهم وبني إسرائيل من العرب ، وكتاب طسم وجديس ، وكتاب عاد الأولى والآخرة ، وكتاب تفرق عاد ، وغيرها مما يدخل في صميم هذا الموضوع [٢] وإذ كان الدهر قد أتى على هذه الكتب ، فقد صعب تعيين التي أخذ الطبري منها هذه الأخبار

وهناك شيخ آخر أخذ منه الطبري ، أخبار عاد ، وهو أبو كريب محمد بن العلاء الهمداني المحدث الكوفي وزعيم مدرسة الحديث في العراق وقد حدث الطبري ببعض الأحاديث عن أخبار عاد [٣]

وأما هلاكهم وأخبار وفدهم الى مكة ، فقد أخذه من شيخه محمد بن حميد عن سلمة ابن الفضل عن ابن إسحاق ، وقد زين هذه الأخبار بأبيات من الشعر المحفوظ من ذلك العهد[٤] ، أدخله الطبري في تاريخه ، وكذلك المسعودي والظاهر أن المسعودي أخذه من السيرة بلا واسطة ، فانه ذكر أبياتاً أهملها الطبري ، وأعرض عن أبيات أثبتها الطبري ، وبين النصين زيادة ونقصان في متن القصة [٥] وأخذ الطبري من نسخة أخرى من السيرة النبوية لابن اسحاق ، هي نسخة شيخه العباس بن الوليد من علماء الشام ، وكان أبوه الوليد بن مسلم أبو العباس الأموي (— ١٩٥ [٦]) من مشاهير محدثي الشام وقاسمه هذه الشهرة محدث آخر من أهل الشام هو إسماعيل بن عياش (— ١٨٢ هـ) ، وهو من مشايخ العباس بن الوليد [٧] وقد عرفا بانهما اعلم أهل الشام برواية أهل الشام ، وأنهما من كبار رجال الحديث في العالم الاسلامي

---

(١) المصدر نفسه (٢) الفهرست (ص ١٤١)
(٣) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٣٢) (٤) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٣٦)
(٥) مروج الذهب (٢/١١ فما بعدها) ، الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٣٥ فما بعدها)
(٦) تذكرة الحفاظ (٢٧٩/١) (٧) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٤٢) .

كان الوليد بن مسلم[١] ممن ألفوا في التواريخ ، ونبغوا في حفظ المغازي ، كما كان صاحب أحاديث في الملاحم ، وكان من المؤلفين ، قيل : إنه ألف سبعين كتابا ، وأخذ عنه مشاهير العلماء ، مثل : الإمام أحمد بن حنبل ، وابن المديني ، وهشام بن عمار ، وأبي خيثمة ، وعلي بن محمد الطنافسي ، وأمثالهم وحصل ضريبه ومعاصره اسماعيل بن عياش على شهرة واسعة في بلاد الشام ، فلم يكن أحداً مزاحمهما في علم الحديث في الشام ، حتى قيل إنه زاحم علماء العراق في رواية أحاديث العراقيين ، وإنه أصبح في حديث أهل العراق في مقام وكيع بن الجراح وقد وفد على المنصور فوكل إليه خزانة الثياب [٢] والظاهر أنه اتصل في هذه المدينة بابن اسحاق ، فأخذ منه السيرة والحديث ، وربما أخذها في أثناء زيارة ابن اسحاق لبلاد الشام ولذلك حدث بعض الاختلاف بين السيرة النبوية لابن اسحاق في رواية ابن حميد وبينها في رواية العباس ابن الوليد

ولما كان القرآن الكريم هو الذي أثار قصة عاد وثمود على سبيل العظة ، كان من الطبيعي أن يبحث المفسرون عن أمر هذه الأقوام ، فكانت كتب التفسير من جملة المراجع التي رجع اليها الطبري ، وهو نفسه من مشاهير المفسرين وأما المرجع الذي رجع اليه ، فهو تفسير السدي ، أخذه من محمد بن الحسين عن أحمد بن المفضل الحضري الكوفي [٣] ومن تلامذة أسباط راوي تفسير السدّي[٤] وأخذ أيضاً من شيخه محمد بن سهل بن عسكر الذي عرف بروايته أخبار وهب بن منبه ، عن اسماعيل بن عبد الكريم ، عن عبد الصمد [٥]

ورجع الطبري الى مشايخ آخرين في رواية أخبار ثمود فأخذ عن الحسن بن يحي ، عن عبد الرزاق ، عن إسرائيل بن يونس بن أبي اسحاق السبيعي ، عن عبد العزيز بن رفيع [٦] ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الشاعر الصحابي ، وهو ممن شهدوا المعارك والأحداث التي

---

(١) ولد سنة ١١٩ للهجرة (٢) تذكرة الحفاظ (١/٢٣٣)
(٣) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٤٢) ، لسان الميزان (١/٧٤)
(٤) الطبري الدورة الأولى (ص ٢٤٣) . (٥) الطبري الدورة الأولى (ص ٢٤٤) .
(٦) طبقات ابن سعد (٦/٢٥٧) .

وقعت في صدر الاسلام ، لذلك كان من الرجال الذين أخذ عنهم الأخبار [١] كما أخذ عن القاسم بن الحسن الراوي [٢] شيخ الطبري ، عن الحسين بن داوود [٣] ، عن حجاج بن محمد أبي محمد المصيصي الأعور المتوفى سنة ٢٠٦ هـ مولى أبي جعفر المنصور ، وهو من تلامذة ابن جريج ومن رواة كتبه ، وقد سمع تفسير ابن جريج إملاء منه ، وكان من أشهر من نشر علم ابن جريج في البصرة [٤] ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن خارجة بن قيس بن مالك الأنصاري [٥]

والظاهر أن الطبري قد أخذ هذه الرواية المنسوبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوم ثمود ، وكذلك الرواية التي تليها وتقف عند ابن جريج ، من تفسير ابن جريج الذي كان قد دونه حجاج بن محمد ، وكان له قراء في البصرة وفي هذين الخبرين والأخبار الأخرى ثلاثة نماذج [٦] هي وان كانت قصيرة إلا أنها قد تصور فكرة عن طريقة التفسير التي سار عليها ابن جريج المتأثر بمدرسة ابن عباس

وأما أخبار عرب العراق وعلاقات الفرس بالعرب ، فقد اعتمد الطبري فيها على ابن الكلبي ، اعتمد على كتبه في الغالب ونقل منها فهذا حديث الرائش بن قيس بن صيفي نقله من كتاب من كتب ابن الكلبي ، وابن الكلبي في الواقع هو مرجع كل المؤرخين في هذه الأمور والظاهر أن المسعودي لم يأخذ تواريخ اليمن من المرجع الذي نقل منه الطبري ، بل اعتمد على مراجع أخرى ، منها : كتب الهيثم بن عديّ أبي عبد الرحمن (—٢٠٧ هـ) ، وهو عالم مشهور بالشعر والأخبار والأنساب ، الا أنه كان من المتحاملين على العرب ومن حاملي لواء الشعوبية ، ألف كتباً عدة في مثالب القبائل ، حتى في مثالب قبائل قريش ومن بين الكتب التي ألفها الهيثم بن عديّ كتب تبحث في تأريخ العجم والعرب ، مثل : كتاب تأريخ العجم وبني أمية ،

---

(١) أسد الغابة (٥/٢٣٤) (٢) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٤٥)
(٣) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١١٦) ومواضع أخرى ، راجع فهرست الطبري (ص ١٣٧)
(٤) تذكرة الحفاظ (١/٣١٥) (٥) أسد الغابة (٤/١٠٢)
(٦) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٤٧)

وكتاب أخبار الفرس ولا بد أن يكون لكتابه الذي ألفه في التأريخ العام على السنين [١] وسبق كتاب الطبرى بالطبع شأن كبير ، ولا بد أن يكون المسعودى قد نقل من هذه الكتب أما الطبرى فلم يقتبس منها في تأريخ العراق أو اليمن شيئاً ، وإنما اقتبس منه حديثاً عن الطوفان والظاهر أنه أخذه من كتاب من كتبه بلا واسطة ، لأنه لم يذكر السند ، بل اكتفى بقوله : « وحدث الهيثم بن عدي عن بعض أهل الكتب » [٢] ولعل هذا الكتاب الذى نقل منه ، هو كتاب هبوط آدم وافتراق العرب فى نزولها منازلها ، أوكتاب التأريخ ، ثم اقتبس منه بعد ذلك في تأريخ الاسلام

ومرجع المؤرخين في تأريخ الحيرة ، هو هشام ابن الكلبي ، ما في ذلك شك ، فهو أعلم الرواة بهذا الموضوع وكان من المنقبين الباحثين عن تأريخ الحيرة ، فكان يذهب الى الكنائس والديارات والبيع يستخرج منها أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمارهم وغير ذلك [٣] وهو وان كان متهماً بالكذب والتدليس قد دلت البحوث الحديثة على أن من اتهمه لم يكن على حق في كل ما ذهب اليه ، وأنه كان يجهد نفسه ويحرص على تتبع الحقائق والأخبار [٤] ولا بد أن يكون لـ « كتاب أخذ كسرى رهن العرب » و « كتاب عدى بن زيد العبادي » و« كتاب الحيرة » و« كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين » و « كتاب المنذر ملك العرب » وكتب أخرى ذكرها ابن النديم [٥] علاقة بهذا القسم

تفرد ابن الكلبي زعيم رواة الكوفة بأخبار الحيرة وملوك الفرس ، وتفردت الكوفة بأخبار العراق قبل الاسلام ، ولو لا جهود ابن الكلبي ما كان للكوفة في الواقع فضل في هذا الباب ، ولانطمست هذه المعلومات التي وردت في الكتب عن تأريخ العرب القديم وهي لا تكون غير نسبة ضئيلة مما ذهب به الدهر من أخبار هذه الأسرة وقد أسهم في الغالب نفر من الرواة من أهل الكوفة في رواية أخبار أيام الحيرة المتأخرة منذ معركة ذي قار ، أو قبل ذلك بقليل ، ونجد رواياتهم مسجلة في تأريخ الطبري وفي الكتب الأخرى

(١) الفهرست (ص ١٤٥)
(٢) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١٠٧٢)
(٣) الطبري (٢/٣٧) الطبعة المصرية
(٤) Ency. Vol, 2. P, 689
(٥) الفهرست (ص ١٤٢)

تركت وقعة ذي قار أثراً كبيراً في أهل جزيرة العرب ، ولا سيما أهل الحجاز الذين كانوا يبغضون الفرس ويميلون الى الروم بحكم علاقاتهم التجارية بهم ، كما كان لانتصار الفرس على الروم قبل ذلك صدى سيء جداً في محافل الحجاز وتجد صدى ذلك الاستياء في الروايات التي دونها الطبري عن هذه الحادثة ، وهي ترجع الى عكرمة (— ١٠٥ هـ [١]) ، أخذها الطبري من القاسم بن الحسن والظاهر أنه أخذ ذلك من تفسير عكرمة رواية أبي بكر بن عبد الله [٢] ، وأخذها من أبي عبيدة معمر بن المثنى ومن ابن الكلبي وقد نقل ابن الكلبي شيئاً من أخباره عن هذه المعركة من إسحاق ابن الجصاص [٣] ، ومن « كتاب حماد » وقد سمع بعضه من أبيه محمد بن السائب الكلبي وذكر أبو الفرج الأصبهاني الروايتين : رواية ابن الكلبي ، ورواية الأصمعي أخذ رواية الكلبي عن علي بن سليمان الأخفش (— ٣١٥ هـ [٤]) ، وكان إلى علمه بالنحو حافظاً للأخبار ، روى عن السكري أبي سعيد الحسن بن الحسين (— ٢٧٥ هـ) أحد رواة محمد بن حبيب (— ٢٤٥ هـ) من مشاهير الأخباريين ورجال الأدب ، وأخذ رواية الأصمعي عن الأثرم وهو أيضاً من مشاهير الأدباء [٥]

أما رواية أبي عبيدة ، فلم يشر الطبري الى السند الذى أخذ منه ، غير أن الأصبهاني أشار اليه فذكر اسمه ، وهو الأثرم علي بن المغيرة راوية أبي عبيدة [٦] وكان من زملاء أبي عبيد القاسم بن سلام وأبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وعمر بن شبة ، وكلهم من زعماء مدرسة الأدب ، ومن رواة أبي عبيدة [٧] ومن المؤلفين في الأدب والأخبار والتاريخ ويظهر من مقابلة متن تأريخ الطبرى عن معركة ذي قار بمتن الأغاني عن هذه المعركة أن الكتابين قد أستمدا من مرجع واحد فالعبارات واحدة ، غير أن صاحب الأغاني ذكر السند أما الطبرى ،

(١) الطبري (١٤٢/١) « الطبعة المصرية » (٢) المصدر نفسه

(٣) الطبري (١٤٦/٢) « طبعة مصر »

(٤) الفهرست (ص ١٢٣) ، وفيات الأعيان (١٨/١ ؛)

(٥) الفهرست ص ١٠٦ (طبعة فلوكل) ، إرشاد الأريب (٧٣/٦ ؛ فما بعدها) ، بغية الوعاة (ص ٢٩) ، تأريخ بغداد (٢٧٧/٢) Brockelmann, Suppl, Vol, 1. P, 165

(٦) الأغاني (١٣٢/٢٠)

(٧) راجع ترجمة أبي عبيدة في ارشاد الأريب (٤٧٣/٦) وتهذيب التهذيب : مادة محمد بن عبد الملك ابن قريب الأصمعي

فقد تساهل فيه . وأما سند صاحب الأغاني ، فهو : علي بن سليمان الأخفش ، عن السكريّ ، عن محمد بن حبيب ، عن هشام بن الكلبي ، عن أبيه [١] والحسن بن علي ، عن محمد بن القاسم بن مهرويه ، عن علي بن الصباح ، عى هشام بن الكلبي ، عن أبيه [٢] وعن أبي الفرج ، عن أبن سعيد ، عن علي بن الصباح ، عن هشام أبن الكلبي ، عن أبيه والشرقي بن القطامي [٣]

ومن الرجال الذين استند اليهم ابن الكلبي أبوه محمد بن السائب الكلبي وحماد الرواية الزبرقان ، وهما من مشاهير رواة الكوفة ومن أصحاب الأخبار وقد زعم ابن النديم أنه لم يرد لحماد كتاب[٤] . غير أن الطبرى يشير الى أنه كان صاحب كتاب ، وأن ابن الكلبي أخذ أخبار معركة ذى قار من كتاب حماد وكذلك والده محمد بن السائب الكلبي [٥] والظاهر أن كتبه قد أتى عليها الدهر ، فلم يصل منها شيء إلى أيام ابن النديم

ولم يستفد الطبرى من مؤلفات حماد ولا من رواياته كثيراً ، فلم يرد لحماد ذكر في هذا الكتاب الضخم الا مرتين : مرة في الموضع الذى أشرنا اليه ، ومرة أحرى فى مطلع تأريخ الحيرة حيث أتى على نسب أهل الحيرة وعرب الأنبار وبعد أن أنهاه ، وقد أخذه من كتب ابن الكلبي ، قال : « وهذا قول مضر وحماد الراوية ، وهو باطل[٦] » لعله فعل ذلك ، لما عرفه عن حماد من الوضع والمجون ؛ وكذلك لم يذكر ضريبه حماد عجرد الا في موضعين لا أهميـة لها ، فذكر له بيتاً في مساور بن سوار الجرمي صاحب شرطة الكوفة [٧] ، وذكره مرة في جماعة الزنادقة والمجان الذين أرسلهم المنصور الى البصرة مع محمد بن أبي العباس ، ثم ذكر له بيتاً من الشعر [٨] ولم يحظ حماد بن الزبرقان حتى بهذا النصيب اليسير من الذكر

والطبريّ في إعراضه عن حماد الراوية على العكس من أبي الفرج الأصبهاني (—٣٥٦ هـ) ، فانه دوّن كثيراً من أخباره في تضاعيف كتاب الأغاني ، ويظهر من اعتماد ابن الكلبي وأبي

---

(١) الأغاني (٢/١٧) (٢) الأغاني (٢/٢٩)
(٣) الأغاني (٢/٢٩ و ٢/٩٧) « طبعة دار الكتب المصرية »
(٤) الفهرست (١٣٤ — ١٣٥)
(٥) الطبري (٢/١٤٦) « الطبعة المصرية » الدورة الأولى (ص ١٠١٦) طبعة أوربة
(٦) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٧٤٨) (٧) الطبري ، الدورة الثالثة (ص ٣٧٧)
(٨) الطبري ، الدورة الثالثة (ص ٤٢٢)

عبيدة معمر بن المثنى على تدوين حماد أخبار عدي بن زيد ومعركة ذي قار ، ومن اشارة الطبري الى أن ابن الكلبي قد نقل من كتاب حماد — أن حماداً قد ألف في هذا الموضوع ، وأن كتابه كان مصدراً للطبري . ولكنه لم يذكر اسمه ، كما أنه لم يذكر الراوي الذي نقل منه ، وذلك مما يشعرك بأنه نقل من كتب أبي عبيدة بلا واسطة ، وهو راوية حماد ، كما نقل من كتب ابن الكلبي كذلك ، وهو من رواة حماد أيضاً ولتطابق الروايتين : رواية أبي عبيدة ، ورواية ابن الكلبي ، يكون مرجع الكتابين « كتاب حماد » ولإسحاق بن الجصاص روايات كثيرة في كتاب الأغاني ، وهو من مشايخ ابن الكلبي ، وكان صاحب علم بالأخبار والأنساب ، ومع ذلك لم يرد اسمه غير مرة واحدة في تاريخ الطبري في هذا الموضع (١)

ذكرنا أن الأصبهاني قد نقل رواية ابن الكلبي من الأخفش الصغير علي بن سليمان ، وسنده في ذلك السكري أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبدالله النحوي (— ٢٧٥ هـ) (٢) وهو راوية عمر بن شبة المؤرخ الشهير الذى ألف كتباً عدة في التاريخ ، ورئيس مدرسة البصرة في الأخبار ومحمد بن حبيب (— ٢٤٥ هـ) راوية ابن الكلبي ، ومن رؤساء مدرسة الأدب في البصرة وصاحب مؤلفات في هذا الباب ، وكان من رواة ابن الكلبي ؛ وابن الأعرابي أبو عبدالله محمد بن زياد (— ٢٣١ هـ (٣)) ، وقطرب أبو علي محمد بن المستنير (٢٠٦ هـ (٤)) من علماء الأدب واللغة ، وأبو عبيدة ، وأبو اليقظان سحيم بن حفص (— ١٩٠ هـ) من علماء الأخبار والأنساب (٥)

وترجع رواية ابن حبيب عن معركة ذي قار وخبر عدي بن زيد الى ابن الكلبي وابن الأعرابي ، والظاهر أن ابن الأعرابي قد أخذ روايته من ابن الكلبي نفسه ، لأنه كان في جملة الرواة الآخذين منه ، وابن الأعرابي من رجال هذه المدرسة التي عرفت بمدرسة الكوفة وكان من مؤسسيها الحمادون الثلاثة والكلبي وابنه والضبي والكسائي وآخرون ممن ترد أسماؤهم في الكتب وقد روى عنه ابراهيم الحربي وأبو العباس ثعلب وابن السكيت (٦) ومحمد بن

(١) الطبري (٢/١٠٤٦) ، الدورة الأولى (ص ١٠١٦)
(٢) تاريخ بغداد (٢٩٦/٧) (٣) زيدان : آداب اللغة العربية (١٢٥/٢)
(٤) الفهرست (ص ٨٧) (٥) الفهرست (ص ١٣٨)
(٦) وفيات الأعيان (٦٢٣/١)

حبيب وآخرون وكان مملياً يملي والطلاب يكتبون عنه حتى بلغت أماليه ما يحمل على أجمال وهو نفسه صاحب مؤلفات ذكرها ابن خلكان [١] ومع كتبه المهمة لم يذكره الطبري إلا في موضعين : مرة في خبر عن أبي نواس يظهر أنه أخذه من كتاب من كتب ابن الأعرابي حيث روى كيف خلص الفضل بن الربيع أبا نواس من تهمة الزندقة [٢] ، ومرة أخرى ذكر فيها وفاته في حوادث سنة ٢٣١ هـ. [٣]

وقد أخذ أبو الفرج قصة الخورنق من جملة أفواه : أخذها من ابراهيم بن السري عن أبيه السري ، والسري مرجع مهم من مراجع الطبري ، وكان الطبري يكاتبه ويراسله وهو يروي عن شعيب عن سيف بن عمر الأسدي المؤرخ الشهير الذي فضله الطبري حتى على الواقدي في أخبار الردة والأحداث التي وقعت في الإسلام وأخذها عن الحسن بن علي ، عن الحارث بن محمد ، وهو شيخ الطبري ومن رواة محمد بن سعد كاتب الواقدي عن الواقدي وأخذها من كتاب المقاتلين رواية علي بن سليمان الأخفش ، عن السكري ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابي ، عن المفضل الضبي ، وهشام بن الكلبي عن أبيه واسحاق بن الجصاص الكوفيين [٤]

وقد ذكر المفضل الضبي في طبعتين من طبعات الأغاني باسم المفضل بن سلمة الضبي ، وهذا خطأ ، إذ لا يعقل أن يكون المفضل بن سلمة هو المقصود ، لأنه لا يمكن أن يروي ابن الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١ هـ عن المفضل بن سلمة الضبي المتوفى بعد سنة ٢٩٠ للهجرة [٥] وإنما المقصود هو المفضل بن محمد بن يعلى أبو العباس الضبي صاحب المفضليات المتوفى بين سنتي ١٦٤ — ١٨٠ هـ [٦] ، وكان ابن الأعرابي من رواته ، وهو الذي روى عنه المفضليات وتعد نسخته

(١) وفيات الأعيان (٦٢٣/١) ، الفهرست (ص ١٣٨)
(٢) الطبري ، الدورة الثالثة (١٣٥٧) (٣) الطبري ، الدورة الثالثة (ص ٩٧٢)
(٤) الأغاني (١٤٠/٢) « طبعة دار الكتب المصرية » ، (٣٥/٢) « طبعة مطبعة التقدم »
(٥) إرشاد الأريب (١٧٠/٧) ، الفهرست (ص ١٠٩) ، بغية الوعاة (ص ٣٩٦)
Brockelmann, suppl. I. s و 181. C. A. Storey و Leyden 1915.
(٦) عن المفضل راجع : الفهرست (ص ١٠٢) ، زيدان : تأريخ آداب اللغة العربية (١٠٦/٢) من كتبه : الاختيارات ، ويقال له المفضليات ، طبع في مدينة لايبزك بألمانية ، وطبعه « لايل » الانكليزي وطبع بمصر ، وترجم أيضاً ، والأمثال طبع في الأستانة سنة ١٨٨٢ م

أصح نسخة لهذا الكتاب [١] والمفضل بن محمد الضبي شخصية معروفة في تاريخ الطبري ، فله في هذا الكتاب روايات ، وقد جاء اسمه في ٢٦ موضعاً منه ، كما أن أباه محمد بن يعلى من الشخصيات [illegible] إذ ورد اسمه في مواضع عدة منه وقد اتخذ الطبري أخباره سنداً عن الحروب [illegible] التي وقعت في خراسان ما بين سنة ٣٠ وسنة ٩٠ للهجرة [illegible] من قبيلة ضبة العربية ويظهر أن هذه القبيلة كانت قد ذهبت مع جيوش الفتح الى تلك المنطقة ، ثم استقر قسم منها هنالك ، ولعل ولادة المفضل كانت في هذا الإقليم حيث كان أبوه يتولى منصباً من مناصب الدولة[٢] وكان يعلى جد المفضل والياً على الري في أيام الحجاج « ٧٠—٧٥ هـ » ، وبعد ذلك ولي إصبهان

أما مولد المفضل ، فلا نعرف تأريخه والظاهر أنه قضى قسماً كبيراً من عمره في الكوفة وكان هواه في آل علي بن أبي طالب ، فلذلك شارك في الثورة التي قام بها ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ، فظفر به المنصور فعفا عنه وألزمه المهدي ، وللمهدي عمل الأشعار المختارة المسماة المفضليات ، وهي مئة وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص ، وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه [٤] وذهب مع ركب المهدي لزيارة خراسان [٥]

فالمفضل ، كما رأيت ، رجل من أسرة عربية عريقة أسهمت في السيرة السياسية ، وأسهم هو في هذه السيرة فهو اذا تحدث كان شاهد عيان في حوادث أيامه وفي أخبار خراسان والري ، واذا تكلم على شعراء الجاهلية كان كلامه كلام رجل ثقة في هذه الأمور ، وقد كان مرجعاً للمدائني علي بن محمد أبي الحسن (— ٢٢٥ هـ) [٦] المؤرخ الشهير وأعرف المؤرخين بأنباء خراسان

(١) الأغاني (١٠٩/١٧) ، تأريخ بغداد (١٣١/١٢) ، ارشاد الأريب (١٧١/٧ فما بعدها) ، بغية الوعاة (ص ٣٩٦) ، المزهر ٢٦٦)

(٢) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٩٧٣ ، ٢٩٠٢) الدورة الثانية (ص ١٣١٣) Lyall. Vol. 2. P. XI.

(٣) Lyall. Vol, 2. P, XI.

(٤) الفهرست (ص ١٠٢) (٥) Lyall. P. XI.

(٦) عن المدائني راجع تأريخ بغداد (٥٤/١٢) ، إرشاد الأريب (٣٠٩/٥) ، لسان الميزان (٢٥٤/٤) مات سنة ٢١٥ أو ٢٢٥ — الفهرست (ص ١٤٧) ، مات سنة ٢٢٤ — أو ٢٢٥ هـ لسان الميزان (٢٥٤/٤) عند بروكلمن توفي بعد سنة ٢٣٥ هـ ، وهنا خطأ أعتقد أنه خطأ مطبعي راجع Brockelmann Suppl. I. s. 214. وقد ذكر أسماء كتبه وما تبقى منها

حصلت الكوفة في العهد الأموي وفي صدر الدولة العباسية على شهرة واسعة في علم الأدب واللغة والتأريخ وفي الحديث والتفسير والفقه ، ولم ينافسها في ذلك العهد غير البصرة وكانت الكوفة والبصرة مركزين لتجمع الجيوش العربية التي فتحت العراق وايران وما وراء ذلك ، وقد جلبت اليهما هذه الميزة وميزة أخرى هي وقوعها على سيف الصحراء، وعلى الطرق التجارية القديمة المدينتين ، الثروة والرخاء ، والمشايخ والطبقة الأرستقراطية التي قامت في هذين المكانين حيث تجمع البداوة والحضارة في صعيد واحد ، فظهرت بيوت الأشراف تخدمها أيد كثيرة من الموالي والخدم ولحماية أبناء هذه الطبقة الأرستقراطية من غزو العامية وتأثير اللهجات المحلية في اللسان العربي ، ولترديد ذكريات الأيام الماضية ، ولأسباب أخرى ، ظهرت علوم اللسان وعلوم الدين في هذين المكانين وكان منابعها الطبقة العربية الأصيلة ، وحملتها وحفظتها أتباعها الموالي الذين قاموا بالوظائف التي تقوم بها السجلات أو المدونات ، فكانوا يحفظون ما يقال لهم ويختزنون في أذهانهم ما يسمعونه من أخبار ولما نفقت هذه التجارة ووجدت لها أسواقاً رابحة ومكاسب دارّة ، قربت هذه الطبقة من السلطان وأصحاب الجاه ، وجلبت لهم الرزق والعيش والثروة والوظائف المناسبة في الحكومة ، فاستبق من أوتي حظاً من الذكاء وقوة في ملكة الحافظة الى الصحراء والى المسنين والصحابة في كل مكان يلتمسون منهم حديثاً وقعة وشعراً ، فبقدر حظ حفظ الراوي كان يقدر حظه ونصيبه في الحياة أجل ، يلتمسون خبراً ولو كان غير صحيح ، فهم طلاب أخبار وبائعو أخبار ، أصحاب سلعة ولما كان للغرابة وتنوع البضاعة مقام في عرف تجار السوق وأصحاب المعارض ، وكان لتنظيم العرض وتزويق ظواهر المحل دخل في التأثير في نفسية المشترى ، أصبح من همّ باعة الأخبار الإغراب في الحديث والتنميق في الكلام والإتيان بالغريب وبكلام الأعراب وأحوالهم ، فقد أصبح من الطرائف بالنسبة المستقرين ، فكان الخبر الطريف الذى ينال الرضى والقبول من الخليفة أو الأمير أو الوالي أو الشيخ أو السرى قد يأتي لصاحبه بثروة لا يمكن أن يحلم بها الإنسان العاميّ طوال حياته ، ثروة تضمن عيشاً رغداً له ولأفراد أسرته أمداً طويلاً ، ومنصباً قد يجعله من أقرب الناس الى أصحاب الحكم والسلطان والجاه ، وضياعاً تكوّن ثروة للراوى مدة طويلة

إن هذه التجارة المفرطة الأرباح ، وقد تأتي بربح نسبي لا يمكن أن يحصل عليه من

أصيلة ضخمة [١] ، هـذه التي قد تقلب حيـاة الانسان رأساً على عقب وتجعل من الفقير المعدم رجلا غنياً صـاحب جاه عريض وأملاك وموالٍ وجوارٍ ، حفزت هم الذين خانهم عرقهم أن يتسنـموا المناصب العالية ، ومنعهم نسبهم عن الوصول الى صدور المجالس حيث يجلس الخليفة أو السلطان أو الأمير على بسط وفرش وثيرة قد يغطس فيها ، ومن دونه أصحاب المراتب على تناسب درجاتهم إن هـذا النظام الاجتماعي والاقتصادي حث هؤلاء وأمثالهم على تسقـط الأخبـار وشحذ القرائح وترويض العقل على الحفظ واستيعـاب الأقوال حتى بلغت الحافظة عند بعضهم حداً خرجت فيه عن حدود المعقول ، وحتى روى الرواة من الأمثلة من حفظ طائفة من الرواة ما يعد عندنا من قبيل المبالغة والتهويل

وبالجملة ، فقد دفعت تجارة « الحفظ » و « الرواية » الرواة الى غش البضاعة والمتـاجرة في « السوق السوداء » والتزوير ، فعلوا كل ذلك طلباً للمال ، فظهرت قصائد قيل فيها إنها جاهلية عريقة أصيلة لا لبس في أصلها ولا شك ، مع أنها كانت بنت العصر أو الساعة كما يقول المثل ، ومن وحي الربح المادي ، على أنها من أبدع ما أخرجه الفن ومن أجمل فنون القول ، ولو نسبت الى صاحبها الأصلي لجعلته من الخالدين ولتمائل أن يقول بعد ذلك : لم هذا الغش إذن والقصيدة درة من الدرر ، ترفع من شأن صاحبها وترفع من منزلته ؟ ولِمَ وضع حماد الراوية وخلف الأحمر وحماد بن الزبرقان وحماد عجرد وأمثـالهم على الشعراء القدماء ولم ينسبوه الى أنفسهم ، مع أن فيما وضعوه ما يرفعهم الى مصاف أعظم الشعراء ؟ ولـكن هل علم المتمائل أن دور التجارة الـكبرى قد تنتحل الأسماء ، وتختار من العناوين ما هو قديم وبعيد أو غريب لبضـاعة هي من أحسن ما نتجته المعامل أو الأيدي ؟ وأن التجارة تفعل ذلك لأن المشتري يحب أن يسمع بالغريب ، ويحب يزهو بالقديم ، وأن يتحدث عن الشيء الغريب ؟ وأن أصحاب الثروة بطرون يستسيغون ذكر المناسبات ويثيبون عليه ، فينتظر الشاعر مناسبة منها لينال ذلك الحظ ؟ أما الراوية ، فالمناسبات مهيأة له ، والحظ متيسر في كل وقت ، فقد يخطر ببال الخليفة خاطر من تفسير كلة أو بيت أو إمتاع نفسه بسماع قصيدة قديمة أو كلام غريب ، فيبعث بطلب الرواة ولوكانوا في أقصى الأقطار فحماد الراوية يطلبه الخليفة من العراق وهو في الشام لسماع أعجاز أبيـات عجز الرواة عن معرفـة قائليها ، والأصمعي يطلبه الخليفة من البصرة لاستعلامه شيئاً من الأدب ، وهناك أمثلة أخرى

(١) نريد بالأصيلة ما يقال له « رأس المال » عند الاقتصاديين

تريك كيف الخلفاء والملوك كانوا يطلبون الرواة على حير أن الشاعر كان هو الذي يطرق في الغالب أبواب القصور

لقد كانت الكوفة أكثر نشاطاً من البصرة في تأريخ العرب الجاهلي في الادب ، وقد يكون لقربها من الحيرة التي كانت مركزاً مقصوداً من الشعراء ومحطة ذات خطر في السياسة العربية دخل في ذلك ، فقد كانت مفتاح شبه الجزيرة ومركز مجمع للجيوش التي تريد تأديب الأعراب أو غزو العراق ، ولذلك كان لرواتها الفواق الى أن قويت مدرسة بغداد ، ففاقت المدرستين ، وجمعت بين خصائص البصرة والكوفة

إن الأخفش الصغير علي بن سليمان ، هو الشيخ الذي أستند اليه الأصبهاني في رواياته عن المفضل الضبي [1] والأخفش الصغير نفسه علم من أعلام الأدب وقد روى عن السكري ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابي راوية الضبي .

أما سند الطبري ، فقد كان عالماً من مشاهير علماء التاريخ ، هو عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة أبو زيد البصري (— ٢٦٢ هـ [2]) من كبار علماء البصرة بالتأريخ ، وله فيه مؤلفات مهمة بلغت « ٢٢ » مؤلفاً على حسب رواية ابن النديم [3]

أخذ ابن شبة من مشاهير علماء زمانه من أهل البصرة وغيرهم من رجال يمثلون مختلف فروع المعرفة والثقافة في ذلك العهد ، أمثال : ابن مهدي والطيالسي والقطان في الحديث ، والأصمعي في التأريخ والأدب ، وعلي بن محمد المدائني في التاريخ ، كما روى عنه عدد وافر من العلماء أمثال : ابن ماجه [4] ، وأحمد بن يحيى ثعلب النحوي الشهير (— ٢٩١ هـ) [5] ،

(١) توفي سنة ٣١٥ ـ أو ٣١٦ هـ وفيات الأعيان (٤١٨/١) ذكر له من الكتب كتاب المقاتلين الأغاني (٣٧/٢) ، أعتقد أنه رواية لكتاب محمد بن حبيب أخذها عن السكري راوية ابن حبيب والاغاني (٣٩/٦ ، و ١٠١/٩) ذكر الآمدي له كتاباً آخر سماه « الأمالي » المؤتلف (ص ١٢٨).

(٢) وفيات الأعيان (٤٧٨/١) ، ابن حجر : التهذيب (٤٦٠/٧) ، السيوطي : بغية الوعاة (ص ٣٦١) . المزهر (٢٦٧/٢) ، زهر الآداب (٩٧/٣) إرشاد الأريب (٤٨١/٦) ، Brockelmann, Suppl. 1. S و 209

(٣) الفهرست (ص ١٦٣)

(٤) Brockelmann, suppl., t, S, 27[illegible]

(٥) الفهرست (٧٤) ، ارشاد (١٣٣/٢ وما بعدها)

وأحمد بن يحيى البلاذري المؤرخ الشهير (— ٢٧٩ هـ) صاحب كتاب « فتوح البلدان » « وأنساب الأشراف » ، وابن أبي الدنيا أبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد مولى قريش (— ٢٨١ هـ [١]) وكان قد عهد اليه بتربية المعتضد وعدد من أولاد الخلفاء، وهو صاحب مؤلفات كثيرة ، وأبي العباس محمد بن اسحاق بن ابراهيم بن مهران الثقفي السراج (— ٣١٣ هـ [٢]) ، وهو شيخ خراسان في الحديث والتاريخ ، له مسند في الحديث وكتب في التأريخ ، وقد نقل منه البخاري في كتابه في التأريخ وكان الطبري في جملة من روى عنه ، وقد أُعتمد عليه في كل أقسام كتابه قبل الإسلام وبعده ، وورد اسمه عنده أكثر من مئة مرة [٣] ، وقد قرأ كتبه ونقل منها

ويعتمد ابن شبة على علي بن محمد بن عبدالله بن أبي يوسف المدائني (— ٢٢٥ هـ [٤]) المؤرخ الشهير ، وكان من العارفين بأخبار العرب والأنساب والمغازي والفتوح ، ولا سيما فتوح خراسان وقد تخرج عليه طبقة من مشاهير الأخباريين والمؤرخين ، أمثال : الزبير بن بكار ، وابن أبي خيثمة ، وأحمد بن الحارث الخزاز ، والحارث بن أبي أسامة ، وأمثالهم [٥]

ورجع المدائني في أخبار خراسان الى المفضل الضبي حيث روى عن جده وأبيه وسأتحدث عن ابن شبة والمدائني في القسم الخاص بتاريخ الإسلام

لقد كان جل اعتماد الطبري في أخبار العرب قبل الإسلام على مؤلفات ابن الكلبي ولما كانت عناية ابن الكلبي موجهة نحو تأريخ الفرس وتاريخ الحيرة ، اتجه الطبري هذا الاتجاه ، فجاء بتفصيلات وأخبار قد لا نعثر عليها في الكتب التاريخية الأخرى ولما كان ابن الكلبي لم يوجه عنايته نحو تاريخ الشام قبل الاسلام ولا الى تأريخ الروم الا بقدر ما لهذا التاريخ من صلة

(١) ذكر أسماء كتبه ابن النديم ، وأكثرها في الأخلاق والزهد الفهرست (١/٢٦٢) ، زيدان : آداب (٢/١٧٢) ، وطبعت بعض كتبه ، فوات الوفيات (١/٢٣٦) ، ولد سنة ٢٠٨ هـ تذكرة الحفاظ (٢/٢٢٤) .

(٢) تذكرة الحفاظ (٢/٢٧٠) ، ولد سنة ٢١٦ هـ أو ٢١٨ هـ

(٣) راجع فهرست الطبري ترتيب دي غويه (ص ٥٠٨ :)

(٤) راجع ترجمة المدائني في إرشاد الأريب (٥/٣٠٩) ، له كتاب كبير في تأريخ الدولة العباسية ، قيل له : « كتاب الدولة العباسية »

(٥) تأريخ بغداد (١٢/٥٤) ، ارشاد (٥/٣٠٩ وما بعدها) ، الفهرست (١٠١)

بتاريخ الفرس والعراق ، بان ذلك على تأريخ الطبري ، ولذلك لا تكاد تجد للغساسنة مكاناً في كتابه مع أنهم كانوا مثل المناذرة في العراق أصحاب إمارة ومكانة عظيمة في تأريخ العرب في الشام

ولم يهم سائر المؤرخين الآخرين بتأريخ الغساسنة اهتماماً يذكر ، ولو كانوا أحسن حالاً من الطبري بكثير فما ورد عند ابن قتيبة أو اليعقوبي أو المسعودي أو حمزة الأصبهاني وان كان شيئاً كثيراً بالنسبة الى ما جاء في تأريخ الطبرى الذى كاد يسكت عنهم ، إلا أن ذلك لا يكاد يكون شيئاً بالنسبة الى ما يجب أن يكتب عنهم فكل ما جاء في هذه الكتب قوائم بأسماء الملوك مع تفصيلات يسيرة غير أن من حسن الحظ أن نجد جماعة من المؤرخين الأجانب أمثال « ملالا » « Malalas » [١] و « بروكوبيوس » « Procopius » [٢] و « ثيوفانس » « Theophanes » [٣] قد تعرضوا لتاريخ عرب الشام ، وكتبوا فيه ، وألقوا بصيصاً من النور على تأريخ العرب المظلم في الشام قبل الإسلام ، ومع هذا لا نستطيع أن نقول إننا قادرون أن نتحدث عن تأريخ منظم للعرب فى الشام قبل الإسلام وإذا أردنا أن نتحدث بكلام علمي صحيح ، نقول : إننا لا نستطيع حتى الآن أن نقول إننا قد تمكنا من الاطلاع على تأريخ العرب قبل الإسلام ، بل فى كل شبه جزيرة العرب وفي ضمن ذلك العراق ، لا فى الشام وحده

وأما تأريخ العرب فى اليمن ، فأكثره من قبيل القصص الشعبي ، وهذا هو الذى يلفت نظر المؤرخ الحديث ويبعث على الأسف فى الوقت نفسه . فالنصوص المدونة التي عثر عليها السياح في اليمن وفى جنوب بلاد العرب ، تتحدث كلها عن ثقافة عالية وحضارة مزدهرة ، كما أنها تتكلم على تاريخ منتظم إلى قبيل ظهور الإسلام ، فكيف أختفى ذلك التاريخ فجأة ؟ وكيف

---

(١) Malalas. ed. Oxon. Joannes Malalas, Chronographia, ed. L. Qindorf (Bonn , 1831) pp, 435, 451.

(٢) Procopius, History of the wars, ed, and tr. H. B. Dewing (London, 1904). Bk. 1. Ch. 20.

(٣) Theophanes, Chronographia, ed, C, de Boor Leipnyig, 1883. P, 240.

بجاهل عرب اليمن أمر تلك النصوص وتلك الكتابات ، ونسوا حتى الحروف الهجائية التي دونوا بها إلى قبيل ظهور الاسلام بقليل ؟ لو لم يكن لأهل اليمن هذه النصوص المدونة التي نقرؤها اليوم ، ما أزعجنا أنفسنا بهذه الأسئلة

أما وقد عثر النقابون على كتابات كثيرة ، وسيعثر العلماء على أكثر من ذلك بكثير اذا أتيح لهم الذهاب الى اليمن ، فان أسئلة الباحثين لن تقف فى الواقع عند حد حتى ييأسوا من العثور على كتابات بالمسند يرجع تاريخها الى أيام الرسالة أو بعد ذلك ، أو قبل ذلك بقليل ، وهناك سيتمكن العلماء من وضع حد لهذه التكهنات

هل كان أهل اليمن بعد احتلال الأحباش لبلادهم قد تركوا الكتابة بالمسند ، فلما ظهر الاسلام كان الكاتبون بها جد قليل ، ثم تركت نهائياً ، واستبدل بها الخط الذى كان شائعاً فى الحجاز أيام ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودونت به سور القرآن وكتب الرسول ؟ أو هل ترك أهل اليمن أنفسهم الكتابة بذلك الخط قبيل فتح الأحباش وأعرضوا عنه بالتدريج واستخدموا الخط الذي عرف بالحجاز وكان شائعاً بين أهل المدينة ، وهم تجار مثل إخوانهم أهل اليمن ، فلم يلبث أهل اليمن بحكم صلاتهم التجارية من تعوّد الكتابة بذلك الخط ومن التكلم باللهجة التي كانت شائعة فى كل شبه جزيرة العرب ، وهي اللهجة العربية التي نزل بها القرآن ؟

على كل نرى أن تأريخ اليمن هو على عكس ما كان يأمله المؤرخ الحديث ، أكثره قصص شعبي رواه رواة يرجعون أنسابهم الى اليمن ، ولذلك كان فيه مجال واسع للعاطفة والأهواء ، على حين يعتمد أكثر المؤرخين على القصص المنسوب لعبيد بن شرية الجرهمي الذي كانت له مجالس مع الخليفة معاوية بن أبي سفيان تحدث فيها بهذا القصص لا نجد لعبيد بن شرية ذكراً فى تأريخ الطبري ، مع أنه اعتمد على روايات وهب بن منبه وعلى روايات أخرى لا تختلف طبيعتها عن طبيعة هذا النوع المنسوب لعبيد ، فهل يعود سبب ذلك إلى عدم وثوق الطبري بأخبار عبيد وقد نقل كما قلت ما هو أضعف منها بدرجات ؟ أو لأنه لم يتمكن من الوقوف عليها ، فاقتصر كما قلنا فى أخبار ما قبل الإسلام على روايات ابن الكلبي فى تأريخ عرب ما قبل الإسلام وعلى ما ذكره ابن إسحاق ؟

ولم يتعرض كتاب عربي لأخبار المعينيين ، وهم أقدم عهداً من السبئيين أما أخبار سبأ ، فهي من قبيل القصص الشعبي ، وقد خلط القوم بين السبئيين والحميريين ، ولذلك كان أكثر ما ذكروه عن السبئيين لا يعود اليهم ، وإنما يخص الحميريين وقد دعوا الملوك الحميريين تبابعة ، وهو أصطلاح لم يرد فى النصوص الحميرية التي كانت تلقبهم باللقب المعروف عند العرب الشماليين وهو « ملك » وقد نقل الطبرى أخبار التبابعة من السيرة النبوية لابن إسحاق التي تمثل رواية أهل المدينة ، وهي رواية متأثرة بالقصص اليهودي ومن جملة الرواة الذين أخذ منهم ابن إسحاق ، أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي [١] ، وهو من أصل يهودي أسلم « أبو مالك » والد ثعلبة فى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو من يهود اليمن ، وتزوج أمرأة من قريظة [٢] ولدت له ثعلبة على أيام الرسول ، وقد روى هذا عن أبيه [٣]

ونجد بعض القصص الذى ذكره الطبرى عن التبابعة وأخذه من السيرة النبوية لابن إسحاق ، فى كتاب التيجان وقد نقله ابن هشام من المصدر الذى اعتمد عليه الطبرى ، أى السيرة النبوية لابن إسحاق رواية زياد بن عبد الله البكائي ، مثل قصة ربيعة بن نصر بن مالك والرؤيا التي رآها فى منامه وجمعه المنجمين والكهان والسحرة لتفسير تلك الرؤيا ثم استدعائه « سطيحاً وشقّاً » وقد ذكر الطبرىّ وابن هشام القصة باتفاق تام فى المعنى مع اختلاف يسير فى العبارات ، وذلك مما يشعرك بأن رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق كانت تختلف بعض الاختلاف عن رواية البكائي عن ابن إسحاق فى المتن [٤] ولما وصل الطبرى الى تفسير سطيح للرؤيا ، قال : « قال أبو جعفر ، وقد وجدته في مواضع أخر : رأيت حممة ، خرجت من ظلمة ، فوقعة بأرض بهمة ، فأكلت منها كل ذات جمجمة فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح ، فما عندك فى تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرّتين من حنش ، ليهبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين أبين الى جرش فقال له الملك : وأبيك يا سطيح ، إن هذا لغائظ موجع ، فتى هو كائن يا سطيح ؟ أفي زماني أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعده بحين ، أكثر من

(١) الطبري (٢/٩٦) طبعة مصر
(٢) أسد الغابة (٥/٢٨٨)
(٣) أسد الغابة (٥/٢٨٨)
(٤) الطبري (٢/٩٩) ، التيجان (ص ٢٩٣) .

ستين الى سبعين ... الخ » [١] وهذا المتن الذى أخذه الطبرى من مكان آخر ، لم يشر اليه ، ولكنه المتن الوارد فى كتاب التيجان [٢] مع اختلاف يسير جداً في عدد من الكلمات أفأخذ الطبرى هذه القطعة من كتاب التيجان صنع ابن هشام ، أم أخذها من نسخة أخرى من السيرة النبوية لابن إسحاق بنيت على رواية البكائي ؟ ولما كان ابن هشام قد أخذ هذا الخبر من السيرة النبوية لابن إسحاق رواية البكائي ، دل هذا الاختلاف على أن السيرة النبوية لابن إسحاق كانت تختلف متونها بعض الاختلاف ، كما كانت تختلف طولاً وقصراً بحسب تنوع الروايات وربما كان سببه قدم الرواية أو بعدها من المؤلف الذى كان يزيد عليها أو ينقص ، كما هو شأن كل مؤلف ، الى أن أخذت شكلها النهائي

ونجد قصة ذى نواس فى الطبرى [٣] ، وقد أخذها من السيرة النبوية لابن اسحاق ، ونجد هذه القصة في كتاب التيجان [٤] كذلك ، غير أن ابن هشام لم يشر الى المصدر الذى نقل منه والظاهر من اتفاق العبارات أنه أخذها من السيرة النبوية لابن اسحاق

إن القصة التي ذكرها الطبرى عن انتشار النصرانية فى اليمن وعن تعذيب ذى نواس لهم وإجبارهم على التهود وتحريقهم بالنار وقصة الراهب فيميون ، قد أخذها من ابن اسحاق ، وأخذها ابن إسحاق عن المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس عن وهب بن منبه [٥] ، وعن يزيد ابن زياد عن محمد بن كعب القرظي ومن جماعة من أهل نجران [٦] وهي تقارب في الواقع الرواية النصرانية التي ألفت عن « الشهداء المسيحيين » .

إن قصة التعذيب هي جزء من المشكلات السياسية العالمية التي كانت تشغل بال سياسي ذلك الوقت ، وهي ذيل من ذيول النزاع الذى كان بين الشرق والغرب بين الفرس والروم ، أى البيزنطيين ، وجزء من سياسة اضطهاد اليهود في الانبراطورية البيزنطية عقبه تحريض اليهود

---

(١) الطبري (٩٩/٢) (٢) التيجان (ص ٢٩٣ — ٢٩٤)
(٣) الطبري (١٠٢/٢) (٤) التيجان (ص ٣٠٠)
(٥) الطبري (١٠٣/٢)
(٦) الطبري (١٠٤/٢) ، ويقال : ابن أبي زياد مولى عبدالله بن عياش ، روى عن محمد بن كعب القرظي وعبدالله بن رافع مولى أم سلمة . تهذيب التهذيب (٣٢٨/١١)

ذا نواس وأمثاله على اضطهاد المسيحيين انتقاماً من البيزنطيين

والظاهر من تشابه ما ورد في أخبار وهب بن منبه عن تعذيب النصارى وما جاء في كتاب « شمعون الأرشامي » صديق الحجاج بن قيس الحميري المعروف باتصاله بالملك المنذر الثالث ملك الحيرة عن تلك الحادثة ذلك الذي قرأ في الكنائس ليسمع تلك الفاجعة المؤمنون من أبناء الكنيسة ، أن وهب بن منبه كان قد سمع بتفاصيل هذا الحادث ، فوعاه ، وربما كان قد قرأ في كنيسة نجران ، فسمعه النصارى واليهود ، ووعوه وحفظوه من نصارى الحبشة الذين احتلوا اليمن ، ومن هذه الروايات أخذ وهب أخباره عن ذي نواس

أحدث خبر تعذيب نصارى نجران ضجة في العالم ، ودعا الى غزو اليمن ، وقد تذرع به البيزنطيون الى الانتقام من الأحزاب التي كانت تناصر الفرس في اليمن ، ولا سيما اليهود ، فحرضوا الأحباش على فتح اليمن لتتم لهم السيطرة على البحر الأحمر ومضيق باب المندب ، وقد أخذ كتاب شمعون الأرشامي الذي وصف فيه فظائع ذي نواس في اليمن من كتاب كان قد بعث به ذو نواس الى المنذر الثالث ملك الحيرة مع وفد حميري ليحثه على التنكيل بالنصارى الذين في رعيته ، وكان شمعون في جملة وفد أرسله انبراطور بزنطة برئاسة إبراهام والد المؤرخ نونوسوس « Nonnosus » للمفاوضة مع ملك الحيرة في تحسين العلاقات بين العرب والروم

وقد وجه شمعون كتابه الى أسقف جبلة ليوصله الى أساقفة الروم وأسقف الاسكندرية ، لحمل النجاشي على تهديد ذي نواس ، ولإيصال صور منه الى أحبار طبريا للتوسط لدى ذي نواس بالكف عن التعذيب (١) وقد تردد صدى هذا الحادث في كتاب آخر وضع باللغة السريانية ، وضعه يعقوب السروجي ، وقصيدة نظمها على ما يقال بولس أسقف الرها عجيداً لشهداء نجران ، ويظهر أنها ترجمة لقصيدة وضعت في الأصل باللغة اليونانية ، وضعها أحد الشعراء وهو « Psaltes Johannes » في شهداء نجران (٢)

وقد جلب هذه الحادثة بالطبع انتباه المؤرخين ، فكتبوا فيها ، مثل ملالا « Jahannes Malala » و « Boissonade » عن الشهيد حارثة « Aretha » الذى استشهد مع أصحابه

---

(١) Axel moberg, The Book of the Himyarites (Lund, 1924)

(٢) راجع الجزء الثالث من تأريخ العرب قبل الاسلام : شهداء نجران

فى نجران ، وشمعون متفراستس « Simeon Methphrastus » الذى وضع بحثاً خاصاً عن حادثة نجران ومن هؤلاء استمد بقية المؤرخين من يونان وسريان ، أمثال : ثيوفانس المؤرخ البزنطي ، وجورج كيدرينوس« George Cedrenus » ، ونيقوفورس كالتي « Nicephorus Callist » أخبارهم عن حادث نجران واحتلال الأحباش لليمن

على كل استمد الطبرى حديثه عن ذى نواس وفتح الأحباش ، وهو حديث واسع استغرق عدة صفحات من الكتاب ، من وهب بن منبه ومن جماعة من مسلمة اليهود ومن رواية أخرى كانت تمثل رواية أهل الكوفة ، هي رواية ابن الكلبي ، وقد أخذها ابن الكلبي — على ما يظهر — من نصارى الحيرة الذين عنوا بهذا عناية فائقة ولذا كانت رواية ابن الكلبي أقرب الروايات العربية الى كتاب يعقوب الأرشامي وروايات اليونان والسريان

نرى مما تقدم أن موارد تأريخ العرب قبل الاسلام موارد محدودة ، وهي تافهة المادة بالنسبة الى الجاهلية البعيدة من الإسلام أما بالنسبة الى العهد القريب من الإسلام ، فان ما جاء فى الكتب مما يبعث على الاطمئنان ، ففيه مادة يمكن أن يقال فيها إنها مادة تاريخية ، وإن الطبرى لم يهتم اهتماماً جدياً بتأريخ العرب قبل الإسلام فى الشام وفى سائر الأنحاء ماخلا العراق

السيرة النبوية :

أعتقد أني قد ألقيت نظرة سطحية عامة كافية على القسم الأول من تأريخ الطبرى ، وهو القسم الخاص بما قبل الاسلام ، أى « المبتدأ » ، وهو تاريخ العالم منذ الخليقة الى السيرة النبوية ، وعرفت معرفة تقريبية المصادر التي كونت ذلك القسم وقد وجدت أن للسيرة النبوية لابن إسحاق منزلة مهمة بين تلك المراجع التي كونت تلك الفصول وقد حافظت السيرة على هذه المكانة ، بل تجاوزت في القسم الأوسط مصادر أخرى كانت تزاحمها ، وأخذت مكانها ، وأصبحت المرجع الأول في السيرة النبوية عند الطبرى وكما أن الكتاب العربي بودقة تصهر فيها الكتب السابقة ، وقد رأينا كيف صهر الطبرى مواد كتب سابقة فى بودقته فنتجها كتابه الذى تحدثنا عنه ، فكذلك كانت السير النبوية لابن إسحاق عصارة كتب سابقة جمعت فى صعيد واحد ، بين سلسلة سند يطول ويقصر على حسب بعد ابن إسحاق وقربه من المؤلف فحفظت بذلك

نماذج من أقدم الكتب التي ألف فى صدر الاسلام ، يرينا أمثلة من طراز التأليف والإنشاء العلمي فى ذلك العهد

إننا لا نعرف فى الواقع ، أول كتاب حمل اسم « سيرة الرسول » ، وإن كنا نعرف أن من بين الكتب الكثيرة التي قيل لها كتب السيرة كتاب السيرة لابن اسحاق والسيرة لابن هشام وكلمة « سيرة » كلمة معروفة بالطبع ، ولكن تأريخ تخصيصها بسيرة الرسول أمر لا نعرفه حتى الآن وقد استعملت فى ترجمة سير أشخاص آخرين ، مثل كتاب سيرة معاوية بن أبي سفيان [١] ، وكتاب سير الملوك ، وسير ملوك العجم ، فهي فى معان عامة [٢] وقد اقترنت « السيرة » أو « السير » بلفظة « المغازى » في الأكثر ، فقيل « السيرة والمغازى » أو « السير والمغازى » [٣]

وأقدم من ألف فى السيرة والمغازى عروة بن الزبير « ٢٣ — ٩٤ هـ » شقيق عبد الله بن الزبير ، وأبان بن الخليفة عثمان بن عفان « ٢٢ — ١٠٥ » ، وشرحبيل بن سعد (— ١٢٣ هـ) ، وعاصم بن عمرو بن قتادة المتوفى بين سنتي (١١٩ — ١٢٩ هـ) ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري « ٥١ — ١٢٤ هـ » ، وموسى بن عقبة (— ١٤١ هـ) وكل هؤلاء هم من أهل المدينة ، وقد تأثروا برأي أهل المدينة الذى يميل الى الحديث

وظهر فى خارج المدينة علماء وجهوا عنايتهم لدراسة السيرة النبوية ، مثل سليمان بن طرخان أبي المعتمر القيسي (— ٩٤٣ هـ [٤]) ، ومعمر بن راشد (— ١٥٣ هـ [٥]) وهو من أهل البصرة ولكنه انتقل الى اليمن فأقام بها ونشر العلم هناك

---

(١) كتاب سيرة معاوية وبني أميه لعوانة بن الـكلبي الفهرست (ص ١٣٤)

(٢) Ecny - of Islam. vol, 4. P, 440. Noldeke. Gesch. der Perser und Araber. P. XIV—XVI

(٣) Noldeke — Schwally. Gesch. d. qorans. vol, 2. P, 221.

راجع عن أقدم كتب السير والمغازي بحث المستشرق « Horovitny » في مجلة « الثقافة الاسلامية »

Horovitny. The earliest Biographies of the Prophet and their Authors. Ist. Culture. 1927. 1. P 535 f. 2. P, 22 — 50, 164 — 82. 415 — 526.

(٤) تذكرة الحفاظ (١/١٤٣)

(٥) تذكرة الحفاظ (١/١٧٨)

أما عروة بن الزبير بن العوّام ، فهو من أسرة أرستقراطية رفيعة في الجاهليـة والإسـلام ، إلا أنه كان كأبن عباس علمي المزاج ، همه الدراسة والرواية ، فلم ينجرف في تيارات السياسـة ، ولم يسهم في الحروب الأهلية ، ولم يشارك في ثورة أخيه عبدالله بن الزبير على الأمويين ، بل انصرف بكليته الى الدراسة ، والى العناية بجمع حديث الرسول والبحث في سيرته ومغازيه ، فأخذ عن علي بن أبي طالب وعائشة وأبي هريرة وأمثالهم ، ويقال إنه وضع كتاباً في المغازى لم يصل إلينا ، كما كتب بحوثاً في موضوعات إسلامية ، وذلك بناء على طلب الخليفة عبدالملك بن مروان [١] وكان يعد أحد الفقهاء السبعة بالمدينة [٢]

وأما أبان بن الخليفة عثمان بن عفان ، فانه وإن كان قد شارك في بعض الأحداث مثل وقعة الجمل حيث كان في جانب عائشة وتولى إمارة المدينة في أيام عبد الملك بن مروان ، لم يقم مع ذلك بعمل مهم في السيرة السياسية ، ولم يؤيد الأمويين تأييداً قوياً ، بل كان في جانب المحـايدين ، مفضلاً الاشتغال بالحديث والسيرة والمغازى [٣]

ويشاركه في هذا الميل شرحبيل بن سعد ، وعاصم بن عمرو بن قتادة ولم يبق من كتبهم شيء سوى ما اقتبس منها في الكتب الأخرى ، ولا سيما في كتاب السيرة لابن اسحاق

وكان محمد بن مسلم بن شهاب الزهري صاحب دراسات وأبحاث في التاريخ والحديث والفقه ، وقد كلفه الخليفة عمر بن عبد العزيز أو هشام بن عبد الملك تدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدون ذلك في كتاب حفظ في خزانة الكتب [٤] وكان يكتب ما يسمعه ويجمعه من مشايخه ، وتكونت من كتاباته هذه مجموعات ضخمة دخلت قصور الخلفاء الأمويين فلما قتل الوليد ، حملت الدفاتر على الدواب من خزانة الوليد من علم الزهري [٥] وأمر الخليفة هشـام اثنين من كتابه بمرافقة الزهري ، لتدوين ما كان يمليه على الناس ، فرافقـاه سنةً في مجالسه التي كان يحاضر فيها ، فأودع ذلك خزانة هشام [٦] والظاهر أن هذه الأمالي هي

---

(١) الخزرجي : أسماء الرجال ص ١٢٤ (القاهرة ١٣٢٢ هـ) ابن سـعد (ج ٣ قسم ١ ص Ency. of Islam. vol, 4. P, 1047. (XVI

(٢) ابن خلكان (١/٣٩٩) ، حلية الأولياء (٢/١٧٦)

(٣) ابن سعد (٥/١١٢)

(٤) حلية الأولياء (٣/٣٦٢) Ency. of Islam. vol, 4. P, 443.

(٥) حلية الأولياء (٣/٣٦١) (٦) حلية الأولياء (٣/٣٦١)

المجموعة التي أشير اليها فى الحديث وكان لا يبخل على الناس بالـكتب ، ولا يحضر مجلساً الا ومعه كتاب يدرس فيه ، مع أن من عادة أهل ذلك الزمن الاعتماد على الحافظة وعدم الـكتابة فى الدفاتر وكان يراجع الأدب والتفسير والشعر والأخبار والأنساب وقصص الأنبياء ، يملي ذلك على الناس أو يلقيه ، وينتقل بين الشام والحجاز ، ولذلك كان أ كثر رواته من هذين القطرين ومع كثرة مدوناته ، لم يبق من مؤلفاته هذه شي.

أما موسى بن عقبة ، فحظه خير من حظ المتقدمين ، إذ وصل الينا قطعة من مؤلفاته في المغازى طبعها المستشرق « سخاو » ، لا نستطيع أن نكوّن منها فكرة علمية صحيحة عن مؤلفات ابن عقبة [١] . ويظهر من ثناء كبار العلماء على كتاب موسى بن عقبة أنه كان كتاباً مهما وقد رواه عنه حفيـده اسماعيل بن ابراهيم بن عقبة [٢] وظل الـكتاب متداولاً قروناً عدة بعـد وفاة المؤلف ، فمن قرأه الذهبي [٣]

وقد حفظ ابن اسحاق باقتباساته من كتب هؤلاء نماذج من تلك المؤلفات القديمة فى السيرة.. ودخلت تلك النماذج فى كتاب الطبرى عن طريق السيرة لابن اسحاق ، ومن طرق أخرى مثل كتب الواقدى محمد بن عمر الواقدىّ (— ٢٠٧ ﻫ [٤]) ، وكان من علماء المغازى والسير والفتوح واختلاف الناس فى الحديث والفقه والأحكام ، ومن ممثلي مدرســـة المدينة ببغداد ، وكان صاحب مؤلفـات كثيرة جماعة للـكتب ، ترك بعد وفاته خزانة كتب ضخمة تناول بحوثاً مهمة في التاريخ ، وألف في الفتوح والأحداث التي وقعت في صدر الاسلام مثل الردة والسقيفة ووقعة الجمل ووقعة صفين والخوارج وأمثال هذا [٥] وقد ذهب الدهر بأ كثر

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/XXI)

Sachau. Das Berliner Fragment des M. b. cu. SBBA. 1904. XI.

(٢) ابن سعد (٣/XXI) (٣) تذكرة الحفاظ (١/١٠٤)

(٤) Noldeke — Schwally. 2. P, 133

(٥) الفهرست (س ١٤٤) ، وقد ذكر أسماء كتبه ابن سعد (٥/٣١٤ فما بعدها) ، تأريخ بغداد (٣/٣ فما بعدها) ، ابن قتيبة : كتاب المعارف (١٧٦) ، السمعاني : الأنساب ، الورقة (٧٧ ٥ ب) ، ياقوت : الإرشاد (٥/٥٥) ، الذهبي : تذكرة الحفاظ (١/٣١٧) ، السيوطي : طبقات الحفاظ (١/٧٤) ، ابن حجر : التهذيب (٩/٣٦٣) ، اليافعي : المرآة (٢/٣٦) ، العماد : الشذرات (٢/ ١٨)

Brockelmann. Suppl. 1. P, 207. Goldziher, in ZDMG. 60,221. Horovitz. in Ibn Saad. vol, 2. Part. 1. P, 127.

هـــذا ، وإنا لنجد مقتبسات منها في تأريخ الطبري وفي المؤلفات الأخرى وأهل الحديث يضعفونه ويقولون عنه إنه كان لا يتقي الحديث ولهذا السبب ، على ما يظهر ، فضل الطبري الراوية سيف بن عمر عليه في موضوع الردة وفي موضوعات أخرى ، مع أنه كان يفوق سيف بن عمر درجات

ويظهر من « كتاب المغازي » الذي طبعه المستشرق « فون كريمر » أنه كان يميل الى الفقه ، ويتجلى ذلك في خروجه من الموضوعات التأريخية الى المباحث الفقهية التي لا علاقة لها بالموضوع الذي كان يبحث فيه

والكتاب هو رواية عبد الوهاب بن أبي حية ، عن أبي عبد الله محمد بن شجاع الثلجي ، عن الواقدي ويظهر من دراسته أن ما جاء بعد الصفحة ٣٦٠ حتى الصفحة ٤٣٩ لم يكن من أصل الكتاب ، وإنما هو تكملة متأخرة أضيف إليه لا قيمة لها [1] ، وان عبارات زائدة قد أدخلت في النص الأصلي للكتاب ، والظاهر أن الرواة والشراح هم الذين أدخلوها

والنص المطبوع لا يمثل النص الأصلي لكتاب المغازي على نحو ما وضعه الواقدي ، وانما هو على نحو ما أورده الرواة عن الأصل ، ولذلك كان من المحتمل أن يكون هؤلاء الرواة قد أدخلوا عليه تعديلات كتلك التي أدخلها ابن هشام وشيخه البكائي على السيرة النبوية لابن اسحاق

ويظهر ذلك من المقابلة بينه وبين النصوص المأخوذة من السيرة النبوية لابن اسحاق المدونة عند ابن هشام وفي تأريخ الطبري فنجد اختصاراً في مواضع ، وحذفاً للأسانيد في مواضع أخرى

ومن المعروف أن الواقدي قد نقل من السيرة النبوية لابن اسحاق على كل حال يكون من الممكن إعادة طبعه بمقابلته بنسخة أخرى لم تكن مهيأة « لفون كريمر » حين طبع الكتاب ، هي نسخة المتحف البريطاني ، وبنسخ أخرى عثر عليها فيما بعد ، وبالنقول والمقتبسات التي أخذت

(١) عبد الوهاب بن أبي حية أبو القسم (أبو القاسم) المتوفى سنة ٢٩٥ هـ ببغداد .
كتاب المغازي للواقدي ، القسم ٤ ، المقدمة (ص ١) محمد بن شجاع أبو عبد الله بن الثلجي الفقيه المتوفى سنه ٢٦٦ هـ (ولد سنة ١٨١ هـ) روى عن ابن علية والواقدي والحسن بن زياد اللؤلؤي ووكيع ويحي بن آدم وأمثالهم روى عنه الحسن بن صالح البغدادي ويعقوب بن شيبة ضعف ، واتهم بالكذب ، ورمي بالتشبيه تهذيب التهذيب (٩/٢٢٠)

Noldeke Schwally. 2. P, 133.

من النص الأصلي ، وبالاستفادة من القسم المترجم الى الفارسية

واستمد من كتب الواقدي كاتبه محمد بن سعد (— ٢٣٠ هـ) صاحب كتاب الطبقات ، ولم يذكر أبن النديم له من الكتب غير « كتاب أخبار النبي » وذكر الذهبي له كتاب « الطبقات الكبير » وكتاب « الطبقات الصغير » وكتاباً في التأريخ [١] ولا يستبعد أن يكون أبن سعد قد نقل من كتب الواقدي ولإثبات ما ذكره أبن النديم من أنه « ألف كتبه من تصنيفات الواقدي » [٢] ، أو نفيه ، يحتاج حقاً الى مقابلة أقوال أبن سعد بأقوال الواقدي والمطابقة بينها مطابقة تامة ، كما يستحسن المقابلة بينها وبين أقوال ابن إسحاق للغرض نفسه ، ولذلك يجب الرجوع الى تأريخ الطبري لتحقق أمثال هذه الأمور والذى ثبت لدي هو أن أبن النديم قد يتحامل على جماعته تحاملا لا يستند الى دليل

« وكتاب أخبار النبي » الذى ذكره أبن النديم ، هو القسم الأول من كتاب « الطبقات » على رأي المستشرقين ، وهو القسم الذي يتناول سيرة الرسول [٣] وهو أكثر تفصيلا من السيرة النبوية لابن هشام في بعض الفصول ، كما أنه أكثر اختصاراً منها في فصول أخرى ، ولا سيما الفصل الخاص بحالة العرب قبل الاسلام وطفولة الرسول صلى الله عليه وسلم والمغازي وقد أستعان أبن سعد بالسيرة النبوية لابن اسحاق بالرغم من عدم تصريحه بذلك دائماً بذكر السند ويظهر أنه استعان بنسختين من نسخ السيرة : بنسخة ابراهيم بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني (— ١٨٣ هـ) قاضي المدينة المحدث الشهير وصاحب المغازي الذى روى عنه البخارى ، وبنسخة هارون بن أبي عيسى الشامي

ولإتمام هذه المقدمة لا بد من التحدث عن شخص آخر له أثر مهم في تأريخ الطبرى وفي السيرة النبوية ، هو أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني (— ١٧٠هـ) ، وهو فقيه وصاحب مغاز . ومن مشايخه : محمد بن كعب القرظي ، ونافع مولى ابن عمر وقد اشتهر كتابه في المغازي

---

(٢) تذكرة الحفاظ (٢/١٢) (٣) الفهرست (ص ١٤٥)

(٣) Ency, Vol, 2. P, 413

الذي ذهب الدهر به كسائر الكتب الأخرى سوى اقتباسات التي حفظها الواقدي وابن سعد والطبري وقد نقل الطبري منه في أخباره عن الأنبياء وعن سيرة الرسول وفي الحوادث الى أيام وفاة أبي معشر تقريباً [١] ولم يكن يتقيد بالإسناد تقيداً تاماً ، لذلك لم يعده أهل الحديث في جملة كبار المحدثين ، مع أنهم اعترفوا له ـ بصورة عامة ـ بصدق الحديث والرواية في التأريخ والأخبار [٢]

* * *

نعود بعد هذه المقدمة الى تحليل قسم السيرة والمغازي من تأريخ الطبري لنرى موقع من تقدموا في هذا الكتاب

أما عروة بن الزبير ، فقد ورد اسمه في « ٧٩ » موضعاً [٣] من الكتاب في أخبار ما قبل الإسلام وفي السيرة وما بعد السيرة ، وبطرق إسناد متنوعة ، فتجد له قولا في قوم لوط أخذه الطبري عن شيخه عبد الرحمن بن الأسود الظفاري عن محمد بن ربيعة عن روح بن غطيف الثقفي عن عمرو بن مصعب عن عروة بن الزبير ، ويتصل حديثه في هذا الموضع بعائشة [٤] ، ولم يذكر الطبري له رواية أخرى فيما قبل الاسلام

أما أخباره في السيرة فتبدأ عند الطبري بمبدإ المبعث حيث أورد له قولاً أخذه عن شيخه محمد بن المثنى بن قيس بن دينار العنزي أبي موسى البصري المتوفى بين سنتي ٢٥٠ـ٢٥٢ هـ [٥]

---

(١) اليعقوبي (٢/٢٣ه) ، الفهرست (١/٩٣) « طبعة أوربة » (ص١٣٦) طبعة مصر ، تأريخ بغداد (١٣/٤٢٧) ، تذكرة الحفاظ (١/٢١٩) ، ابن سعد : مقدمة « سخاو » (جـ ٣ ق ١ ص XXVII)

Suppl, 1. S, 207. wustenfeld. Gesch. No. 3' MSOS. 1904. 8ff.

(٢) تذكرة الحفاظ (١ ص ٢١٦) ، روى عن سعيد بن المسيب وهشام بن عروة وموسى بن يسار وغيرهم « لين الحديث » « ضعيف ، إسناده ليس بشيء » « منكر الحديث » « كان كثير الحديث ضعيفاً » « لم يكن متين الرواية » « أبو معشر له مكان في العلم والتأريخ ، وتأريخه احتج به الأئمة ، وضعفوه في الحديث » تهذيب التهذيب (١/٤٢٢)

(٣) فهرست الطبري (ص ٣٨٢) (٤) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٣٢٧)

(٥) تهذيب التهذيب (٩/٤٢٥) ، تذكرة الحفاظ (٢/٨٦)

محدث البصرة عن الحجاج بن المنهال (— ٢١٧ هـ)[1] من رؤساء مدرسة الحديث في البصرة عن شيخه حماد بن سلمة بن دينار البصري (— ١٦٧ هـ.)[2] ، وهو من كبار المصنفين للكتب في البصرة مثل معاصره سعيد بن أبي عروبة (— ١٥٦ هـ.)[3] الذي يرد أسمه في تأريخ الطبري كذلك ، وروى عن الحسن البصري ومحمد بن سيرين وأبي رجاء العطاردي ومطر الوراق وقتادة ، وكان من أثبت الناس في حديث قتادة وكان حماد الى علمه بالحديث فقيهاً فصيحاً بارعاً في العربية والأخبار وقد تحدث عن عمرو بن دينار (— ١٢٥ هـ.)[4] ، وهو عالم الحرم ، ومن تلاميذ ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك وطاووس وعروة ابن الزبير

ويرد أسم « أبن المثنى » في « ٣٩ » موضعاً من تأريخ الطبري ، ويتصل سنده في هذه المواضع بقتادة [5]، وبأبي التياح عن أنس [6]، وبأبي ظبيان عن أبن عباس[7]، وبمجاهد [8] ، وبسعيد بن المسيب [9] ، وبسعيد بن جبير [10] ، وبعلي بن أبي طالب [11] ، وبعكرمة عن عبد الله بن عباس [12] وتتعلق هذه المواضع بأخبار ما قبل الاسلام ، وقد أخذ أكثرها من كتب التفسير .

(١) تذكرة الحفاظ (٣٦٤/١) ، المعارف (ص ٢٢٧)

(٢) الطبري ، الأولى (١١٤٠) روى عنه ابن جريج والثوري وشعبة ، كان له كتاب فيه حديثه عن قيس بن سعد وقد ضاع في حياته تهذيب التهذيب (١٥/٣) ، تذكرة الحفاظ (١٨٩/١) « هو أول من صنف التصانيف مع ابن أبي عروبة ، وكان بارعاً في العربية ، فقيهاً ، فصيحاً مفوهاً »

(٣) تذكرة الحفاظ (١٦٧/١) هو سعيد بن مهران العدوي أبو عروبة البصري ، روى عن قتادة والحسن البصري ومطر الوراق. كان أعلم الناس بحديث قتادة توفى سنة ١٥٦ هـ أو ١٥٧ هـ . قال بعضهم : له مصنفات كثيرة ، وقال أبو حاتم : « لم يكن لسعيد بن أبي عروبة كتاب ، إنما كان يحفظ ذلك كله » اختلط في أواخر عمره تهذيب التهذيب (٦٥/٤)

(٤) تذكرة الحفاظ (١٠٦/١) ، ولد سنة ٤٦ هـ وسمع ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك ، وتوفي على رأي بعض الرواة سنة ١٢٦ هـ . وكان في الطبقة الأولى من الحفاظ مثل الزهري وقتادة وأبي اسحاق السبيعي ومع ذلك فقد قال عنه بعضهم إنه كان ضعيف الحديث ، وإنه واهي الحديث ، ومنكر الحديث تهذيب التهذيب (٣١/٨)

(٥) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٩ — ١٠)

(٦) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١٢)

(٧) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٣١ ، ٤٨)

(٨) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٣٣)

(٩) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٨٣)

(١٠) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٨٨) .

(١١) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٧٥)

(١٢) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٩٢ ، ٣١٠)

ورد له أخبار في السيرة كذلك ، أخذ قسماً منها من السيرة النبوية لابن اسحاق كالذى ذكره له الطبري بسنده عن وهب بن جرير بن حازم الذى مر ذكره ، وهو من مشاهير المحدثين وأصحاب الأخبار في البصرة [1] ، عن محمد بن اسحاق [2] وأخذ بعضها من سيرة الزهرى ، أخذها عن شيخه أبي داوود الطيالسي البصرى (— ٢٠٤ هـ [3]) مولى آل الزبير عن ابراهيم ابن سعد الزهرى الذى تحدثنا عنه ، عن الزهرىّ [4] ، أو عن شيخه يزيد بن هارون الواسطي (— ٢٠٦ هـ [5]) من مشاهير الحفاظ في العراق عن سفيان بن حسين الزهرىّ [6] ، كما أخذ عن أشخاص آخرين

ورجع اليه الطبرى فى أخبار عمر بن الخطاب [7] ولم يذكر له خبراً بعد ذلك ، وقد أعتمد عليه في كتابه « المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تأريخ الصحابة والتابعين » المطبوع بعد التأريخ ، فذكر في خمسة مواضع من الكتاب [8]

ولم يرد أسم الحجاج بن المنهال شيخ أبن المثنى بكثرة في التأريخ ، فلم يرد إلا خمس مرات . ورد مرة فى التأريخ القديم وقد ذكر خبراً أخذه بسنده عن عبد الله بن عمر النميرى عن يونس أبن يزيد (— ١٥٢ أو ١٥٩ هـ) [9] مولى معاوية بن أبي سفيان ، وكان من أصدقاء الزهرى ، وأشتهر بمعرفته بأحاديث الزهرى وأخذ الطبري حديثه هذا بواسطة شيخه محمد أبن مرزوق [10] وورد مرة أخرى فى السيرة النبوية ، وقد تحدث الى الطبرى برواية الحجاج وشيخه محمد بن المثنى بنفس السند الذى مر سابقاً ، ويتصل بحماد بن سلمة عن عمرو بن دينار

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/٣٠٧) : وهب بن جرير بن حازم أبو العباس البصري الحافظ تهذيب التهذيب (١١/١٦١)

(٢) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٩٦٦)

(٣) تذكرة الحفاظ (١/٣٢٠)

(٤) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١٧٨٨)

(٥) تذكرة الحفاظ (١/٢٩٢)

(٦) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١٧٨٨)

(٧) الطبري ، الدورة الأولى (٢٧٣١ ، ٢٧٤)

(٨) (ص ٢٣٩٥ ، ٢٤٠٥ ، ٢٤٧٢ ، ٥٥٤٩)

(٩) تذكرة الحفاظ (١/١٥٣)

(١٠) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٤٢٠) محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي ، توفي سنة ٢٤٨ هـ تهذيب التهذيب (٩/٤٣٢)

عن عروة بن الزبير ، أو بجاهد بن سلمة عن أبي حجرة عن أبن عباس [(١)] وذكر أسمه مرتين في « ذيل المذيل » المار الذكر [(٢)] وهنالك طرق اسناد أخرى وصلت سند الطبرى بعروة بن الزبير ، هي طريق أحمد بن عثمان المعروف بأبي الجوزاء تلميذ وهب بن جرير عن والده عن النعمان بن راشد عن الزهري عن عروة بن الزبير [(٣)] ، وطريق شيخه يونس بن عبد الأعلى الصدفي البصري (— ٢٦٤ ﻫ) [(٤)] عن شيخه أبن وهب عن يونس عن أبن شهاب الزهرى عن عروة [(٥)] ، وطريق أحمد بن حبيب الطوسي شيخ الطبرى عن أبي داوود الطيالسي عن جعفر بن عبدالله بن عثمان القرشي عن عمر بن عروة بن الزبير [(٦)] ، وطريق شيخه عبد الرحمن أبن عبدالله بن عبد الحكم عن عبد الملك بن مسلمة عن أبي لهيعة عن أبي الأسود عن عروة [(٧)]

ونقل الطبرى شيئاً من رسائل بعث بها عروة بن الزبير الى عبد الملك بن مروان ، وكان الخليفة يراسله فيسأله أسئلة يجيب عنها بكتب يرسل بها الى الشام ، أو يحملها هو اليه ، وأحيانا كان يجيب عنها في مجالس الخليفة وكان عروة من المترددين الى سورية ، وكانت علاقاته بهم حسنة بالرغم من أختلاف عبد الله بن الزبير معهم وقيامه بالثورة عليهم ومن جملة ما حفظه الطبرى من هاتيك الكتب كتاب رواه له شيخه علي بن نصر بن علي الجهضمي البصرى (— ٢٥٠ ﻫ) [(٨)] من رواة البصرة ومن رواة وهب بن جرير بن حازم وأبي داوود الطيالسي وعبد الصمد بن عبد الوارث وسهل بن حماد وعبد الله بن يزيد المقرى وسليمان بن حرب وأبي عاصم وأمثال هؤلاء من هذه الطبقة التي عاشت في القرن الثالث ، وتزعمت مدرسة الحديث في البصرة ، وتأثرت بمدرسة المدينة أكثر من أهل الكوفة الذين مثلوا المدرسة العراقية في الحديث

وروى أقوال عروة لعلي بن نصر شيخه عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث بن

---

(١) الطبري ، الدورة الأولى (١٨٣٤) (٢) (ص ٢٤٨٣ ، ٢٥٣٣)
(٣) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١١٤٧)
(٤) تهذيب التهذيب (١١/٤٤٠) ولد سنة ١٧٠ — تذكرة الحفاظ (٢/٩٨)
(٥) الطبري ، الدورة الأولى (١١٤٨) (٦) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١١٥٤)
(٧) الطبري ، الدورة الأولى (١١٦٧)
(٨) تهذيب التهذيب (٧/٣٩٠) ، الطبري الأولى (ص١١٨٠ ، ١٢٨٤ ، ١٦٣٤ ، ١٧٧٠)

سعيد أبي عبيدة العنبري البصري (— ٢٥٢ هـ) [1] حدثه ببعضها أبوه عن أبان بن يزيد العطار ، وهو من رواة جماعة من مشاهير المحدثين أمثال يحيى بن سعيد الأنصارى وهشام بن عروة وعمرو بن دينار وقتادة ويحيى بن أبي كثير [2] هؤلاء الذين كان لهم أثر كبير فى تطور علم الحديث والتفسير فى مدرسة البصرة فى الأخص وطبيعي أن تؤخذ أقوال عروة من أبنه هشام بن عروة (— ١٤٦ أو ١٤٧ هـ [3]) من محدثي المدينة ، وقد حدث عن أبيه عروة وعمه عبد الله بن الزبير وأكثر أسرة آل الزبير وجماعة من تلامذة أبن عباس وقد رحل الى العراق ، وزار الكوفة ، وتبسط هناك في الحديث عن أبيه ، وزار الخليفة المنصور ومنه نقل أهل الكوفة أحاديث عروة ، ولا سيما أحاديث عروة عن عائشة ، وقد نقم عليه أهل بلده تبسطه فى الحديث لأهل العراق ، وكانوا بالحديث ضنينين ، فلم يرتضوا خطته هذه ، وأعرضوا عنه والظاهر أن عروة نحدث عن أهل الكوفة وعلماء العراق بحديث أهل العراق ، ولم يكن أهل المدينة يفضلون حديثاً على حديثهم ، باعتبار أن لهم الأفضلية فى ذلك ، وأنهم أعرف الناس بأخبار أهل الدار

ولهشام بن عروة عدد من الروايات سجلت فى (٣٤) موضعاً من تأريخ الطبرى [4] في تأريخ الاسلام ، أخذها عن أبيه في الغالب [5] ، أو عن أبيه عن عائشة ، ويقف السند عنده في بعض الأماكن حيث يحدث بما سمعه بنفسه [6] ، ويظهر منها أنه كان صاحب تأليف

يظهر من هذه الروايات المدونة في تأريخ الطبرى أن عروة بن الزبير وأبنه هشاماً لم يكونا يهتمان إلا بالسيرة وبالأحداث الإسلامية فأما ما قبل ذلك ، فلا نجد لهما سوى رواية أو روايتين ويظهر من وقوف هشام على رواية أبيه وعدم تجاوزه الى غيره أنه كان ينقل من كتب والده وما تركه من كتابات أو رسائل ولم تقف أخبارهما عند السيرة والمغازى حسب ، بل نجد لهما أحاديث

---

(١) تهذيب التهذيب (٦/٤٤٤)

(٢) تهذيب التهذيب (١/١٠١) ، تذكرة الحفاظ (١/١٨٩)

(٣) تهذيب التهذيب (١١/٥١) (٤) فهرست الطبري (ص ٦١٢)

(٥) الطبري ، الأولى (ص ١١٢٩ ، ١١٨٠ ، ١١٩٩ ، ١٢٢٤ ، ١٢٣٤ ، ١٢٨٤ ، ١٣٩٧ ، ١٦٥٤ ، ١٦٦٩ ، ١٧٩٥)

(٦) الطبري ، الاولى (ص ١٥٧٨)

في الردة وفي الأحداث التي وقعت في صدر الاسلام ، وكان آخر خبر ورد في الطبرى من أخباره هو في معركة مرج راهط بين الضحاك ومروان [١]

وأخذ الطبرىّ أخبار هشام في الردة عن طريق سيف رجح الطبرى روايات سيف بن عمر الأسدى على سائر الروايات الأخرى التي وردت عن « الردة » ، وهذا في الحقيقة أمر غريب رجحه على الواقدىّ ، وأمره في التأريخ معلوم ، وهو صاحب مؤلف خاص بالردة ، قيل له « كتاب الردة والدار » [٢] ، رجحه عليه لأنه « ضعيف » في نظر المحدثين ، غير أن « سيفا » لم يكن أحسن حالا في نظر المحدثين من الواقدىّ ، اتهموه بالزندقة ، وقالوا : إنه كان يضع الحديث ، وإنه متروك ، وإنه ضعيف ، وقال بعضهم : هو كالواقدىّ ، ويشبه حديثه حديث الواقدى [٣] ، فلم قدم الطبرى إذن سيفاً على الواقدىّ ؟ وكان المدائني علي بن محمد الذى نقل الطبرى من كتبه كثيراً صاحب كتاب في الردة ، وفي الأحداث الأخرى [٤] ، ولم ينل كتابه مع ذلك هذه الحظوة التي نالها كتاب سيف أفكانت ثقة الطبرىّ كبيرة في تأريخ الردة ، فقدم كتابه على كتب من تقدم من المؤرخين ، أم كانت أسباب أخرى دعت الى هذا الترجيح ؟

اشهر سيف بن عمر التميمي أو الضبي الأسدى (— ١٨٠ هـ) [٥] باطلاعه الواسع على تأريخ الإسلام ، وقد حازت كتبه شهرة واسعة عند المؤرخين ، ولا سيما كتبه المؤلفة في الردة والفتوح والأحداث ، وقد أخذ من مشاهير من وضعوا أسس علم التأريخ عند المسلمين ، وفي

---

(١) الطبري ، الدورة الثانية (ص ٤٧٣) (٢) الفهرست (١٤٤)

(٣) تهذيب التهذيب (٤/٢٩٥) ، الفهرست (ص ١٣٧)

(٤) الفهرست (ص ١٤٩)

(٥) راجع عن سيف : تهذيب التهذيب (٤/٢٩٥) تعمد على ما يظهر في كتابيه « كتاب الفتوح الكبير والردة » و « كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي » إظهار مآثر قومه وإحلالهم في المنزلة الأولى ، وتجد نماذج من الكتابين في تأريخ الطبري

Brockelmann Suppl, 1. P, 213 ff.

J. Wellhausen, Skizzen und vorarbeiten vol, 6, P, 5. Caetani, Annali, Index. Van Vloten, Studien uit de Annalen van Tabari, Tweemaandelijk Tijdschrift, Marz 1898.

N. Mjadnikov in Sbornik Statei ucenikov Prof. Ró ena. St. Petersburg 1897. PP, 53.

طليعتهم هشام بن عروة ، ثم عبيد الله بن عمر ، وجابر الجعفي ، ومحمد بن اسحاق صاحب السيرة ، ومحمد بن السائب الكلبي والد هشام بن الكلبي ، وطلحة بن الأعلم ، وأمثال هؤلاء. أما التهم التي وجهها أصحاب الحديث عليه ، فيجوز أن تكون صحيحة بالنسبة لوجهة نظرهم ، فانهم كانوا يتمسكون بالسند ولا يتساهلون فيه ، ويرمون من يخالفه بالضعف ثم انهم كانوا لا يرتاحون من المؤرخين والأخباريين ، فكانوا يرمونهم في الغالب بهذه التهم التي تحدثنا عنها ويجوز أن تكون هذه التهم لأسباب أخرى يعرفها من وقف على دراسة كتب أهل الحديث ومصطلحاتهم

لا شك أن كتاب « سيف » الذي استعان به الطبري في أخبار الردة هو « كتاب الفتوح الكبير والردة » [1] ، وهو كتاب أشهر أمره حتى عرف سيف به [2] وذكر ابن النديم له مؤلفاً آخر سماه « كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي » [3]

ولا شك أيضاً أنه هو الكتاب الذي نقل منه الطبري روايات سيف عن معركة الجمل وقد أخذ سيف أخبار هذه المعركة من شهود عيان ، ذكرت أسماؤهم في سند الطبري ، فحفظ لنا بذلك صوراً أصلية لأنباء تلك المعركة المؤسفة والأسباب السياسية التي دعت اليها وكانت لها نتائج جد وخيمة في شبه جزيرة العرب وفي العالم الإسلامي وهذه الروايات تحتاج إلى تمحيص ودراسة ويعتقد « روكلي » أن سيفاً لم يكن يفحص الأخبار التي كانت تقال له ، وأنه كان يبالغ فيها في تمجيد « تميم » متأثراً بعاطفته القبلية ، وهو رأي يحتاج إلى دراسة وتمحيص أما ما ادعاه من أن الطبري قد لاحظ ذلك عليه ، فكان يحاذر منه ، واضطر الى ترك قسم من رواياته [4] ، فهو قول لا يؤيده كتاب الطبري نفسه ففي أخبار الردة جعله الطبري المرجع الأول المفضل على المراجع الأخرى وفي أخبار معركة الجمل ترى لرواياته مكانة بارزة بين الروايات ثم إن النسخة الأصلية لا تزال في ضمير الغيب ، فكيف عرف أن الطبري قد نبذ روايات « سيف » في تمجيد تميم ؟

---

(١) الفهرست (ص ١٣٧) « طبعة مصر » Brockelmann, Suppl. 1. S, 213-214
ذكره الطبري إلا أنه لم يسمه راجع تأريخ الطبري (٤/ ١٥٣ فتح حمص)
(٢) تهذيب التهذيب (٤/٢٩٥) (٣) الفهرست (ص ١٣٧)
(٤) Suppl, I. 214

وقد ورد اسم سيف بن عمر في أكثر من « ٣٠٠ » موضع من تأريخ الطبري ورد لأول مرة في حوادث سنة « ١ » للهجرة ، وهي السنة التي بدأ فيها مسيلمة الكذاب بادعاء النبوة في حياة الرسول [١] وورد اسمه لآخر مرة في حوادث سنة « ٣٦ » وفي ابتداء علي بن أبي طالب بالخروج الى صفين ، فلم ترد له بعد ذلك في كتاب الطبري رواية ويظهر من هذا بالطبع أثر روايات سيف في الردة ومعركة الجمل ومبلغ اعتماد الطبري عليه

ومن جملة الرجال الذين أكثر سيف من الرواية عنهم ، هشام بن عروة . وتبدأ روايات سيف عند الطبري عن هشام في حوادث سنة « ١١ » للهجرة وقد أخذ الطبري هذه الأخبار عن شيخه السري الذي يرد اسمه كثيراً في تأريخ الطبري حيث يرد أكثر من « ٢٤١ » مرة ، ورد لأول مرة في أخبار الردة ، وورد لآخر مرة في حوادث سنة ١٤٥ هـ ، في أيام المنصور ، في معرض الكلام على تأسيس مدينة بغداد وقد استعمل صيغة غير مألوفة بالنسبة للسري ، حيث قال : « وذكر عن السري [٢] » أما في المواضع السابقة فقد استعمل صيغتي « وحدثني السري عن شعيب » أو « كتب إلي السري عن شعيب » و « مما كتب به إلي السري عن شعيب » وبين هذا الخبر وآخر خبر ورد قبله فجوة كبيرة جداً ، إذ كان ذلك الخبر في حوادث سنة ٣٦ هـ وفي مبدأ أمر معركة صفين ولم يذكر له الطبري بعد ذلك خبراً ما غير هذا الذي ذكرناه والذي يتعلق بأمر تأسيس مدينة بغداد ويظهر منه أن الطبري لم يأخذه من السري نفسه ، وإنما من رجل آخر تحدث به إليه ، أو أنه نقله من كتاب من كتب السري

والسري الذي أكثر الطبري الرواية عنه ، هو السري بن يحيى [٣] من رواة شعيب ابن ابراهيم الكوفي راوية كتب سيف بن عمر ، قال عنه ابن حجر العسقلاني : إن فيه جهالة ، وإنه ليس بالمعروف ، وله أحاديث وأخبار ، وفيه بعض النكرة [٤] ولا نعرف من أمرهما مع الأسف شيئاً ، مع كثرة ورود اسميهما في تأريخ الطبري وقد أخطأ ابن النديم حين قال :

---

(١) الطبري ، الدورة الأولى (١٧٤٩)

(٢) الطبري ، الدورة الثالثة (ص ٢٧٦) حوادث سنة ١٤٥ هـ.

(٣) الطبري طبعة مصر (١٢٤/٤) ، طبعة لايدن ، الدورة الأولى (ص ١١٩٧ ، ١٨٤٥)

(٤) لسان الميزان (١٤٤/٣) ، ميزان الاعتدال (١/ ٤٤٧) .

« وروى سيف عن شعيب بن ابراهيم [١] » ، لأن شعيباً هو الذي روى كتب سيف والظاهر من سكوت ابن النديم وأصحاب التراجم عن ذكر شعيب بن ابراهيم والسري أنهما لم يكونا من أصحاب التأليف ، وإنما كانا من رواة كتب سيف والظاهر أيضاً من تاريخ الطبري أن كتب سيف كانت عند السري بن يحي ، وأن الطبري قرأ أجزاء منها على السري ، وأخذ قسماً منها كتابة منه

وهنالك طريق آخر سلكه الطبري للأخذ من كتب سيف بن عمر ، هو طريق عبيد الله بن سعد الزهري [٢] بن ابراهيم بن سعد بن عبدالرحمن بن عوف أبي الفضل البغدادي نزيل سامراء (— ٢٦٠ هـ) وقد روى عن أبيه وعمه يعقوب وأخيه ابراهيم بن سعد ويونس بن محمد ، وروى عنه طبقة من الثقات من مشاهير أهل الحديث أمثال البخاري وأبي داوود والترمذي والنسائي وابن أبي عاصم والبغوي وابن أبي الدنيا وآخرين وقد ورد اسمه في أكثر من « ٤ » موضعاً من تاريخ الطبري [٣] ، تحدث بها اليه وأخذ عبيد الله أقوال سيف عن عمه يعقوب ابن ابراهيم بن سعد الزهري نزيل بغداد (— ٢٠٨ هـ [٤]) من رواة سيف بن عمر وآخرين وكانت عنده كتب دون فيها أحاديث الزهري وكتبه ، أخذها عن أبيه إبراهيم بن سعد عن الزهري ، وكتب عنه الناس ويظهر من قائمة أسماء مشايخه أن يعقوب هذا لم يكن محدثاً حسب ، بل كان من أصحاب التواريخ والأدب ومن رواة الشعر أيضاً وقد ورد اسمه في « ٣٩ » موضعاً من تاريخ الطبري ، ورد لأول مرة في حوادث سنة ١٠ للهجرة في خبر حجة الوداع ومرض الرسول [٥] ، وقد نقل حديثه عن سيف ، وذكر له حديثاً آخر عن الأحداث التي كانت في سنة إحدى عشرة للهجرة أخذه من سيف كذلك [٦] ويظهر من هاتين الروايتين ومن الروايات الأخرى التي أخذها عن سيف [٧] ، التي بحثت عن الرسول ووفاته وعن بيعة أبي

(١) الفهرست (ص ١٣٧)

(٢) في طبعة لايدن : عبيد الله بن سعيد الزهري ، وهو خطأ ، والصواب سعد .

(٣) فهرست الطبري طبعة لايدن (ص ٣٦٧)

(٤) تهذيب التهذيب (٣٨٠/١١)

(٥) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١٧٤٩)

(٦) الطبري ، الأولى (ص ١٧٩٤)

(٧) الطبري ، الأولى (١٨٢٤ ، ١٨٢٥)

بكر والسقيفة [١] وغير ذلك ، أنه كان لسيف كتب أخرى في السيرة وفي الأحداث الإسلامية إلا أنهـا لم تشتهر اشتهار الـكتب التي ذكرناها له قبل هـذا ، وربما أتى عليها الدهر قبل أيام ابن النديم

وأكثر هذه الأخبار التي دونهـا الطبري عن يعقوب بن ابراهيم هي من أخبار سـيف ، أخذها من كتبه ، وذلك لاتفاق عبارة المتن فى تأريخ الطبري وفي المروى عن يعقوب الزهري وشعيب بن ابراهيم

اعتمد الطبري على كتاب سيف في الفتوح ، وقد أخذ سيف متن هذا الـكتاب من رواية السري بن يحيى في الغالب ، واعتمد عليه في أخبار الفتن التي قامت على عثمان ، مثل فتنة عبد الله ابن سبأ التي أظهرها في البصرة فى سنة ٣٣ هـ . وأخذها سيف عن عطية بن الحارث أبي روق الهمداني من كبار رواة الـكوفة ومن المفسرين المعروفين ، وقد من ذكره وهو من رواة عكرمة والشعبي والضحاك بن مزاحم [٢] وقد ذكر الطبري اسمه فى « ٤٦ » موضعاً [٣] ، ونقل عنه جملاً فى أخبار ما قبل الإسلام ، أخذها من تفسيره ، وأجاز الطبري به شيخه محمد بن أبي منصور الآملي عن علي بن الهيثم [٤] ، عن المسيب بن شريك أبي سعيد التميمي الـكوفي [٥] وقد قيل إنه من الضعفاء ، أو أنه من المتروكين روى عن أبي روق ، وروى أبو روق عن الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير

وروى تفسـير أبي روق عن الضحاك شيخ آخر من شيوخ الطبري هو المثنى بن ابراهيم الآملي عن علي بن الهيثم عن المسيب بن شريك عن أبي روق وقد ورد اسم المثنى بن ابراهيم في « ٢٨ » [٦] موضعاً من تأريخ الطبري كلها في تأريخ ما قبل الإسلام وفي الإسرائيليات عدا موضعاً واحداً هو في القبلة ، غير أن له علاقة كذلك باليهوديات [٧] والظاهر أنه كان من

---

(١) الطبري ، الأولى (١٨٤٤ ، ١٨٤٥ ، ١٨٤٧ ، ١٨٤٩) .

(٢) تهذيب التهذيب (٧/٢٢٤) (٣) فهرست الطبري (ص ١٩٨) .

(٤) عن الهيثم بن عدي ، تهذيب التهذيب (٧/٣٩٤)

(٥) لسان الميزان (٦/٤٨) (٦) فهرست الطبري (ص ٤٩٧) .

(٧) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١٢٨٠)

أصحاب التفاسير ، أو من رواة التفاسير وهو يكثر الرواية عن اسحاق بن الحجاج [(١)]

وروى عطية بن الحارث أبو روق عن يزيد الفقعسي ، وعن أبي العريف وقد ورد اسم يزيد الفقعسي في « ٥ » مواضع من تأريخ الطبري هي في حوادث عثمان وعلي [(٢)] وعنه وردت قصة عبد الله بن سبأ [(٣)] ، وقصة أبي ذر الغفاري ورأيه في مال المسلمين ، وقصة مجيء عبد الله بن سبأ إلى البصرة ونزوله على حكيم بن جبلة زعيم فتنة البصرة [(٤)] ، وأخيراً حركة عبد الله بن سبأ ونسبه ومراسلاته مع الأقطار [(٥)] نرى من ذلك أن ما أخذه سيف عن يزيد الفقعسي قد انحصر في ناحية خاصة من ناحية الفتنة التي قامت على الخليفة عثمان بن عفان ، وهي الرواية الوحيدة التي وردت في هذا الموضوع وليست الروايات الأخرى التي ترددت في الكتب إلا صدى لرواية سيف عن يزيد ، وهي رواية أشك فيها كثيراً ، فان رجال هذا السند كلهم ضعفاء مطعون فيهم من السري وشعيب الى سيف ويزيد .

وروى عن عروة بن الزبير عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، وقد ورد اسمه في موضعين [(٦)] من السيرة النبوية كان فيهما متحدثاً عن جده عروة بن الزبير

ينتقل الطبري بعد معركة الجمل حيث ذكر روايات سيف عن عروة بن الزبير ، فيعرض عن روايات عروة ، ويترك فجوة من هناك الى حوادث سنة « ٧١ » حيث ذكر له خبراً أخذه من كتب الواقدي عن عثمان بن محمد عن أبي بكر بن عمر عن عروة عن مقتل مصعب بن الزبير [(٧)] ، ثم خبراً آخر عن حضور وفد من فقهاء المدينة مجلس عمر بن عبد العزيز [(٨)]

ونحن نطمع ولا شك في أن نرى لأبان بن عثمان بن عفان أبي سعيد [(٩)] أثراً كبيراً في في تأريخ الطبري ، لما له من مكانة ، ولكونه أقدم من اشتغل بالسيرة والمغازي ، وممن

(١) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٧٨٥)

(٢) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٨٠٩ ، ٢٨٥٨ ، ٢٩٢٢ ، ٢٩٠٢)

(٣) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٨٥٨) (٤) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٩٢٢)

(٥) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٩٤٢)

(٦) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١١٥٠ ، ١١٩٩)

(٧) الطبري ، الدورة الثانية (ص ٨١١) (٨) الطبري ، الدورة الثانية (ص ١١٨٣)

(٩) تهذيب التهذيب (١/٩٧)

شاركوا فى الحياة السياسية وعاوا الأحداث السياسية التي وقعت فى أيام والده وأيام علي ومعاوية ويزيد وعدد من الخلفاء ، ولـكونه ولي ولاية المدينة ، فهو حجة فى هذه الأمور كنا نطمع أن نرى له الصدارة فى تأريخ الطبري ، غير أنه خيب أملنا كل التخييب ، فلم ينقل عنه شيئاً ولو خبراً واحداً ، بل ورد أسمه فى « ١٤ » موضعاً ، لـكنه لم يذكره راويا متحدثاً ، وإنما ذكره رجلاً متحدثاً عنه

وأما شرحبيل بن سعد أبو سعد الخطمي مولى الأنصار (— ١٢٣ هـ [٢]) الراوي عن جماعة من الصحابة مثل زيد بن ثابت وأبي هريرة وابن عباس وأمثالهم ، فقد عدّ في نظر طائفة من أعلم الناس بالمغازي والبدريين ، ولم يكن أحد أعلم بالبدريين منه وأصابته حاجة ، فكانوا يخافون إذا جاء الى الرجل فلم يعطه أن يقول « لم يشهد أبوك بدراً » والظاهر أن علاقته لم تكن حسنة بابن إسحاق الذى لم يعترف لشرحبيل بالعلم ، بل كان يقول فيه « واحد يحدث عن شرحبيل ، » [٣] فمن الطبيعي إذن ألا نجد له قولاً في السيرة النبوية لابن اسحاق ولما كان أكثر أعتماد الطبري على السيرة النبوية لابن إسحاق ، لم يرد لشرحبيل قول فى تأريخ الطبرى برمته ، ولسبب آخر أهم من هذا هو أن سيرة شرحبيل وأبان بن عثمان لم تتمكنا من الثبوت وقتاً طويلاً فعبث بها الدهر قبل أيام الطبرى بزمن

واحتل عاصم بن عمر بن قتادة الظفرى مكانة لا بأس بها في تأريخ الطبرى بالنسبة لأبان ابن عثمان بن عفان وشرحبيل بن سعد ويعود الفضل في ذلك إلى ابن إسحاق الذى دوّن في السيرة شيئاً من روايات عاصم ، والى الحظ الذى لم يقس على سيرة عاصم كما قسا على سيرة أبان وشرحبيل ، وإن كنت أشك فى بقائها كاملتين إلى أيام الطبرى وقد ورد أسمه في «٤١»[٤] موضعاً من تأريخ الطبرى ورد أول مرة في معرض كلامه على مبدإ الدعوة وظهور النبوة ، وقد أخذ الطبرى ذلك من السيرة النبوية لابن إسحاق [٥] ، وورد آخر مرة في حوادث سنة

---

(١) فهرست الطبري (ص ٣) (٢) تهذيب التهذيب (٤/٣٢٠)

(٣) تهذيب التهذيب (٤/٣٢٠) ، ابن سعد (ج ٣ ق ١ ، المقدمة ص XX)

(٤) فهرست الطبري (ص ٣٠٣) (٥) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١٢٠٧)

٣٥ هـ [١] ، في معرض كلامه على الفتن التي ظهرت أيام عثمان بن عفان ، وقد كان المرجع الذي أخذ منه الطبري في هذه المرة هو محمد بن عمر الواقدي ولم يذكر الطبري كعادته من أي كتاب من كتب الواقدي نقل ، أمن كتاب التأريخ والمغازي أم من كتاب السيرة أم من كتاب التأريخ الكبير [٢] ؟ وهذه الكتب هي أنسب كتب الواقدي بالنسبة لهذا المقام . وقد نقل الواقدي كلام عاصم عن طريق محمد بن صالح بن دينار المدني التمار ، وهو من مشايخ الواقدي ، وكان من أصحاب المغازي والظاهر أنه لم يكن من الذين يخلطون الاسرائيليات والخرافات بالمغازي لذلك مدحت مغازيه [٣] وقد ورد أسمه في « ١٦ » موضعاً من تأريخ الطبري [٤] ، وورد آخر مرة في حوادث سنة ١٦٩ هـ وفي أيام الخليفة الهادي [٥] ، وهذا مما يشعر بأنه كان حياً في هذا العهد ، وأنه لم يتوف في سنة ١٦٨ هـ كما ذهب اليه أبن أبي عاصم وأبن سعد [٦] ويظهر من أستعمال الطبري لجملة « قال محمد بن صالح فحدثني .. [٧] » في تأريخ موسى الهادي ، ومن العبارات الأخرى التي تم على تتبع لأخبار العباسيين ، أن محمد بن صالح كان صاحب مؤلف في التأريخ ، وربما كان صاحب كتاب في تأريخ العباسيين ، وهو الذي نقل منه الطبري بلا واسطة ، ولذلك لم يستعمل السند أما في المواضع الأخرى التي سبقت عهد العباسيين ، فقد ذكر رجال السند

والظاهر أن محمداً هذا كان من حفظة مغازي عاصم ، كما كان هو نفسه من المصنفين المعروفين ، اذ كان يرجع اليه مشاهير المؤرخين وأصحاب السير ، مثل : علي بن مجاهد بن مسلم بن رفيع الكابلي المتوفى بعد سنة ١٨٠ للهجرة [٧] من تلامذة أبن إسحاق وأبي معشر من أعلام السيرة ، وقد كان هو نفسه صاحب مؤلف في المغازي [٨] ومحمد بن عمر الواقدي الذي كان يراجعه في السيرة ويذكر له الروايات فيصححها ويذكر للواقدي أقوال عاصم [١٠] ، وذلك

(١) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٩٧٠) (٢) راجع عن كتبه الفهرست (ص ١٤٤)
(٣) تهذيب التهذيب (٩/٢٢٥) (٤) فهرست الطبري (ص ٥١٦)
(٥) الطبري ، الدورة الثالثة (ص ٥٦٠) (٦) تهذيب التهذيب (٩/٢٢٥)
(٧) الطبري ، الدورة الثالثة (ص ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٦ ، ٥٦٠)
(٨) تهذيب التهذيب (٧/٣٧٨) (٩) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٠٠ ، ١٢٥٣)
(١٠) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١٢٠٩)

يدل حقاً على مبلغ ثقة الواقدى به [١] ويعد محمد بن صالح حلقة أتصال بين الواقدى وعاصم أبن عمر [٢]

وروى محمد بن صالح عن مؤرخ آخر من مؤرخى السيرة هو موسى بن عقبة ، ونجد نموذجاً من أقواله التي رواها عنه محمد بن صالح فى الطبرى ، أخذها عن شيخه عمر بن شبه البصرى عن علي بن محمد المدائني المؤرخ الشهير ومن تلامذة محمد بن صالح [٣] كما روى عن رجل عرف بسعة علمه فى الأحداث وفى تواريخ صدر الإسلام ، وكان مرجعاً لجماعة من مشاهير مؤسسي علم التأريخ ، مثل : أبي مخنف لوط بن يحيي ، وأبي إسماعيل الأزدى صاحب كتاب فتوح الشام [٤] وهذا الرجل هو عبد الملك بن نوفل بن مساحق [٥]

ويظهر من الروايات التي دونها الطبرى عن الواقدى عن محمد بن صالح ومن غير الواقدى ، وبحث فيها محمد بن صالح عن أيام عمر وأيام عثمان والفتن التي وقعت فى عهده [٦] وعن مقتل عثمان ، أنه كان صاحب مؤلف فى تأريخ الخلفاء ، وأنه كان معها جداً ، وقد أعتمد عليه الواقدي كثيراً ، وكذلك كاتبه أبن سعد ، لتردد أسمه كثيراً فى كتاب الطبقات

أخذ محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر [٧] ، وأخذ عاصم عن أشياخ المدينة ، ولذلك كان يمثل فى الواقع حلقة أتصال بين أقدم من أشتغل بجمع السيرة النبوية والذين نظموا مواد السيرة وهذبوها ورتبوها فى كتب مبوبة . وكان عاصم يدرس السيرة فى المسجد ، ويحدث الناس وهم بين مستمع ومدون ، ومن هذه الأمالي والمجالس تكونت مواد السيرة ومادة التأريخ

(للبحث بقية) جواد علي

(١) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١٢٨٣)

(٢) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١٣٦٠ ، ١٣٦١)

(٣) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٧٥٥ ، ٢٧٦٦)

(٤) تهذيب التهذيب (٤٢٨/٦)

(٥) الطبري ، الدورة الأولى (ص ٢٧٦٦) ، روى عن أبيه مساحق بن عبد الله وكيسان بن سعيد المقبري ، وربيعة العذري

(٦) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١٢٠٩ ، ١٢٢١ ، ١٢٦٠ ، ١٢٩١ ، ١٣١٨ ، ١٣٢٢ ، ١٣٣٥ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٨ ، ١٣٨٤ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٤)

(٧) الطبري ، الدورة الأولى (ص ١٧٥٥ ، ٢٨٦٥ ، ٢٩٧٠ ، ٢٩٨٠)

خالد بن الوليد في العراق

دراسة تأريخية جغرافية عسكرية

ورد في أكثر الروايات أن خالد بن الوليد ذهب الى العراق بعد قضائه على الردّة في اليمامة وقد اختلف الرواة ، على عادتهم ، في تأريخ سفره وفي الطريق التي سلكها في سفره ذلك ومن الروايات ما تزعم أن خالداً عاد من اليمامة الى المدينة ، ومنها ذهب الى العراق ولكن أغلب الروايات تؤيد سفره الى العراق من اليمامة والاختلاف بارز بين الروايات المدنية والروايات الكوفية في الجهة التي اختارها خالد في سفره الى العراق فبعض الروايات المدنية تروي أن خالداً توجه نحو الحيرة ، وحارب الفرس وأحلافهم في أطراف الحيرة ، ثم توجه بعد ذلك نحو الشمال على حين تذكر الروايات الكوفية ، وممثلها سيف بن عمر ، أن خالداً توجه من اليمامة الى أطراف البصرة وقاتل الفرس ، ثم سلك وادي الفرات واشترك في عدة معارك في طريقه الى الحيرة وبعد فتحه الحيرة ، توجه الى الشمال ، ثم ذهب الى دومة الجندل لمساعدة عياض بن غنم ؛ وبعد أن افتتحها رجع الى العراق ففتح عين التمر ، ثم سار مرة أخرى الى الشمال سالكاً وادي الفرات تارة وقاطعاً البادية تارة أخرى ، يحارب الفرس ويقاتل قبائل تغلب حلفاء الفرس ، حتى تم له الفتح

تأريخ سفر خالد من اليمامة :

من الصعب أن يتحقق الباحث وقت سفر خالد الى العراق ، ولو لا بعض أخبار وردت في الروايات تدل على شدة البرد ، أو حلول موسم الشتاء ، أو تفرق الناس وراء الماء ، لما سهل على الباحث أن يتبين الوقت وقد ورد في الروايات تواريخ بالسنة القمرية ، يعتمد عليها في سير الحوادث ، ولكن سرعان ما يظهر له أن التأريخ المذكور لا ينطبق على أحوال الموسم فالوقائع التي وقعت مثلاً في شهري ربيع الأول وربيع الثاني ، هل وقعت حقاً في هذين الشهرين أو في

موسم الربيع ، وكذلك الحوادث التي وقعت في صفر ، هل وقعت حقاً في شهر صفر أو في موسم الخريف الذي ما زال البدو يطلقون عليه اسم الصفاري أو الصفاريات أو صفر الأصفار ؟ والموسم هذا يبدأ بشهر أيلول ، وينتهي في تشرين الثاني ؛ لهذا اذا اعتمد المتتبع على أن كلمة ربيع الأول وربيع الثاني وصفر التي تعني الأشهر القمرية ، فقد يرتكب خطأ ، ولا سيما اذا أدرك أن الإشارات الواردة في الرواية كشدة البرد وكثرة المياه أو قلتها أو الصيام أو الحج أو حادثة من حوادث السنة الشمسية التي تدل على أن الشهر القمري الوارد ذكره في الرواية ، لا تنطبق على الشهر الشمسي

نذكر على سبيل المثال أن الروايات أجمعت على أن خالد بن الوليد أغار على الغسانيين في مرج راهط يوم فصحهم ولما كانت هذه الحادثة قد وقعت في سنة ١٣ هـ ، أي سنة (٦٣٤ م) ، فان عيد الفصح لهذه السنة يوافق اليوم الرابع والعشرين من نيسان على حين ذكرت أكثر الروايات أن خالداً غادر العراق الى الشام في شهر ربيع الثاني ، واليوم الرابع والعشرين من نيسان إنما يوافق اليوم الثامن عشر من صفر

وكذلك حشر سيف بن عمر كثيراً من وقائع العراق في صفر والمتتبع لسير الحوادث يصعب عليه أن يصدق إمكان حشر تلك الوقائع في شهر واحد ، لهذا يرد على الخاطر أن كلمة صفر الواردة في الرواية قد تعني الصفاريات أو صفر الأصفار ، أي موسم الخريف ، ولا سيما اذا لاح له أن في الوقائع المذكورة إشارات تدل على موسم الخريف ومن اليسير على الباحث أن يطبق الشهر القمري لأية سنة كانت على الشهر الشمسي لأية سنة ميلادية ، وبذلك يتحقق مطابقة شروط الموسم على وقعات الحادثة ، كما بينا مطابقة عيد الغسانيين في مرج راهط لليوم الرابع والعشرين من نيسان من سنة ٦٣٤ م ولما كانت غرة المحرم من سنة ١٣ للهجرة توافق سابع آذار من سنة ٦٣٤ م ، فاليوم الرابع والعشرون من نيسان يوافق ثامن عشر صفر وبهذه المطابقة ، يتضح للباحث أن شهر ربيع الذي جاء في الرواية أن خالداً غادر فيه العراق الى الشام ، لا يمكن أن يكون ؛ لأن خالداً قضى هذا الشهر وهو في الشام ، فلا بد أن يكون الربيع الوارد في الرواية هو موسم الربيع . وفي الحق أن خالد بن الوليد قضى سفره من العراق الى الشام زهاء شهر ونصف شهر . فقد ترك العراق في أوائل آذار ، أي في موسم الربيع

متى سافر خالد من اليمامة ؟

جاء في رواية المدائني عن الشعبي أن أبا بكر وجه خالداً الى أرض الكوفة وفيها المثنى ، فسار في المحرم سنة ١٢ هـ ، فجعل طريقه الكوفة (١)

ومما يؤيد رواية المدائني أن عبد الباقي بن نافع روى أن معركة اليمامة كانت في آخر سنة إحدى عشرة ، وأيد خليفة بن خياط أنها كانت في سنة إحدى عشرة ، ولكن ذكر الواقدي أنها كانت في سنة اثنتي عشرة ، وقال أبو معشر : كانت وقعة اليمامة في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة ، وكذلك روى أبو بشر الدولابي وقال اليعقوبي : إن القتال وقع في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة

وأراد الذهبي أن يوفق بين هذه الروايات المتضاربة ، فقال : واعل مبدأ وقعة اليمامة كان في آخر سنة إحدى عشرة ، ومنتهاها في أوائل سنة اثنتي عشرة (٢)

وفي رواية لأبي هريرة أن سلمة بن عمير الحنفي استحث الناس على المقاومة بعد معركة (عقرباء) قائلاً لهم : « يا بني حنيفة ، قاتلوا عن أحسابكم ، ولا تصالحوا على شيء ؛ فان الحصن حصين ، وقد حضر الشتاء (٣) »

وهذا يدل على أن وقعة اليمامة كانت قبل شتاء سنة إحدى عشرة للهجرة ، أي سنة (٦٣٢م) . والشتاء في تلك السنة يوافق أشهر رمضان وشوال وذي القعدة وذي الحجة ، مما يستدل منه على أن معركة عقرباء وقعت بعد منتصف سنة إحدى عشرة للهجرة وقد بدا لنا مما تقدم صعوبة تعيين تأريخ الحوادث اذا اعتمدنا على التواريخ التي أوردتها الروايات واذ كان خالد بن الوليد ذهب الى العراق بعد انتهاء الحركات في اليمامة ، فينبغي لنا أن نبت في الزمن الذي وقعت فيه معركة عقرباء على وجه التقريب ، وتعيين ذلك الزمن يتطلب درس تأريخ الحوادث التي جرت قبل القتال في اليمامة وليس من شك أن مبدأ تلك الحوادث هو تأريخ وفاة الرسول ، صلى الله عليه وسلم

(١) الطبري (٢/٢٥١) اعتمدنا في البحث على تأريخ الطبري المطبوع في القاهرة بمطبعة الاستقامة سنة ١٩٣٩ م

(٢) الذهبي (٢/٣٧٥) (٣) الطبري (٢/٢٧٨)

توفي الرسول في ١٢ ربيع الأول من سنة إحدى عشرة للهجرة ، وهذا التأريخ يوافق اليوم السابع عشر من أيار سنة (٦٣٢ م) ومن الثابت أن أبا بكر جهز الجيوش لمحاربة أهل الردة بعد عودة جيش أسامة من سفره في الشمال والروايات تكاد تجمع على أن جيش أسامة قضى في سفره ذهاباً وإياباً أكثر من شهرين وكان هذا الجيش متحشداً في الجرف شمالي المدينة متأهباً للسفر ، ولكن مرض الرسول ووفاته أجلا سفره ومن الطبيعي أن ينتظر في الجرف بضعة أيام بعد وفاة الرسول ، لأن الروايات تؤكد أن كبار الصحابة أشاروا على أبي بكر أن يبقيه ، ولا سيما بعد أن وردت أخبار ردة العرب الى المدينة ولكن أبا بكر لم يعمل بشورهم ، وأصر على تنفيذ رغبة الرسول في إنفاذ أسامة وجاء في رواية لابن عساكر أن خروج أسامة من الجرف لهلال شهر ربيع الآخر من سنة إحدى عشرة [1] ، أي بعد وفاة الرسول بسبعة عشر يوماً وإذا صدقنا الروايات القائلة إن أسامة قضى في سفره شهرين فأكثر بالرغم من وجود روايات تزعم أنه غاب خمسة وثلاثين يوماً أو أكثر عن المدينة كما في رواية لابن عساكر جاء فيها أن أسامة غاب خمسة وثلاثين يوماً : سار عشرين في بدايته ، وخمسة عشر في رجعته ، فلعل راوي ابن عساكر اكتفى بذكر أيام السفر فقط ، ولم يذكر الأيام التي أقام فيها والروايات تؤيد أن أسامة وطيء بخيله (آبل الزيت) ، وهي القرية التي أمر الرسول أسامة أن يوطئها خيله وجاء في معجم البلدان : أن آبل الزيت واقعة في الأردن ، والمسافة بين المدينة والأردن لا تقل عن ألف كيلو متر ، أي مسير عشرين يوماً ، لهذا لا يستبعد أن أسامة قضى في سفره شهرين : قضى أربعين يوماً في المسير ، والباقي في الإقامة هنا وهناك. بهذا يجوز الاعتماد على الروايات التي ذكرت أن أسامة غاب عن المدينة شهرين فأكثر ، ومعنى ذلك أن الجيش عاد الى المدينة في أوائل جمادى الآخرة ، أي في أوائل شهر آب من سنة (٦٣٢ م) لهذا نستطيع أن نثبت على وجه التقريب تأريخ حركة خالد من ذي القصة الى بزاخة لمقاتلة طليحة بن خويلد

وفي رواية الواقدي عن ابن حبيش أن حركة خالد كانت في السابع والعشرين من الشهر ،

(١) ابن عساكر (١/٤٤٠)

ولعله شهر جمادى الآخرة ومن الطبيعي أن يقضي جيش أسامة بعض الأيام في المدينة للاستراحة ، قبل أن تتوجه قواته الى ذي القصة لمقاتلة المرتدين ذكر الطبري أن أبا بكر استخلف أسامة على المدينة ، فسار ونزل بذي القصة في جمادى الأولى ، وأضاف قائلاً : ويقال في جمادى الآخرة [١] وفي رواية لسيف بن عمر أن أبا بكر عقد الألوية للأمراء في ذي القصة ، فعقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد ، فاذا فرغ منه سار الى مالك بن نويرة بالبطاح [٢]

قضى في براخة في القتال وتأديب عبس وذبيان وتسلم الصدقات أكثر من عشرين يوماً ، وفي رواية للطبرى أن خالداً أقام في بزاخة شهراً [٣] ، ثم تقدم نحو بني تميم في البطاح وفي الروايات معلومات تشير الى أن أبا بكر قاتل المرتدين من أسد وفزارة وغطفان في الصيف ؛ وفي رواية لسيف بن عمر أن البلاد لم تحمل المرتدين ، فافترقوا فرقتين ، فأقامت فرقة بالأبرق ، وسارت الأخرى الى ذي القصة [٤] ، وتفرق المرتدون في أماكن مختلفة لأن البلاد لم تحملهم ، وذلك يدل على أن المياه كانت قليلة بحيث لم يكن للقبائل المرتدة القريبة من المدينة أن تجتمع في محل واحد ؛ لأن القبائل لا تجتمع الا في أماكن المياه

ويظهر من الروايات أن خالداً ، بعد أن أنهى أمر طليحة في بزاخة ، مكث في بني أسد قبل أن يتوجه نحو البطاح ، حتى إن الأنصار ترددت على خالد ، وتخلفت عنه لما اعتزم أن يتوجه نحو البطاح ولما رأوه سار الى بني تميم ، ندموا ، فأجمعوا على اللحاق به ، وجردوا اليه رسولاً ، فأقام عليهم ، حتى لحقوا به ثم سار حتى قدم البطاح ، فلم يجد بها أحداً [٥]

وفي رواية لسيف بن عمر أن الليلة التي قتل فيها مالك بن نويرة ، كانت باردة لايقوم لها شيء ، وجعلت تزداد برداً ، فأمر خالد منادياً فنادى : أدفئوا أسراكم ؛ ومع أن هذه الرواية قد رويت لتسويغ عمل خالد في قتله مالكاً ، فانها ولا شك تشير الى أن الليالي في أثناء غزو خالد لبني تميم في أطراف البطاح كانت باردة ، مما يدل على أن الموسم كان خريفاً والخريف يبدأ في نجد

(١) الطبري (٢/٤٧٤) (٢) الطبري (١/٤٨٠)
(٣) الطبري (١/٤٩١) (٤) الطبري (١/٤٧٦)
(٥) الطبري (١/٥٠١ ، ٢ ، ٥)

بأيلول ، وينتهي فى نهاية تشرين الثاني يفهم من ذلك أن خالداً تقدم نحو البطاح فى أيلول ، وهذا ينطبق على مجرى التأريخ الذى أثبتناه

قضى خالد مدة غير قصيرة فى بني تميم قبل سفره الى اليمامة وروابة أبي هريرة التي أشرنا اليها آنفاً تشير الى أن معركة (عقرباء) وقعت قبيل الشتاء ، وقد قال سلمة بن عمير الحنفي لبني حنيفة يحثهم على مقاومة خالد : « فان الحصن حصين ، وقد حضر الشتاء » وفى رواية أخرى لسيف بن عمر [1] قول سلمة بن عمير الحنفي لجماعة : « لا والله لا نقبل صلح خالد نبعث القرى والعبيد ، فنقاتل ، ولا نقاضي خالداً ، فان الحصون حصينة ، والطعام كثير ، والشتاء قد حضر » لهذا لا يستبعد أن الحركات فى اليمامة جرت فى تشرين الثاني ، أي قبيل موسم الشتاء وتشرين الثاني في سنة (٦٣٢ م) يوافق شوالاً من سنة إحدى عشرة للهجرة ، والشتاء يبدأ فى كانون الأول

والذى نستخرجه من بحثنا أن الرواية التي تزعم أن وقعة اليمامة حدثت فى شهر ربيع الأول سنة أثنتي عشرة للهجرة ، لا يعتمد عليها

لا نعلم المدة التي قضاها خالد فى اليمامة بعد عقده الصلح مع بني حنيفة ومن المؤكد أنه قضى مدة طويلة في اليمامة لتوطيد الأمن فيها ، لهذا قد تصح رواية المدائني أن خالداً تسلم أمر أبي بكر بالمسير الى العراق فى المحرم ، أى فى بداية سنة أثنتي عشرة للهجرة ، ومبدأ هذه السنة يوافق ١٨ آذار من سنة (٦٣٣ م)

أما تأريخ فتوحات خالد فى العراق ، ففيه ما يؤيد مسير خالد الى العراق فى المحرم ذكر الطبرى أن وقعة المذار والولجة وقعتا فى صفر ، ولكن الروايات التي أستند اليها فى سرده لفتوح العراق جعلت أكثرها تم في صفر ، فكانت وقعة المذار فى صفر ، وجرى قتال الولجة فى صفر ، ونزل قائد الفرس بهمن جاذويه بأليس فى صفر ، وتم فتح أمغيشيا فى صفر ، وكتاب الصلح مع ابن صلوبا صاحب بانقيا وباروسما كتب فى صفر كيف حشرت كل هذه الحوادث فى شهر واحد ؟

---

(١) الطبرى (٥١٧/١)

واذا صدقنا رواية المدائني أن خالداً سار من طريق اليمامة ، فى المحرم من سنة اثنتي عشرة ، وجعل طريقه أرض البصرة ، فانه لا يصل الى أطراف البصرة الا فى نهاية المحرم هذا اذا فرضنا أنه غادر اليمامة فى أوائل الشهر ؛ لأن المسافة بين اليمامة والبصرة نحو من ألف كيلو متر ، ولا تقطع بأقل من عشرين يوماً ؛ فللباحث أن يتساءل أي صفر هذا ؟ أهو الشهر القمري صفر ، أم أشهر الصفاريات أي أشهر الخريف لدى العرب وهي أيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني ؟ وهذه الأشهر فى سنة (٦٣٣ م) توافق أشهر رجب وشعبان ورمضان لسنة اثنتي عشرة للهجرة أفقضى خالد خمسة أشهر فى سفره من اليمامة وفى غزواته لأطراف البصرة ؟

وفى الروايات حادثة يصعب تصديقها، لأنها لا تقع عادة فى زمن فيضان نهر الفرات فى جنوبي العراق فان فيضان هذا النهر يبدأ فى منتصف شهر نيسان حيث تكثر مقادير المياه فى النهر ، فتفيض على الأطراف ، ولا تمكن السيطرة عليها الا بمشقة وقد ورد خبر الحادثة فى حوادث يوم المقر وفم فرات باذقلى حينما سد القائد الفارسي الأزاذ به نهر الفرات ، ليحول دون سير سفن خالد التي حملت الأثقال والمشاة فى طريقها الى فم نهر العتيق إن سد النهر فى وقت الفيضان أمر صعب ، وإن جرت المياه وانسابت فى شعبة أخرى

يوافق غرة صفر من سنة اثنتي عشرة للهجرة ، اليوم السابع عشر من نيسان من سنة (٦٣٣ م) وفي خبر آخر أن خالداً أفطر فى الفراض ، وحادثة الفراض وقعت بعد انباء خالد من فتح الحيرة وفتح دومة الجندل وغاراته فى الجزيرة على تغلب فى المصيخ والحصيد

ويوافق شوال من السنة الهجرية المذكورة شهر كانون الأول من سنة (٦٣٣ م) ، أي بعد الخريف ولكن روايتين أخريين تزعمان أن خالداً عبر النهر من الفراض في نصف ذي القعدة ، وأنه أقام فى الفراض عشرة أيام ، وقفل الى الحيرة لخمس بقين من ذى القعدة واذا صحت هاتان الروايتان ، فيكون خالد قد قضى أكثر من شهر ونصف شهر فى الفراض ، أي شوالاً وأكثر من نصف ذي القعدة وهذا أمر مستبعد ؛ لأن الفراض قلعة حصينة للرومان ، أقيمت على الضفة اليمنى للفرات ، يقابلها حصن للفرس فى الضفة اليسرى ، وليس في أخبار الفتوح ما يؤيد أن خالداً فتح الفراض . وفي رواية أخرى للشعبي أن خالداً بقي سنة فى العراق ،

وقد تذمر من بقائه سنة فيه بعد أن عهد اليه أن يقتحم بلاد فارس ، وقال : « إنها لسنة كأنها سنة نساء »

وقد تأيد لنا أن أبا بكر أمر خالداً بالمسير الى الشام فى أوائل سنة ثلاث عشرة للهجرة ، وذكر سيف بن عمر أن كتاب أبي بكر وافى خالداً بالحيرة مُنْصَرَفَهُ من حجه أما المدائني فجعل حركة خالد من العراق الى الشام فى شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث عشرة للهجرة والثابت أن خالداً أغار على الغسانيين فى يوم عيد فصحهم ، وهذا ـ كما أشرنا من قبل ـ يوافق اليوم الرابع والعشرين من نيسان من سنة (٦٣٤ م) أي اليوم التاسع عشر من شهر ربيع الأول من سنة ثلاث عشرة للهجرة لهذا لا يصح تصديق رواية المدائني وقد أثبتنا فى مقالنا « سفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام »(١) أن خالداً ترك العراق بعد منتصف مارت ، أي فى أواخر المحرم من سنة ثلاث عشرة للهجرة واذا كان خالد بقي حتماً سنة فى العراق ، فيكون قد وصل اليه من اليمامة فى أوائل سنة أثنتى عشرة للهجرة ، وهذا ينطبق على رواية المدائني أن أبا بكر وجه خالداً الى العراق فى المحرم من سنة أثنتى عشرة للهجرة

لقد أوضحنا فيما سبق اختلاف الروايات فى تأريخ الوقائع التي جرت فى العراق ، وصعوبة التوصل الى تأريخ صحيح ، ولكننا نميل الى أن خالداً ترك اليمامة فى المحرم من سنة أثنتى عشرة للهجرة ، بعد أن أثبتنا أن معركة اليمامة وقعت قبيل الشتاء ، أي فى تشرين الثاني ، وأبدينا أن الشهرين اللذين قضاهما خالد فى اليمامة بعد المعركة يكفيان لتوطيد الأمن ، وجمع الصدقات من بني حنيفة واذا كانت غرة المحرم من سنة أثنتى عشرة للهجرة توافق اليوم الثامن عشر من آذار من سنة (٦٣٣ م) ، فيكون خالد قد غادر اليمامة فى النصف الثاني من آذار ، وبلغ أطراف البصرة فى منتصف نيسان من سنة (٦٣٣ م) أي فى أوائل صفر من سنة اثنتى عشرة للهجرة

الطريق التي سلكها خالد :

نذكر فيما يلي الروايات التي ذكرت سفر خالد بن الوليد من اليمامة الى العراق ونبدأ بما جاء منها فى تأريخ الطبري :

(١) نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، في أجزاء سنة ١٩٥٢ م

ا ـ روى الشعبي أن أبا بكر كتب الى خالد بعد فراغه من أمر اليمامة : أنْ سِرْ الى العراق حتى تدخلها ، وأبدأ بفرج الهند ، وهي الأُبلّة (١)

ب ـ روى المدائني أن أبا بكر وجه خالد بن الوليد الى أرض الكوفة وفيها المثنى بن حارثة الشيباني ، فسار فى المحرم من سنة أثنتي عشرة للهجرة ، فجعل طريقه البصرة (١)

ج ـ وقال الواقدي : انه أختلف فى أمر خالد ، فقائل يقول : مضى من وجهه ذلك من اليمامة الى العراق ، وقائل يقول : رجع من اليمامة الى العراق ، وقائل يقول : رجع من اليمامة فقدم المدينة ثم سار الى العراق من المدينة على طريق الكوفة حتى أنتهى الى الحيرة (١)

د ـ أما أبن إسحاق فذكر أن أبا بكر كتب الى خالد يأمره أن يسير الى العراق ، فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقريات من السواد يقال لها بانقيا وباروسما وألّيس (١)

هـ ـ وروى هشام بن الكلبي أن أبا بكر كتب الى خالد ، وهو باليمامة ، أن يسير الى الشام ، أمره أن يبدأ بالعراق فيمر بها فأقبل خالد منها يسير حتى نزل (النباج) (١)

و ـ وفى رواية لسيف بن عمر أن أبا بكر كتب الى خالد : إن فتح الله عليك ، فعارق حتى تلقى عياضاً (١)

ز ـ وفى رواية للمغيرة بن عتبة أن أبا بكر أمر خالد بن الوليد على حرب أهل العراق أن يدخلها من أسفلها ، وإلى عياض أن يدخلها من أعلاها ، ثم يستبقا الى الحيرة (١)

(٢) وذكر أبو يوسف نقلاً عن أبن إسحاق وغيره من أهل العلم بالفتوح ، قال : لما قدم خالد من اليمامة دخل على أبا بكر وخرج وأقام أياماً ، ثم وجهه أبو بكر الى العراق فانتهى الى شراف ، ثم انتهوا الى المغيثة (٢)

(٣) ذكر البلاذري أن أبا بكر كتب الى خالد بن الوليد يأمره بالمسير الى العراق ، ويقال : بل وجهه من المدينة ، وأقبل خالد حتى أتى البصرة وفى رواية لزيد بن نبيشة العامري أنه قال : قدمنا العراق مع خالد بن الوليد فانتهينا الى مسلحة العذيب ، ثم أتينا الحيرة وقد تحصن أهلها فى القصر الأبيض (٣)

---

(١) الطبري (٢/٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤)

(٢) كتاب الخراج (ص ١٦٩) (٣) البلاذري (١٦٩ و ٢٤٥)

(٤) ذكر اليعقوبي أن أبا بكر أمر خالداً أن يسير الى العراق فسار ، ومعه المثنى ، حتى صار الى مدينة بانقيا [١]

(٥) ذكر ابن الأثير في تأريخه الكامل : « في هذه السنة (سنة ١٢) في المحرم منهـا ، أرسل أبو بكر خالد بن الوليد ، وهو باليمامة ، يأمره بالمسير الى العراق ، وقيل : بل قدم المدينة من اليمامة ، فسيره أبو بكر الى العراق ، فسار حتى نزل بانقيا وباروسما وأليس [٢] »

(٦) ذكر ابن العبري أن خالداً توجه من اليمامة الى أرض العراق ، فزحف الى الحيرة ، ففتحها صلحاً ، وكان ذلك أول شي أُفتتح من العراق

(٧) ذكر الذهبي أن خالداً سار بمن معه من اليمامة الى أرض البصرة ، فغزا دون الأبلـة فافتتحها ، ودخل ميسان ، ثم سار نحو السواد [٣]

(٨) ذكر ياقوت فى معجم البلدان فى مادة البصرة : وكان سويد بن قطبة الذهلي في ناحية الخريبة من البصرة يغير على العجم ، كما كان المثنى بن حارثة يغير بناحية الحيرة فلما قدم خالد بن الوليد البصرة من اليمامة والبحرين مجتازاً الى الـكوفة بالحيرة سنة أُثنتي عشرة ، أعانه على حرب من هنالك وخلف سويداً ، ويقال : إن خالداً لم يرحل من البصرة حتى فتح الخريبة ، وكانت مسلحة للأعاجم ، وقتل وسبى ... وكان الواقدى ينكر أن خالداً مر بالبصرة ، ويقول : إنه حين فرغ من أمر اليمامة والبحرين ، قدم المدينة ، ثم سار منها الى العراق على طريق فيد والثعلبية [٤]

(٩) قال ابن خلدون : لما فرغ خالد من أمر اليمامة ، بعث اليه أبو بكر في سنة أُثنتي عشرة ، فأمره بالمسير الى العراق وفرج الهند وهي الأبلة منتهى بحر فارس فسار من اليمامة وقيل : قدم على أبي بكر ، ثم سار من المدينة وانتهى الى قريات بالسواد ، وهي بانقيا وبرسوما وصاحبها جابان بن صلوبا ، فصالحهم على عشرة آلاف ، ثم سار خالد الى الحيرة

أجملنا فيما سبق الروايات الباحثة فى سفر خالد من اليمامة الى العراق ويظهر منها أن

(١) اليعقوبي (١٠٩/١) (٢) ابن الأثير (١٤٧/٢)
(٣) الذهبي (٣٦٤/١) (٤) ياقوت

أكثرها تفيد أن خالداً توجه من اليمامة الى العراق ، دون أن يعرج على المدينة .

أما أبو يوسف ، فذكر أن خالداً ذهب من المدينة الى العراق

وأما الواقدي فذكر أن الروايات اختلف في أمر خالد ، فروى أنه مضى من وجهه ذلك من اليمامة . وروى أيضاً أنه قدم من المدينة وسار منها الى العراق

أما الرواة الذين اختلفوا في أمر خالد ، كالبلاذري وابن الأثير والذهبي ، فلعلهم اعتمدوا على ما رواه الواقدي من أمر الاختلاف في مسير خالد ، فاكتفوا باعادة قوله والأمر الواضح أن الرواة الأقدمين أجمعوا على أن خالداً مضى لوجهه من اليمامة الى العراق ومن رأينا أن هذا ينطبق على الواقع ؛ لأن خالداً اعتاد ألا يذهب الى المدينة الا حين الطلب ، وليس له فيها شغل وقائد كخالد يريد أن يبقى حراً في تصرفاته ويعمل بابداعه ، لا يميل الى الابتعاد عن جنده فقد ذهب خالد الى الحجاز مرة دون أن يطلب ، وذلك بعد أن فرغ من فتح العراق ، فسار يعتسف البلاد (كما جاء في الرواية) من غير علم الخليفة ، وذهب قبل هذا مرة الى المدينة بطلب من الخليفة ليحاسبه على قتل مالك بن نويرة

ولعل الواقدي اعتمد على الروايات التي ذكرت مسير خالد الى الحج بعد فتح العراق ، وظن أنه ذهب الى المدينة بعد فتحه اليمامة ، كما ذهب الى الحجاز بعد فتحه العراق

في الواقع أن ذهاب خالد من اليمامة الى العراق ، أو عروجه على المدينة ثم ذهابه الى العراق ، لا يؤثر في حوادث العراق لو لم يفضل المستشرق الطلياني (ليونه كيتاني) رواية الواقدي على كل الروايات ويعتمد عليها في نقده لسير حركات خالد في العراق

لقد اعتمد (كيتاني) على رواية ابن اسحاق المقتضبة ، وعلى رواية الواقدي التي زعمت أن خالد بن الوليد رجع من اليمامة وسار منها الى العراق ، وأنكر جميع ما روي عن فتوحات خالد في أطراف البصرة وفي جنوبي الحيرة

أما نحن فنفضل تصديق الروايات التي ذكرت أن خالداً مضى لوجهه من اليمامة الى العراق

والآن ينبغي معرفة ما يأتي : أذهب خالد بوجهه الى أطراف البصرة ، أم ترك أطراف البصرة على يمينه وتوجه نحو الحيرة دون أن يمر بشاطيء الفرات ؟

روى الشعبي والمدائني وأبن الكلبي أن خالداً جعل طريقه البصرة ليبدأ بالأبلة فرج الهند كما كتب اليه أبو بكر ، وأيد سيف بن عمر والبلاذريّ والذهبي ذلك ، وكذلك أشار ياقوت الى فتوحات خالد في أطراف البصرة ، ولكنه قال : إن الواقدي أنكر مرور خالد بالبصرة ، وأدّعى أنه حين فرغ من اليمامة قدم المدينة ، ثم سار منها الى العراق على طريق فيد والثعلبية

أما أبن أسحاق وأبو يوسف والواقديّ واليعقوبي وأبن العبري ، فلا يشيرون الى فتوحات تمت في أطراف البصرة وعلى شواطيء الفرات ، ويجعلون وجهة خالد الحيرة فأبن اسحاق واليعقوبي يذكران أن أول ما فتحه خالد قريتا بانقيا وباروسما أما أبو يوسف فيشير الى قتال وقع بين خالد والأعداء في المنيشة والنجف وأليس ، قبل فتح الحيرة وأما الواقدي وأبن العبريّ ، فيذكران أن أول فتح تم على يد خالد في العراق هو فتح الحيرة

اعتمد المستشرق الإيطالي (كيتاني) ، على عادته ، على روايات أبن اسحاق والواقديّ المدنية ، وأنكر كل الفتوح التي تمت لخالد في أطراف البصرة وعلى شواطيء الفرات في جنوبي غربي الحيرة ، وزعم أن خالداً دخل الحيرة قادماً اليها من الشمال الشرقي وفي شرحه الجغرافي للأماكن ثبت بانقيا وباروسما وأليس في شمال شرقي الحيرة ، وأعتد الروايات الباحثة في قتال خالد في الأبلة والخريبة ونهر المرأة والولجة وغيرها من نسج الخيال ، وكذب روايات سيف بن عمر[1]

لقد نظر كيتاني الى الفتوحات التي تمت فى عهد أبي بكر نظرةً تختلف كثيراً عن نظرة المستشرقين الآخرين يرى كيتاني أن ما تم فى هذا العهد من الحركات ، لا يخرج عن نطاق غارات وغزوات تستهدف النهب والسلب دون أن يستند الى خطة مدبرة أو الى أوامر وتعليمات صدرت من المدينة وزعم أن خالداً فى حركاته أطراف الحيرة كان يسير على غرار عمل القبائل المتاخمة لأرض السواد في العراق ، وقد اعتادت هذه القبائل أن تشنّ الغارة على القرى فى غربي الفرات كلما سنحت لها الفرصة وكان الفرس فى هذا العهد فى حالة ضعف وتردد لما

(١) كيتاني : حوليات الاسلام ــ الجزء الاول ، المجلد الثاني ، الفقرة ١٥٥ من حوادث السنة ١٢ للهجرة ، وما جاء في الهوامش

خسروا المعارك أمام جيوش هرقل الذي غزا بلادهم قبل بضع سنوات ، وأسترد منهم ما كانوا قد ضبطوه قبل من الممتلكات البيزنطية فى سورية والجزيرة وجنوبي الأناضول وبموت أردشير الثالث ملك الفرس سنة ٦٢٩ م أى سنة ثماني للهجرة بدأ عهد أضطراب وفوضى فى البلاط الساساني وانتهى سنة ٦٣٢ م باعتلاء يزدجرد العرش الساساني وقد أستفادت قبائل بني بكر من هذه الفترة ، فأخذت مهاجم تخوم العراق ، وكانت قد تشجعت على ذلك بانتصارها على الفرس فى وقعة ذي قار

وبعد أن رأى كيتاني ذلك الرأي الخاطىء في حركات الجيوش العربية فى عهد أبي بكر ، وجه انتقاداته وملاحظاته من هذه الناحية وأعتمد على الروايات التي تلائم رأيه ذلك وتدعم أنتقاداته بالرغم من ضعفها بيما الروايات المدنية والكوفية ـ ما عدا رواية أبن إسحاق والواقدي ـ أجمعت على أن خالداً مر بأرض البصرة فى طريقه الى العراق ، وحارب الفرس فى أرض البصرة ، وقاتلهم في قرى الفرات فى جنوبي شرقي الحيرة وكان جهل كيتاني الاماكن التي جرى فيها القتال كالولجة وأليس ومجمع الأنهار وغيرها مما حمله على أن يتبنى ذلك الرأي الخاطىء

وكان المستشرق الشلوسوفاكي ألويس موسل أول من سفه رأي كيتاني ، وأيد الروايات التي ذكرت فتوح خالد في جنوبي شرقي الحيرة ، وثبت المواقع التي جرى فيها القتال [١]

لسنا بصدد مناقشة رأي كيتاني فى ماهية الفتوح التي تمت في عهد أبي بكر ، فسنفرد لذلك بحثاً خاصاً

ولأجل أن نتبين الطريق التي سار فيها خالد ، يجدر بنا أن ندرج الروايات الباحثة فى ذلك (راجع خارطة طرق البادية)

(١) جاء فى رواية هشام بن الكلبي : أن أبا بكر كتب الى خالد ، وهو باليمامة ، أن يسير الى الشام أمره أن يبدأ بالعراق فيمر بها ، فأقبل خالد منها يسير حتى نزل النباج [٢]

(١) ألويس موسل : الفرات الأوسط A. Musil the middle Euphrates

(٢) الطبري (٢/٥٥٢ ، ٥٥٤ — ٥٥٥)

وفى رواية أخرى عن أبي مخنف أن خالداً نزل النباج ، والمثنى معسكر فى خفّان

(٢) وفي رواية المغيرة بن شعبة ، وكان قاضي الكوفة ، أن خالداً فرق ، مخرجه من اليمامة الى العراق ، جنده ثلاث فرق ، ولم يحملهم على طريق واحد ... الى أن قال : فواعدهم خالد (الحفير) ليجتمعوا به [١] ثم قال : فلما أتى الخبر خالداً بأن هرمز فى الحفير ، أمال الناس الى كاظمة

(٣) وفي رواية للشعبي أن أول من لقي خالداً مَتهبطَه العراق هرمز بالكواظم ، ثم نزل الفرات بشاطىء دجلة ، ثم قال : أمّر خالد سويد بن مقرن المزني ، وأمَرَهُ بنزول الحفير

(٤) ذكر البلاذرى أن أبا بكر كتب الى المثنى يأمره بأن ينضم الى خالد ، فيقيم معه اذا أقام ، ويشخص اذا شخص فلما نزل خالد النباج ، لقيه المثنى بها ، وأقبل خالد حتى أتى البصرة [٢]

(٥) وذكر الذهبي أن خالداً سار بمن معه من اليمامة الى أرض البصرة ، فغزا الأبلة فافتتحها ، ودخل ميسان ، ثم سار نحو السواد [٣]

يتضح من رواية ابن الكلبي وما ذكره البلاذرى أن خالداً اتخذ النباج قاعدة حركته الى العراق أما رواية سيف بن عمر والمغيرة بن شعبة وما ذكره الذهبي ، فجميعها تشير الى مرور خالد بالنباج في طريقه الى أرض البصرة

لقد أعتمد كيتاني — كما بيّنّا — على رواية ابن إسحاق والواقدى ، وجعل فيداً مبدأ حركة خالد الى العراق وذكر فى إحدى ملاحظاته على الروايات في الهامش أنه اذا كان خالد وقف حقاً بالنباج ، فينبغي أنه وصل اليها من اليمامة ؛ لأنه كان المكان الذى يستطيع خالد فيه أن يتلقى أوامر الخليفة بسرعة قبل حركته ؛ لأن طريق (المدينة — البصرة) يمر بالنباج ورواية ابن الكلبي تؤيد ذلك وقال : إن خالداً ذهب بوجهه من النباج الى الحيرة بطريق فيد والثعلبية [٤]

---

(١) الطبري (٢/٥٥٢ ، ٥٥٤ — ٥٥٥) ،

(٢) فتوح البلدان (ص ٢٤٢) (٣) الذهبي ، (١/ ٣٧٤)

(٤) كيتاني : الملاحظة ٩ على الفقرة ١٥٥ لسنة ١٢ للهجرة ، الجزء الأول من المجلد الثاني ،

إن جهل كيتاني لموقع النباج جعله يقع في هـذا الخطأ ؛ لأن النباج لا يقع على طريق (المدينة ـ البصرة) . ذكر ياقوت في معجمه : أن في بلاد العرب نباجين : أحدهما على طريق البصرة ، أي طريق (مكة ـ البصرة) يقال له نباج بني عامر ، ونباج آخر بين البصرة واليمامة وفي مادة (الصريف) تدليل على موقع النباج وذكر ياقوت أن الصريف موضع من النباج على عشرة أميال ، والنباج بين قو والصريف

وجاء أسم النباج في (خارطة الرياض) « مقياس واحد على مليون » بأسم (نبجية) ، ويقع في شمال شرقي بريدة على بعد خمسة وعشرين كيلو متراً والى جنوبي شرقي الصريف . وثبت (موسل) في خارطته التي وضعها في سياحاته في بادية الشام وشمالي نجد موضع النباج بأسم النبجية ؛ والنباج هذا يقع الى شرقي جنوبي فيد على بعد عشرين ومئتي كيلو متر ، والقادم من اليمامة اذا كانت وجهته أرض البصرة ، لا بد له أن يمر بالنباج ، وكذلك القادم من مكة الى البصرة يمر بها بعد أن يمر ببريدة ؛ بينما تقع فيد على طريق (المدينة ـ الحيرة) ، والذي يشخص من المدينة يعرج من فيد على بريدة ، ويذهب منها الى البصرة من طريق الحفير الذي ورد أسمه في الخارطة المذكورة باسم الحفر ، وهو واقع في بطن وادي الرمة في منتصف طريق (بريدة ـ البصرة) أما الثعلبية ، فواقعة على طريق (فيد ـ الكوفة) شمالي شرقي فيد على بعد ثمانين ومئة كيلو متر

ويظهر من تثبيت المواقع المذكورة على الخارطة أن الروايات التي ذكرت وقوف خالد بالنباج بعد شخوصه من اليمامة واجتماع فرقه بالحفير وشخوصه منه الى كاظمة ، روايات كان رواتها يعرفون جغرافيا البلاد معرفة صحيحة ، وكاظمة موضع في منتهى خليج الكويت على بعد عشرين كيلو متراً شمالي شرقي (الجهرة) ذكر ياقوت أن كاظمة جو على سيف البحر في طريق البحرين ، بينها وبين البصرة مرحلتان ، وماؤها مشروب .

وإذ أجمعت الروايات على أن خالداً سار من اليمامة لوجهه يريد العراق ، وأن رواية الواقدي لم نجزم بسفر خالد من المدينة الى العراق إنما أشارت الى من قال بذلك ، فلا بد لخالد أن يمر بالنباج اذا أراد العراق وقد أشارت بعض الروايات الى وقوف خالد في النباج ، واجتماع المثنى

به بالنباج والطريق الأقصر الذي يربط اليمامة بالعراق يمر بالنباج ، ولا يوجد طريق آخر بين اليمامة والعراق يمر بغير النباج ، الا اذا عرج المسافر على زبدة ، ومنها على فيد ، ومنه الى الحيرة ولكن المسافر اذا سلك هذا الطريق يكون قد قام بالتفافة كبيرة يبلغ طولها أكثر من ثلاث مئة كيلو متر ، هو في غنى عنها ، اذا أراد الحركة من اليمامة والتوجه الى العراق لهذا نرى أن ملاحظات كيتاني على حركة خالد في العراق غير صحيحة ، وقد تسلطت عليه فكرة سابقة وظل تحت تأثيرها في نقده لحركات خالد ، وظل متمسكاً برأيه أن خالداً لم يمر بأرض البصرة ، ولم تتم له فتوح ، وأنه سار من فيد والثعلبية الى الحيرة وحجته في ذلك أن أوثق رواة المدينة ـ ابن إسحاق والواقدي ـ لم يشيرا الى قتال وقع في نواح أخرى ، وأن ابن نبيشة أحد رواة البلاذري الذي رافق خالداً في غزوه للعراق ذكر أنهم انتهوا الى مسلحة العُذَيْب ، ثم أتوا الحيرة بينما هذه الروايات التي استند اليها كيتاني لا تدل دلالة صريحة على أن خالداً لم يمر بأرض البصرة ، ولم يقاتل الفرس على ضفاف الفرات ، لأن ابن اسحاق اكتفى بالقول إن خالداً نزل بقريات من السواد يقال لها بانقيا وباروسما وأليس وقال الواقدي : إن خالداً سار الى العراق على طريق الكوفة حتى انتهى الى الحيرة ان مجرد نزول خالد بقريات من السواد ، أو مسيره على طريق الكوفة وانتهائه الى الحيرة ، لا يدل على أنه لم يمر بأماكن أخرى ، ولم يقاتل الفرس فيها قبل نزوله قريات السواد ، كما أن رواية وصول خالد الى مسلحة العُذَيْب ومجيئه الى الحيرة فضلا عن أنها قد تخص سفر سعد بن أبي وقاص ، لا تدل على أنه لم يقم بأعمال أخرى قبل وصوله الى العُذَيْب وفي الواقع أننا اذا ثبتنا مواضع بانقيا وباروسما وأليس ، وعلمنا أن العُذَيْب في جنوبي الحيرة ، وقد نزل به سعد بن أبي وقاص قبل معركة القادسية ، ولاحظنا أن الرواة الآخرين لم يذكروا العذيب في حروب خالد ، جاز لنا أن نذهب الى أن خالد بن الوليد أتى الحيرة من طريق البصرة وأنه افتتح في طريقه قرى في أطراف الفرات صلحاً بالاتفاق مع أهلها ، أو احتلها عنوةً بعد أن قاتل أهلها والمرابطين فيها من الفرس

واذا كان خالد ذهب من اليمامة لوجهه الى العراق ، ومر بالنباج كما بينا ، وأمره أبو بكر بأن يبدأ بفرج الهند الأبلة كما أشارت الى ذلك أكثر الروايات، فلا بد له اذن من أن يمر بأرض

البصرة ؛ لأن طريق النباج يقود المسافر الى البصرة ، لا الحيرة وإذا أراد المسافر أن يذهب من اليمامة الى الحيرة ، فينبغي له أن يتوجه الى بريدة ، ومنها الى فيد ، ومنه الى الثعلبية فالقرعاء فالعذيب حتى ينتهي الى الحيرة لهذا لا يوجد سبب ما لإنكار الروايات الباحثة في قتال خالد في أطراف البصرة ، وذهابه الى الحيرة بطريق الفرات ماراً بالولجة وقد ثبت موسل موضع الولجة في (عين ضاحك) على ضفة الفرات اليمنى جنوبي شرقي الشنافية على بعد خمسة عشر كيلو متراً ، والقادم من أطراف البصرة متوجهاً نحو الحيرة يمر بالولجة ، ثم بخفان حتى ينتهي الى الحيرة[1]

جغرافيا العراق في أوائل الفتح العربي (راجع خارطة أرض السواد) :

ولأجل معرفة الأماكن التي مر بها خالد بن الوليد ، يحسن بيان جغرافيا العراق قبيل الفتح العربي ومن العسير معرفة أماكن العراق معرفة تامة في زمن الفتح ، وسبب ذلك أن الفرات غيّر مجراه مرات عديدة منذ زمن الفتح ، وقد اندرست جداول عدة ، وشقت جداول أخرى حتى إن جغرافيا العراق في العهد العباسي تختلف بعض الاختلاف عنها في زمن الفتح ؛ لهذا نجد صورته التي وضعها جغرافيو العرب كاليعقوبي والمقدسي وابن خرداذبه وابن رسته والإصطخري وابن سرابيون ، لا تنطبق على صورة العراق في زمن الفتح وسنفرد لجغرافيا العراق في زمن الفتح بحثاً خاصاً ونكتفي الآن بذكر الأوصاف الأرضية للعراق في الأماكن التي مر بها خالد بن الوليد

يظهر مما كتبه البلاذري [2] أن نهر دجلة كان بعد السكوت في مجراه الحالي ، وكان يصب في دجلة البصرة ، أي شط العرب الحالي ، وكان يسمى دجلة العوراء ولكن حدث في زمن قباذ بن فيروز الذي حكم في نهاية القرن الخامس بثق عظيم في أسافل كسكر ؛ أي منطقة الحي

---

(١) أخبرنا أحد القادمين من الكويت أن أهل الكويت ما يزالون يذكرون مرور خالد بن الوليد بـ (الجهرة) في طريقه الى كاظمة وتقع الجهرة جنوبي غربي كاظمة على بعد ثمانية كيلو مترات ، وهي في منتهى خليج الكويت الى الغرب على طريق الكويت ــ البصرة

(٢) فتوح البلدان . ص ٢٩٠

والرفاعي الحالية ، أهمل سده ، فغرق كثير من الأرضين العامرة ولما تولى كسرى أنوشروان الذى حكم بلاد فارس فى منتصف القرن السادس ، أمر بردم ذلك البثق وفى السنة السابعة الهجرية زاد الفرات ودجلة زيادة عظيمة ، وانبثقت بثوق عظام ، فحاول أبرويز أن يسدها فلم يستطع ، فطغى الماء على العمارات والزروع وغمر مساحة عظيمة من الأرضين ، وكوّن البطائح والبطائح أرض مغمورة بالمياه كالأهوار الحالية فى جنوب العراق مثل هور الحمّار وهور الحويزة وغيرها وتبدأ أرض البطائح شمالاً من جنوبي شرقي الحيرة ، وتمتد جنوباً الى أرض البصرة ، ويحدها غرباً السهل المرتفع الموازي لنهر الفرات ، ويحدها شرقاً فرع دجلة الذى يجري وسط كسكر ويصب فى البطائح نفسها ، وهي عبارة عن بحيرة واسعة بعضها ضحل ، ولعل هور الحمّار الحالي هو بقايا البطائح

وانقطع الماء فى فرع دجلة الأصلي ، أي نهر العمارة ، على أثر البثوق ، وأخذ الفرات وفروعه يصب رأساً فى البطائح جنوبي غربي الحيرة ، وأصبح المجرى الأصلي لدجلة يمتد جنوباً بعد الكوت ويحاذي البطائح من ناحية الشرق ويصب فى البطائح نفسها وماء البطائح يجري فى شعب عدة نحو الشرق ، تلتقي بمجرى دجلة القديم جنوبي العمارة فيتكون منها دجلة العوراء التي تصب فى البحر فى جوار الأبلة ، وهي فرضة العراق وواقعة الى شمالي شرقي البصرة على بعد نحو من عشرين كيلو متراً ، ويأخذ نهر الأبلّة الماء من دجلة العوراء ويصبه باتجاه أرض البصرة

والذى يفهم من ذلك أن القرى الحالية ، الفيصلية والشنافية والرميثة والشامية والديوانية والدغارة وعفك والناصرية والشطرة وسوق الشيوخ وما جاورها من الأرض جميعها كانت من البطائح ؛ وكانت مدينة (نفر) فى الحد الشمالي للبطائح ، وكانت مدينة (زندورد) فى أرض كسكر ، أي المنطقة بين الحي والرفاعي ، وقد شيدت مدينة (واسط) بعد ذلك من أنقاضها ، وكانت قرية (المذار) فى منطقة ميسان واقعة على ضفة دجلة العوراء اليمنى فى قسمها الشمالي فى جوار قلعة صالح وكانت جداول عدة تأخذ الماء من دجلة العوراء وتصبه في أرض البصرة في الاتجاه الجنوبي الغربي ، ونهر الأبلة ونهر المرأة من جملتها وكانت الخريبة مسلحة للفرس ، وهي واقعة في أطراف مدينة الزبير

أما في وسط العراق ، أي المنطقة التي يقرب فيها نهر دجلة من نهر الفرات وفيها عاصمة الفرس الصيفية (المدائن) ، وفيها شيدت فيما بعد مدينة الكوفة ومدينة بغداد ، فكانت تشبه بأوصافها أوصاف أرضها الحالية ، ما عدا الجداول التي تأخذ الماء من ضفة الفرات اليسرى وتصبه في اتجاه دجلة ، وكذلك الجداول الأخرى التي تأخذ الماء من ضفته اليمنى وتمتد موازيةً له أو متباعدة عنه وقد غيرت هذه الجداول مجراها مرات مما أصابها من إهمال وما تراكم فيها من طمي سد صدورها وحال دون وصول الماء اليها

ومن الفائدة أن نثبت ، باختصار وبصورة تقريبية ، الأماكن التي ورد أسمها في فتوحات خالد ، ليسهل على القارئ متابعة سير الفتوح ، ونبدأ بذكر المواقع المذكورة من الجنوب ، من أطراف البصرة ، مصعدين الى الشمال باتجاه البطائح

كانت الأبلة – كما بيّنّا من قبل – فرضة العراق أو فرج الهند كما ورد ذلك في كتب الفتوح ، وكانت واقعة في منتهى خليج البصرة ، على الضفة اليمنى من دجلة العوراء ، أي وسط شط العرب ، ولم يكن شط العرب قد أمتد يومئذ الى الفاو بتأثير رواسب الطمي التي يجرفها مياه الأنهار الى البحر . وشيدت الأبلة في العهد السلوقي في ملتقى دجلة العوراء بخليج البصرة ، بأسم (أبولو) المعبود اليوناني ، وصرف العرب لفظة (أبولو) الى الأبلة ولم تكن قرية عبادان موجودة يومئذ ولعل أرضها كانت ما تزال في جوف البحر وكانت الأبلة في زمن الفتح قد أبتعدت عن البحر قليلا بتأثير رواسب الطمي

وكان الطريق الذي يربط البصرة بالحيرة يمر بخَفّان ، ولا بد للمسافر أن يمر به اذا أراد الحيرة ومن خَفّان يتشعب طريق بالاتجاه الجنوبي الغربي الى فيد ذكر ياقوت أن خفان موضع قريب من الكوفة يسلكه الحاج أحياناً ، وهو مأسدة ، قيل هو فوق القادسية ، وفيها عين ماء جارية وقد ثبتها موسل في خارطته بقرية (القائم) الحالية الواقعة الى غربي جنوبي غربي الشنافية على بعد خمسة كيلو مترات ، وورد أسمها في خارطة البصرة (مقياس واحد على مليون طبع سنة ١٩٤٤ م) باسم قوام بدلاً من القائم ولما كانت القرية على سيف البادية ، فلم تكن تصل اليها مياه الفيضان وقد اتخذها الفرس مسلحة لمراقبة القبائل العربية والدفاع عن

مرارع السواد واذا ما تقدم المسافر من خفـان متوجهاً الى الحيرة ومال الى شاطئ الفرات ، فانه يمر بالولجة ذكر ياقوت أن (الولجة) بأرض كسكر ، وقال : انها موضع مما يلي البر ، واقع فيها خالد جيش الفرس سنة اثنتي عشرة للهجرة ويتبين من خبر القتال فيها أنها كانت بعيدة عن شاطئ الفرات ، ولعلها كانت هي أيضاً مسلحة من مسالح الفرس وثبتها موسل في خارطته بـ (عين الضاحك) ، وهو واقع جنوبي جنوبي غربي الشنافية على بعد عشرة كيلومترات

وجاء فى أخبار الفتوح : أن العرب بعد انتصارهم على الفرس فى الولجة ، قاتلوهم فى موضع أُلَّيْس اقتصر ياقوت على القول انها التي كانت فيها الواقعة بين المسلمين والفرس فى أول أرض العراق ، من ناحية البادية وفى كتاب الفتوح : أُلَّيْس قرية من قرى الأنبار . وقال فيها الطبري : إنها فى صلب الفرات واستند كيتاني الى قول ولديكه : إن أليس محرفة من كلمة (ولوجسياس ـ Vologias أو Volocesia أو Velgasis) اليونانية واستناداً الى ذلك ادعى أن خالد بن الوليد هاجم الحيرة من الاتجاه الشمالي ، لأن ولوجسياس بحسب زعمه واقعة على قناة (بالاكوباس أو باللاكا أوبا أو نهرأبا) بينما يظهر من أبحاث الجغرافيين والمؤرخين القدماء اليونان والرومان أن مدينة (ولوجسياس أو فولجيسيا) واقعة على نهر الفرات جنوبي مصب نهر الملكا القديم الذى كان يأخذ المياه من الفرات ويصبها بالاتجاه الشرقى فى أرض المدائن وقد ثبتها موسل باسم (بترة) وهي واقعة جنوبي غربي الفلوجة على بعد خمسة وثلاثين كيلو متراً ولكن أخبار الفتوح تدل على أن قتال أُلَّيْس جرى بعد قتال الولجة وقبل أمغيشيا حيث ينتهي اليها فرات بادقلى وجرى بعد ذلك قتال بين العرب والفرس على فم نهر العتيق ، ولاسيما خبر سد النهر وقطع المياه عنه كل ذلك يدل على أن ألّيس فى جنوبي الحيرة لا فى شمالها وثبت موسل موضع ألّيس فى قرية الشاطئ الواقعة على ضفة الفرات اليمنى شمالي غربي الشنافية على بعد خمسة كيلو مترات وذكر ياقوت أنها كانت من مسالح (أمغيشيا)

ذكر ياقوت أن أمغيشيا موضع بالعراق كانت فيه وقعة بين المسلمين وأميرهم خالد وبين الفرس فلما ملكها المسلمون ، أمر خالد بهدمها ، وكانت مصراً كالحيرة ، وكان فرات بادقلى ينتهي اليها ، وكانت ألّيس من مسالحها ومما يلفت النظر أن جغرافيي العرب لم يشيروا الى اسم أمغيشيا ،

واذا ذكروا المغيثة ، وهي في البادية على طريق الكوفة ويظهر من ذلك أن مدينة أمغيشيا قد اندرت في عهدهم ويتبين من أخبار القتال بين أليس والحيرة أنها كانت في جنوبي شرقي الحيرة وفي رواية أثبتها ياقوت في معجم البلدان في مادة (جرعة) أن خالداً لما قدم العراق نزل بالجرعة بين النجفة والحيرة ، وقال ياقوت : انها موضع بالكوفة ، ووصفها بأنها المكان الذي فيه سهولة ورمل ويظهر من وصف ياقوت أنها ليست القرعاء أو الجرعاء في طريق (فيد ـ الحيرة) الواقعة في البادية جنوبي المغيثة ينزل بها الحاج في طريقهم من الكوفة الى المدينة والواضح من الرواية أن خالداً مر بها قبل دخوله الحيرة ، لأنها ـ كما ذكر ـ قرب الكوفة والنجفة الواردة في الروايات هي النجف ، أي الأرض المرتفعة التي بنيت فيها الحيرة وقصر الخورنق وقصر ضيزناباد ، وهي تسيطر شرقاً على ضفاف الفرات ، وغرباً على بحيرة النجف تنحدرات صخرية تحيط بالبحيرة من الشرق والشمال لا يستبعد أنها الجمّارة الحالية ، وذلك بتحريف الجرعة الى الجمارة

وذكر موسل أن مجمع الأنهار الوارد ذكره في القتال الذي جرى بعد معركة أليس، ينبغي التفتيش عنه بين أبي صخير والجمارة ؛ لأن نهر العتيق كان يأخذ الماء من الفرات ، في هذا الموضع . وفي رواية رواها الطبري عن سيف بن عمر أن خالداً قصد الحيرة بعد مقاتلته للفرس في مجمع الأنهار ، ونزل بين الخورنق والنجف[1] والخورنق مكانه ما يزال ظاهراً في الحافة الصخرية التي تحيط ببحر النجف من جهة الجنوب الشرقي ، شمالي غربي أبي صخير بمسافة اثني عشر كيلو متراً ، ولم يبق من بنائه شيء ، فيه ركام من الآجر والحجر ، واذا ما أجريت فيه حفريات فقد تكشف آساسه ويقع قصر الصنين الذي ورد ذكره في فتوح سعد بن أبي وقاص ، جنوبي غربي الخورنق على بعد عشرة كيلو مترات ، وقال ياقوت فيه : إنه كان بظاهر الكوفة ، وبه نهر ومزارع وما يزال أثره ظاهراً

والذي نستنبطه من هذا البحث الجغرافي الموجز ، أن خالد بن الوليد شخص من اليمامة الى النباج فبقي فيه مدة قصيرة ، ثم توجه الى كاظمة وهي واقعة في منتهى خليج الكويت ولعلها

(١) الطبري (١/٥٦٧) .

كانت يومئذ فرضة ، ثم عرج على الأبلة ، ثم سار الى الخريبة ومر بنهر المرأة ويلوح لنا أن دجلة العوراء والأنهر الكثيرة التي تجر الماء من البطائح وتصبها في دجلة العوراء ، قد حالت دون دخوله في منطقة ميسان ثم توجه الى الحيرة على سيف البادية فشن الغارات على المسالح الفارسية ، وأوغل في ضفاف الفرات ، وقاتل الفرس في الولجة وأليس وأمغيشيا ومجمع الأنهار ، ثم مر بالخورنق وانتهى الى الحيرة وفى سيف البادية الذي يسيطر على أطراف الفرات وقراه ومزارعه ، انتشرت عيون المياه ؛ لأن مياه الأمطار التي تجرى في الأودية المنصبة فى سهل الفرات ، تغور فى هذه الأودية ، وتظهر هنا وهناك عيوناً جارية ، وهي كثيرة في هذا السيف وفى الروابي المسيطرة على منخفض بحر النجف

والطريق الثاني الذي يربط البادية بالعراق ، هو طريق المدينة ـ الحيرة ، وقد سلكه سعد ابن أبي وقاص فى سفره الى العراق وهذا الطريق يمر بفيد والثعلبية فزبالة ، فواقصة ، فالمغيثة ، فالعذيب ، فالقادسية حتى ينتهي الى الحيرة وبعد المغيثة كلما أمتد الطريق نحو الحيرة ، كثرت فيه عيون المياه ؛ فعذيب الهجانات والعذيب أو عذيب القوادس فيهما ماء جارٍ ، وفى المغيثة برك تجتمع فيها مياه الأمطار ، وفى القرعاء آبار أما عذيب الهجانات فواقعة على عين النجارية الحالية ، والعذيب فى الرحبة الحالية . والقادسية لم يبق من آثارها الا ركام من الآجر والحجارة ، والمسافة بين العذيب (الرحبة) والقادسية زهاء خمسة كيلو مترات أما الحيرة فواقعة الى جنوبي الكوفة بالمسافة نفسها ، وكانت مبنية في سهل منبسط ، تسيطر على ضفة الفرات اليمنى فى الشرق وعلى منخفض النجف في الغرب . وأما آثارها الباقيه فعبارة عن تلال منتشرة هنا وهناك .

وكانت مدينة الحيرة في زمن الفتح العربي مجموعة مبان محصنة ، تفصلها بساتين ومزارع ، وكانت كل مجموعة منها تسمى قصراً ، وهو على شكل مستطيل وسطه فِناء واسع ، يحيط به بنايات منفردة وكانت الجدران الخارجية لهذه القصور أعلى من الجدران الداخلية ، وفي الجدار الخارجي باب حصين يقود الى الفناء ، ومنه الى المباني وحجم القصر يختلف باختلاف الساكنين فيه وهم يكونون في الأغلب عدة أسَر من نخذ واحد واذا أخبر الخفراء من أرصاد وعيون أن العدو قادم ، يسدون الأبواب ، ويقاومونه من الفتحات في السور الخارجي وكانت

الحيرة تستقي الماء من الفرات بجدول يأخذ الماء من شمالي الحيرة ويجري باتجاه الجنوب موازياً للفرات وما يزال أثر هذا الجدول موجوداً يسميه الأهلون (كَـري سِـعْدة)

ومجمع الأنهار الذى ورد ذكره فى الفتوح، واقع بين الحمّارة وأبي صخير وذكر الطبري أنه مجمع الأنهار نهر الحيرة ونهر السيلحين ونهر القادسية ونهر بُرُسف[1] وقد أخطأ الطبري بذكره نهر الحيرة ؛ لأن النهر الذى يأخذ الماء من الفرات بين الجمارة وأبي صخير ، لا تمكن أن يجري في أرض الحيرة ؛ لأنها مرتفعة أما الأنهار الأخرى فتأخذ الماء من الفرات في المجمع وتصبه في الاتجاه الشمالي الغربي نحو منخفض النجف أو الى الجنوبي الغربي ، وما يزال امتداد الجداول الحالية في هذين الاتجاهين ويظهر من أخبار الفتوح أن نهر السيلحين كان يسقي قصر صنين ومزارعه

وجاء في رواية ابن اسحاق أن خالداً في طريقه الى العراق نزل بقريات من السواد يقال لها بانقيا وباروسما وألّيس وقد أيد اليعقوبى وصول خالد الى بانقيا وذكر ياقوت أن بانقيا ناحية من نواحي الـكوفة ، وأورد رواية الشعبي أن خالداً سار من الحيرة حتى نزل بصلوبا صاحب بانقيا وسما (باروسما) ومن الصعب تثبيت محلها ، إلا أنها ينبغي أن تكون على الفرات في شمالي الحيرة ؛ لأن أخبار الفتح الموثوقة أجمعت على أن خالداً ذهب اليها بعد فتح الحيرة ، ولم يذكرها جغرافيو العرب ، وذلك يدل على أنها اندرت في زمنهم أما (باروسما أو بارُسما أو سما) فتدل أخبار الفتح على أنها واقعة بجوار بانقيا ، وكانت هي وبانقيا وما جاورها من ضياع ابن صلوبا ، ذكرها جغرافيو العرب وجعلوها من طسوج بهقباذ الأوسط ، كما جعلوا سورا وجُبة والبداة أيضاً من طسوج هذا الاستان، ويستدلّ من أخبار الفتوح أن باروسما كانت في الضفة اليسرى من الفرات

وبديهي أن الحيرة كانت مرتبطة بالمدائن ، العاصمة الصيفية لملوك ساسان ، بطريق يقطع الفرات فوق جسر ، والجسر هذا ينبغي أن يكون الى شمالي شرقي الحيرة ، ولعله كان في المكان الذى ذكره جغرافيو العرب باسم قناطر الـكوفة ، ولا تمكن تثبيت مكانه بالضبط ويجوز أنه

(١) الطبري (٤/٥٦٢)

كان واقعاً الى شرقي النخيلة ، أي (خان النخيلة) الحالي الواقع على طريق كربلاء ـ النجف جنوبي شرقي كربلاء . وبعد أن فتح خالد الحيرة ، سار الى الأنبار جاعلاً نهر الفرات على يمينه وفي الحق أن خالد بن الوليد قصر حركاته في الضفة اليمنى ، ولم يجتز الفرات بقونه ، ولكن بعض رجاله اجتازوا الفرات للإغارة أما (قيساثا) أو (قس الناطف) التي صالح ابن صلوبا خالداً عليها ، فكانت في الضفة اليسرى من الفرات وذكر البلاذري أن أهل بانقيا ساعدوا أبا عبيد الذي ولى القيادة بعد سفر خالد الى الشام ، ساعدوه على نصب الجسر ، وذكر أنه يقال إن الجسر قديم لأهل الحيرة يعبرون عليه الى ضياعهم والذي نستنتجه من بحثنا أن بانقيا وباروسما أو سما قريتان واقعتان جنوبي قس الناطف : الأولى على الضفة اليمنى ، والثانية على الضفة اليسرى

ولم يذكر الأخباريون أحداثاً أخرى بعد مصالحة خالد لصلوبا ، إنما يشيرون الى حوادث وقعت في الأنبار ، وذلك يدل على أنه لم يجر حوادث تستدعي الذكر بين الحيرة والأنبار ويتراءى لنا أن خالداً ترك شاطئ الفرات بعد صلح صلوبا ، وسلك الطريق البري متوجهاً الى الأنبار وهذا الطريق يمر بـ (دير الجماجم) و (دير قرة) ، وينتهي بالأنبار ولعل طريق عين التمر ـ الأنبار يلتقي به في دير الجماجم وورد ذكر هذا الدير في الحوادث التي جرت في القرن الأول الهجري ، وثبته موسل في جوار كربلاء

وكانت (الأنبار) مدينة عظيمة للفرس ، كانت تسمى (فيروز سابور) كما ذكر ياقوت وهي من الحصون الفارسية الأمامية التي تسد وادي الفرات بوجه الجيوش الزاحفة نحو الجنوب ، وما تزال خرائبها ظاهرة في شمالي الفلوجة على الضفة اليسرى ، وكانت فيها قلعة ، وينبغي أن يكون فيها جسر تعبره القوافل القادمة من الشام وكان لها حصن في الضفة اليمنى بمثابة رأس جسر ويتبين من أخبار الفتوح أن خالداً بعد وقعة الأنهار ظل في الضفة اليمنى ، عبرت بعض قواته الفرات ، وأغارت على سوق بغداد ، ثم عادت الى الأنبار

وذكر البلاذري أن سوق بغداد هي السوق العتيقة التي كانت عند قرن الصراة وذكر ياقوت أنها قرية تقوم فيها سوق عظيمة في كل شهر يأتيها تجار فارس والأهواز والقرية هذه

واقعة على الضفة اليمنى من نهر دجلة بين فم قناة الصراة وقناة الرفيل ، ثبتها الدكتور أحمد سوسة في أطلسه لمدينة بغداد

وورد ذكر (البوازيج) في غزوة خالد للأنبار ، ويلوح أن البازوج لا يدل على مكان معين ، بل هو وصف لأرض ما ، ولعلها كانت قبالة فم نهر الرفيل

وأما (عين التمر) التي افتتحها خالد بعد غزوه للأنبار ، فتقع في أطراف (شفاثا) أو (شثاثة) كما يذكرها الأهلون ، والعين على بعد اثني عشر كيلو متراً شمالي غربي قرية شفاثا

وأما قصر مقاتل ، فهو واقع بين شفاثا والرحالية ، على بعد أحد عشر كيلو متراً شمالي القرية ، وقد سمي (قصر رَدوِل) كناية عن القصور التي شيدها الصليبيون في سورية ، كقصر (بلدرن) ، والأهلون يسمونه الآن قصر شمعون

ولما نكث أهل الأنبار بعد ذهاب خالد الى عين التمر ، عاد خالد الى الأنبار ومر بطريقه بصندوداء و (صندوداء) هذه هي (المشهد) أو (المشيهد) الحالية الواقعة الى شرقي الرمادي ، وذكر ابن منقذ أنها كانت ضاحية من ضواحي الأنبار

(الخندق) أو (خندق سابور) : لقد ورد ذكر الخندق في أخبار الفتوح ، وقد أشار اليه البلاذري وسماه خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب الموكلين بمسالح الخندق [1] ، وذكره ياقوت في معجم البلدان أيضاً ، وقال : ان خندق سابور في برية الكوفة ، حفره سابور بينه وبين العرب خوفاً من شرهم وزعموا أن الخندق يبدأ من هيت ، يشق طنف البادية الى كاظمة وينفذ الى البحر وقال : انه بنى عليه المناظر والجواسق ، ونظم بالمسالح ليكون ذلك مانعاً لأهل البادية والواضح من ذلك أن ملوك فارس حفروا هذا الخندق ليأمنوا شر غارات أهل البادية على قرى أهل السواد الواقعة الى شرقي الفرات أصحيح أن فم الخندق يبدأ في جوار هيت ؟ وهل من فائدة في حفر هذا الخندق طرف هيت ؟ واذا صح وجود الخندق ينبغي أن يكون فمه في الجنوب ، أي المكان الذي تبدأ فيه الأرض السهلة المنبسطة ، أرض السواد وفي الحق أن آثار الخندق ترى في الجنوب من جنوبي النخيلة الى غربي الكوفة

(١) البلاذري (ص ٢٩٦)

موازية للفرات ، والأثر هذا ظاهر غربي المكان الذي شيدت فيه الحيرة ، يمتد الى شرق المكان الذي أقيم فيه قصر الخورنق ، وينعطف بعد ذلك الى الغرب فيتصل بالأرض المنخفضة بين أبي صخير وبحر النجف وقد أطلق عليه اسم (كري سعدة) وهناك أثر جدول جنوبي شرقي هيت تمتد موازياً ضفة الفرات ومتباعدا عنها ، يسمى كري سعدة أيضاً وجاء في أخبار الفتوح أن خندقاً كان يحمي القادسية وكانت عليه قنطرة وقيل : إن القادسية بين العتيق والخندق . ويذكر رجال من قبيلة بني أسد الساكنة أطراف هور الحمار أن أثر كري سعدة يشاهد في أطراف (النبيشية) الواقعة الى شمالي غربي البصرة هل لهذه الآثار اتصال بالخندق المزعوم ؟ من العسير أن يصدق المرء وجود خندق متصل يبدأ من هيت وينتهي في كاظمة ولا شك في أن مزارع السواد وقراه الواقعة في الضفة اليمنى للفرات في حاجة الى خندق يحميها من إغارات القبائل . ومن السهل حماية هذه القرى بجداول تستقي الماء من الفرات مباشرة ، أو من أنهاره ولكن الصعوبة تنجم من حفر خندق متصل يربط المخافر الأمامية الواقعة على شفير البادية كعين التمر والقادسية والعذيب وخفان والولجة والخريبة وكاظمة ، وكانت هذه المواقع مخافر أمامية للفرس ، أعدوا فيها حاميات من العرب والفرس حيثما كان الموقف يساعدهم على ذلك ولهذا نستبعد وجود خندق متصل يبدأ من هيت وينتهي في كاظمة والخندق هذا لا يحول دون غزو العرب إلاّ اذا كان عريضاً وعميقاً ، ولا بد أن يكون في وضع يتيسر معه صب المياه فيه وفي الواقع أن الأنهار والقنوات تكون بحد ذاتها موانع طبيعية تحول دون الغارات

الموقف العام قبل البدء بالحركات : سبق أن أشرنا الى أن خالد بن الوليد توجه من اليمامة الى العراق ، وأنه وقف بالنباج ولما كان هدفه الأبلّة فرج الهند كما أمره أبو بكر ، كان لا بد له من أن يقيم بالنباج مدة يتسقط الأخبار عن الفرس ليعرف موقفهم في العراق ومقدار قوتهم في أطراف البصرة وفي الروايات ما تذكر أن المثنى بن حارثة الشيباني لقي خالداً بالنباج . ومن الطبيعي أنه أطلعه على أخبار العراق في هذا الاجتماع والروايات تشير الى أن المثنى قدم على أبي بكر ، وطلب اليه أن يستعمله على مقاتلة الأعاجم

س أهل فارس ، فكتب له أبو بكر عهداً في ذلك[١] وكان المثنى رئيساً من رؤساء قبائل بكر بن وائل ، وكان « غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد » بهذا الوصف قدمه قيس بن عاصم بن سنان المنقري الى أبي بكر

ويظهر مما ذكره ابن حبيش استناداً الى رواية عمر بن شبة : « أن المثنى كان كثيراً ما يغزو الأعاجم في السواد وقد وصل خبره الى أبي بكر ، فسأل عنه عمر ، وعلم من قيس ابن عاصم أنه غير مجهول النسب وقدم المثنى على أبي بكر ، وطلب اليه أن يستعمله على قومه الذين أسلموا لمقاتلة الأعاجم ، فلبى أبو بكر طلبه وذهب المثنى الى العراق ، وحارب الأعاجم وأهل السواد سنة ، ثم أوفد أخاه مسعود بن حارثة الى أبي بكر يستنجده ، فبلغ أخوه رسالة أخيه قائلا ما معناه : « اذا أنجد الخليفة أخاه ، وعلمت العرب ذلك ، فانهم يسارعون في الانضمام اليه ، وسيخزي الله المشركين » وقال : « إعلم يا خليفة رسول الله أن الأعاجم يهابوننا » وعلى أثر ذلك أوصى عمر أبا بكر بارسال خالد بن الوليد مدداً للمثنى ، وبهذا يصبح خالد قريباً من المسلمين المحاربين في الشام ولو لم يحتج المسلمون اليه في الشام ، لمكث خالد في العراق حتى يتم الله نصره هذا هو السبب الذي دعا أبا بكر لارسال خالد الى العراق[٢]

إن البلاد التي صال خالد وجال فيها ، كانت القبائل العربية تسكن في باديتها أما أرض السواد ، فكان يسكنها أهلها الأقدمون ، وهم خليط من الكلدان والسريان والأراميين ، أطلق العرب عليهم اسم (الأنباط) . وكانت الأكثرية الساحقة منهم نصرانية منذ قرون ، والسواد منقسم من الوجهة الادارية الى اثنتي عشرة كورة ، و (الكورة) تسمى (أستان) ، والأستان منقسم الى (طسوج) ، والأستان كما ترجمها ابن خرداذبه (احازة) وترجم الطسوج بناحية ، وفي السواد ستون طسوجاً وكانت الكورة تدار من قبل حكام من الفرس وفي أرض السواد مزارع واسعة تملكها الدهاقنة من الفرس ومن الأنباط فـ(ابن صلوبا أو صلوبا) صاحب بانقيا وبارسما ، نبطي ، أي من أهل البلاد الأقدمين

---

(١) البلاذري (ص ٢٤٢) (٢) لم نعثر على كتاب ابن حبيش . وقد نقلنا هـذا الخبر من حوليات الاسلام لكيتاني : المجلد الثاني ، الجزء الأول ، الفقرة (١٥٦) ، السنة ١٢ هـ .

وفى السواد منظومة متقنة من الأنهار والأقنية ، تأخذ الماء من الفرات ومن دجلة ، والقسم العامر من السواد يبدأ من كورة (فيروز سابور) ، وهي (الأنبار) وينتهي بكورة (شاذ سابور) أى (كسكر) ، والقسم العامر فى الجنوب كورة (شاذ بهمن) ، وهي كورة دجلة أي ميسان والأبلّة وكانت الكور المستهدفة لخطر الغارات ، هي المتاخمة لنهر الفرات ، ككورة بهقباذ الأعلى ومن طساسيجها الفلوجة العليا والفلوجة السفلى والنهرين وعين التمر وكورة بهقباذ الأوسط وطسوجها سورا وباروسما والسيبين وكورة بهقباذ الأسفل ومن طسوجها فرات بادقلى والسيلحين ولستر ، ومن طسوج السيلحين الخورنق وطيزناباذ وكان نهر الغراب بوضعه الجغرافي الحد الذى يحمي الطساسيج الواقعة الى شرقه من خطر الهجوم

أما البطائح ، فقد حمى الطساسيج الواقعة الى شرقها ، كطساسيج كسكر والزندورد والزثور والجوازر ، وكورة شاذ بهمن ، أي كورة دجلة كميسان والمذار

أمّا طساسيج الأبلّة ، فما وقع منها على الضفة اليمنى من دجلة ، لا يحميها عارض جغرافي ، لهذا فلا غرابة اذا رأينا خالداً يغزوها

وكانت الحيرة ومن يليها على ما يظهر ذات نظام خاص ، وكانت قبل الفتح العربي بمدة طويلة ذات استقلال ذاتي ، يحكمها المناذرة حتى قضى الفرس على هذا الاستقلال ، وعينوا حاكماً عليها اياس بن قبيصة الطائي ، عينه كسرى أبرويز عاملاً على الحيرة بعد النعمان ابن المنذر(١)

ويتضح من أخبار الفتوح أن الفخذ المتنفذ فى الحيرة ، كان بني بقيلة ، ورئيسه عمرو ابن عبد المسيح الذى عقد خالد الصلح معه صلح الحيرة

أما القبائل التي سكنت البادية المتاخمة لأرض السواد ، فى الجنوب قبائل بكر بن وائل ، وفى الشمال قبائل تغلب أما منازل بكر ، فمن طريق (النباج ـ الأبلّة) الى أطراف الحيرة وأما منازل تغلب ، فمن أطراف الحيرة جنوباً الى الفراض وتدمر شمالاً ولعل الحيرة وما جاورها

(١) البلاذري (ص ٢٤٤) .

كانت المنطقة الفاصلة بين منازل بكر ومنازل تغلب

وكانت قبائل كلب تسكن وسط بادية الشام ، وهي مجاورة لتغلب من جهة الشرق ، ومتاخمة لبلاد الشام من ناحية الغرب وكانت الخصومة ما تزال شديدة بين بكر وتغلب ، ورثتها من أيام الجاهلية وكانت قبائل تغلب قد تنصرت كما تنصر أهل الحيرة أما قبائل بكر فكان أكثرها مشركاً وليس من شك في أن المثنى رئيس بني شيبان كان مسلماً ، ومن الروايات ما تزعم أنه أسلم في حياة الرسول

وفيما ذكره البلاذري عن قدوم المثنى الى أبي بكر ، ما يدل على أن بعض بني شيبان كانوا مسلمين ؛ لأن المثنى طلب الى أبي بكر أن يستعمله على من أسلم من قومه ليقاتل بهم أهل أهل فارس[1] وتشير الأخبار الى أن قبائل بكر بن وائل بعد انتصارها على الفرس في معركة ذي قار تشجعت فأخذت تشن الغارات على تخوم العراق ومما زادها طمعاً في ذلك الفترة التي سادت فيها الفتن والاضطرابات في بلاد فارس وكانت القوافل التي تنقل الأمتعة من الأبلة الى الحيرة عن بلاد بكر وبحمايتها ، كما كانت القوافل بين العراق والشام عن بلاد تغلب وبحمايتها .

وكان لقدوم المثنى على أبي بكر ، وعرض خدمة قومه في مقاتلة الأعاجم ، أهمية بالغة الأثر في نجاح حركات خالد ولو وقف قبائل بني بكر ـ وأكثرها كما بينا سابقاً كان مشركاً ـ موقف المناصر للفرس كما وقفت تغلب ، أو أنها وقف موقف المتربص ، لتعسر على خالد أن يمر بأرضها لمناوشة الفرس ، ولشق عليه إرسال الغنائم الى المدينة وسترى ، في بحثنا في حروب خالد في العراق ، الصعوبات التي جابهها من وقوف قبائل تغلب موقف المعادي ويستفاد من خبر الفتوح أنه كان للفرس بعض المسالح المنتشرة في أطراف البادية ، أقاموها من الشمالي الغربي الى الجنوبي الشرقي ، أي من غربي الأنبار الى جنوبي الأبلة ، وكان بعض هذه المسالح خارج نطاق خندق سابور

(١) البلاذري (٢٤٢)

فعين التمر والعذيب ، كانا من جملة هذه المسالح فى الشمال ، وكانت خفان والولجة من مسالح الوسط أما الخريبة وحصن المرأة وكاظمة ، فكانت من مسالح الجنوب وتدل الروايات على أن الفرس أخلوا بعض المسالح قبل حركات خالد ، بسبب الفتن التي انتشرت فى بلادهم لخفان مثلا كانت خالية ، وكان قوم من بني بكر يقيمون فيها ، كما أن العذيب على ما يبدو لم تكن له حامية ويبدو أن أبا بكر استعظم أمر فارس ، وفى الحق أن وجه فارس كان من أكره الوجوه الى العرب ، وأثقلها عليهم ، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم[1] لهذا نرى جرير بن عبد الله البجلي حين ندبه عمر ليمد من فى العراق بعد وقعة الجسر ، يكره الذهاب الى العراق ويريد الشام ، فيقول له عمر : الى العراق ، ويقول جرير : بل الشام ، ويكرر عمر قوله ، ويجيب جرير : بل الشام وفى رواية أخرى ذكرها الطبري أن عمر ندب الناس للحرب فى العراق بعد موت أبي بكر ، فتفرقوا على غير إجابة

أما والأمر كذلك ، فكان من الطبيعى أن يستعظم أبو بكر أمر فارس ، ولا يكتفى بإيفاد خالد بن الوليد لمقاتلة الفرس ، بل يرسل فى الوقت نفسه عياض بن غنم الى العراق أيضاً : الأول من اليمامة الى جنوبي العراق ، والثانى من الحجاز الى شمالي العراق ، ويتقدم الأول من النباج ووجهته الأبلة ، ويتقدم الثانى الى دومة الجندل ومنه الى شمالي العراق ، وهدف الاثنين (الحيرة) وفى رواية للشعبي « أن أبا بكر كتب الى خالد بعد فراغه من اليمامة : إن الله فتح عليك ، فعارقْ حتى تلقى عياضاً وكتب الى عياض بن غنم وهو بين النباج والحجاز : أن سرْ حتى تأتي (المصيخ) فابدأ بها ، ثم ادخل العراق من أعلاها ، وعارق حتى تلقى خالداً[2] » وفى رواية عن المغيرة بن عتبة « أن أبا بكر كتب الى خالد إذ أمره على حرب العراق أن يدخلها من أسفلها ، والى عياض إذ أمره على حرب العراق أن يدخلها من أعلاها ، ثم يستبقا الى الحيرة ، فأيهما سبق الى (الحيرة) فهو أمير على صاحبه[3] »

يتبين من هاتين الروايتين وروايات أخرى أن أبا بكر أراد أن يوفد جيشين الى العراق : جيش بقيادة خالد يدخل العراق من جنوبه ، وجيش آخر بقيادة عياض يدخل العراق من

(١) الطبري (٦٣١/٢) (٢) الطبري (٥٥٣/٢)
(٣) الطبري (٥٥٤/٢) .

شماله وكان بديهياً أن يكون أول هدف لحركة خالد الأبلّة فرج الهند ؛ لأنها ثغر العراق ، وقد أقام الفرس فيها حامية قوية بقيادة (هرمز) الذي كان يحارب العرب في البر ويحارب الهند بالبحر ، وكان هرمز كما وصفوه من أسوأ أمراء ذلك الفرج جوراً للعرب

قوة خالد : من العسير التثبت من عدد المجاهدين الذين رافقوا خالداً في حرب العراق ومن الروايات ما تذكر أن أهل المدينة الذين رافقوا خالداً في قتاله لأهل الردة رجعوا الى أهلهم بعد ورود كتاب أبي بكر بالمسير الى العراق ، مما أضطر خالداً أن يستمد أبا بكر ، فأمده بالقعقاع بن عمرو التميمي ، وكتب اليه أن يستنفر من قاتل أهل الردة ومن ثبت على الاسلام بعد الرسول ، وأن لا يغزو أحد ارتد ويتضح من ذلك أن القوة التي رافقت خالداً كانت من القبائل التي أمدته في قتاله لأهل الردة

ذكر ابن حبيش في رواية نقلها عن الواقدي : أن قوة خالد بن الوليد كانت تبلغ أربعة آلاف قبل حركته الى (بزاخة) ، وكان عدد الأنصار فيها زهاء خمس مئة مجاهد ولا ريب في أن تلك القوة ازدادت بالتحاق بعض المتخلفين عنها ؛ لأن الروايات تشير الى أن أبا بكر أمد جيش خالد بالمجاهدين من المدينة قبل سفره من البطاح الى اليمامة وقد التحق به رجال من القبائل من طيء وتميم وغيرها ؛ لهذا يلوح أن قوة خالد كانت تتفاوت من خمسة آلاف الى ستة آلاف في حرب اليمامة ، ولا بد أن عاد قسم غير قليل منها الى بلاده بعد الفتح وكان أهل المدينة من الأنصار والمهاجرين قفلوا راجعين الى أهلهم ولعل القوة التي بقيت مع خالد قبيل حركته الى العراق قد انخفضت الى النصف

وفي رواية للشعبي نقلاً عن سيف بن عمر أن قوة خالد حين حركته من اليمامة كانت ألفين ، ثم انضم اليها في طريقه الى العراق ثمانية آلاف من قبائل مضر وربيعة ، فقدم خالد في عشرة آلاف [1]

وذكر أبو يوسف أن خالداً خرج بألفين الى العراق ومعهم من الأتباع مثلهم . فمر بـ (فيد)

---

(١) الطبري (٢/٥٥٤)

فخرج معه خمس مئة من طيء ومعهم من الأتباع مثلهم ، فانتهى الى (شراف) ومعه خمسة آلاف أو أقل أو أكثر [١]

وما دام أبو بكر منع خالداً من أن يستنفر أحداً من المرتدين ، وأمره أن يكتفى بمن قاتل أهل الردة ومن ثبت على الاسلام ، فان عدد الذين التحقوا به فى طريقه الى العراق ينبغى ألا يكون كثيراً

ولكن خبر غزو العراق من جهة ، وحديث الانتصارات التي لازمت خالداً فى أسفاره من جهة أخرى ، لا بد أن حملا القبائل الساكنة بين اليمامة والعراق على الانضمام الى جيش خالد للاشتراك بخيرات الغزو والروايات تشير الى رغبة القبائل فى الاشتراك فى غزو العراق فالمثنى بن حارثة الشيبانى يقدم على أبي بكر ويطلب اليه أن يؤمره على قومه يقاتل بهم من يليه من أهل فارس ويكفيه ناحيته [٢] ، وسويد بن قطبة الذهلي أو قطبة بن قتادة الذهلي ومعه جماعة من قومه من بكر بن وائل يريد أن يفعل ما فعل المثنى فى الحيرة [٣]

واذا كان حقاً أن القوة التي رافقت خالداً فى سفره من اليمامة كانت تبلغ ألفيْ مقاتل ، فان الذين انظموا اليه فى طريقه والقوة التي كان قد جمعها المثنى بن حارثة من قومه والتي كان يغزو بها السواد وكذلك جماعة سويد ، قد ضاعفوا قوة خالد الأصلية وجعلوها تزيد ، ولعلها بلغت بهم أكثر من ستة آلاف رجل

قوة الفرس : لقد قرر مسعود بن حارثة الواقع لما قال لأبي بكر إن الفرس يهابون بكر بن وائل كما ذكره ابن حبيش تقدم خالد الى العراق فى نهاية الفترة المظلمة من تأريخ بني ساسان ، ولقد اشتد سوء هذه الفترة بثورة قباذ على أبيه كسرى أبروير فى بداية سنة (٦٢٨) وقتل أبيه فى سجنه والذى شجع قباذ على شق عصا الطاعة الهزائم التي منيت بها الجيوش الفارسية فى حروبها البيزنطيين فى عهد هرقليوس وفى عهد فوكاس سلف هرقل ، تجددت الحرب بين الفرس والروم سنة (٦٠٢) ، واستمرت عشرين سنة ، ووقعت معركة ذي قار بعد أن قضى

(١) كتاب الخراج (ص ١٦٩)
(٢) الطبري (ص ٥٥٢) (٣) البلاذري (ص ٢٤٣)

كسرى أبرويز على إمارة الحيرة ، وقتل ملكها النعمان ، وبذلك تضعضعت سيطرة الفرس على القبائل المتاخمة للعراق ، فتشجعت قبائل بكر بن وائل فغزت أطراف السواد ، ووطدت أقدامها فيه بعد انتصارها على الجيش الفارسي في ذي قار

وفي سنة (٦١) أسقط هرقليوس فوكاس ، وأصبح امبراطورا لبيزنطية ؛ واعتبر كسرى أبرويز هذا الحادث نقضاً للمعاهدة التي عقدها مع فوكاس ، فأعلن الحرب على الروم وضبطت الجيوش الفارسية دمشق سنة (٦١٣) ، ثم احتلت القدس سنة (٦١٤) ، واغتنمت الصليب المقدس ، واستولت على مصر ، وتقدمت بعد ذلك في بلاد الأناضول حتى بلغت مدينة خالكدون القابلة لمدينة القسطنطينية عاصمة الروم لم يستطع هرقليوس القيام بالهجوم المقابل إلاّ سنة (٦٢٢) ، فتقدم بجيوشه من شرقي الأناضول ، وتوغل في العراق من الشمال حتى وصل في بداية سنة (٦٢٨) الى الدسكرة التي اتخذها كسرى أبرويز مقراً له منذ أربعة وعشرين سنة ، واستولى هرقل على الدسكرة ، فهرب كسرى الى المدائن والتجأ فيها ، فثار ابنه قباذ عليه ، وألقاه في السجن ، وأعلن نفسه ملكاً على الفرس

وقعت هذه الحروب بين الفرس والروم في بداية عهد الرسول ، وبعد أن غلب الروم في أقصى الأرض كما أشارت إليه الآية الكريمة ، استعادوا قواتهم ، فتغلبوا على الفرس ، واستردوا جميع ما فقدوه من بلادهم .

وكان اشتداد الفترة المظلمة من بداية سنة (٦٢٨) الى جلوس يزدجرد على عرش الأكاسرة سنة (٦٣٣) وكان أول عمل دشن به قباذ حكمه أن قتل جميع إخوانه وبعد أن حكم ستة أشهر مات ، فتولى بعده الملك أردشير وعمره سبع سنوات ، وحدثت في عهده اضطرابات وفوضى ، وهاجم الخزر المملكة الايرانية من الشرق ، وحاول كسرى بن قباذ تأسيس مملكة في خراسان بمساعدة الخزر ولكنه مات مقتولاً بعد بضعة أشهر ثم أعلن شهربراز القائد العام نفسه ملكاً وتقدم بجيوشه نحو المدائن ، واحتلها ، وقتل أردشير ، واغتيل بعده شهربراز ، فتولت الملك بوران بنت كسرى أبرويز لفقدان الذكور من الأسرة المالكة ، ولم يطل حكمها أكثر من بضعة أشهر ، وخلفها أختها آذرميدخت في الملك سنة (٦٣١) ،

غير أن جنود شهر براز في نصيبين أعلنوا هرمز حفيد كسرى أبرويز ملكاً ، فخلع القائد رستم آذرميدخت ، وتولى الملك في المدائن فرخراد الابن الوحيد الذي سلم من القتل ، وفي الوقت نفسه أعلن أشراف فارس يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز ملكاً ، وذلك في أوائل سنة (٦٣٣) ، وبذلك انتهت فترة الحروب الداخلية في بلاد فارس التي كانت أشـد أيامها محنة السنوات الخمس الأخيرة

ومن البديهي أن يكون الفرس ضعفاء في تلك الفترة ، فتقتصر قواتهم في العراق على حاميات المسالح ، وكانت حاميات هذه المسالح من الضعف والاستكانة بحيث إنها لا تستطيع أن يساند بعضها بعضاً لهذا رأينا الحاميات فيها تتلقى الضربات بنفسها دون أن تنجدها قوة أخرى ولعل عاصمة الفرس الشتوية ، المدائن ، كانت محرومة من قوة احتياطية تنجد الحاميات حين الحاجة أو تقوم بهجوم معاكس كما جرى بعد ذلك ؛ لهذا تتعسر معرفة قوة الفرس التي حاربت خالداً في حركاته

أما الروايات فقد بالغت في عدد القتلى من الفرس ، واندفعت وراء الخيال في وصف القتال ، حتى إنها سمت نهراً وقع فيه القتال (نهر الدم) إشارة الى ما سفك فيه من دماء

(للبحث بقية) طه الهاشمي

بحث في سلامة اللغة العربية

— ٣ —

١٨ ـ « التدويل » قال : « اشتق المحدثون من لفظ الدولة ، دوّل البلد وغيره : جعله دولياً »

قلنا : والقول في التدويل كالقول في التأميم ، فانه مخالف لروح القياس في العربية ، وزاد مشتق « التدويل » اللغة عناء باشتقاقه « التفعيل » من الجمع ، أي الدُّول ، لا من الدولة كما ذكر آنفاً ، يدل على ذلك أن معنى « التدويل » الذي أراده هو جعل الشيء لجمهرة من الدول لا لدولة واحدة فان كان التدويل لا يجوز لدولة واحدة ، فبالحرى أن لا يجوز لأكثر منها ولقائل أن يقول : إن « الدولة » تدل على تعدد فاعلها ، ولذلك سميت دولة . فيقال له : نحن لا ننكر التعدّد ، بل اتحاد الزمن ، فالمداولة للدولة لا تكون في زمن واحد ، بل في أزمان متعاقبة وأقرب الألفاظ اليوم الى تأدية المعنى « الإشاعة » فقد جرت عادة دوائر التمليك أن يسموا الملك الذي لم يقسم على أصحابه « الملك المشاع » فيقال « أشاع المدينة بين الدول » أي جعلها مشاعة بينها وهو أهون على العربية من « التدويل » الذي لم نجد له وجهاً من وجوه الاشتقاق

١٩ـ « التصنيع » قال : « قال العرب : صنع الجارية : أحسن اليها وسمنها ، وتصنيع الشيء : تحسينه وتزيينه بالصناعة والمحدثون يريدون بالتصنيع معنى جديداً ، وهو جعل الأمة صناعية »

قلنا : إن العربية تقبل هذا القياس قبولاً حسناً ؛ لأنه من باب تزويد المفعول أصل الفعل ، وهو هنا الصناعة ، فيقال : « صنّعه تصنيعاً » مثل : « موّله تمويلاً ، وزوده تزويداً ، وعسله تعسيلاً » وما أشبه ذلك من مئات أمثال ليس لسردها موضع هنا

٢٠ ـ « التركيز » قال : « ركز الرمح ونحوه : غرزه في الأرض والمحدثون يطلقون التركيز على التكثيف والتجميع والحصر ، فيقولون : ركّز اللبن ونحوه : كثّفه وركّز فكره في كذا حصره »

قلنا : إن التركيز هذا هو ترجمة Concentrer الفرنسية ، أي ضم الأطراف الى المركز

في الأصل ، ثم توسعوا في استعماله ، فالمترجم الذي استعمل « التركيز » أول مرة راعى كلمة Centre أي المركز ، ظاناً أن التركيز الجمع والضم نحو المركز ، مع أن أصل المادة « الرَّكز » أي الغرز ، ثم سمي مغرز النقطة الوسطى من الدائرة « مركزاً » ، فهو اصطلاح هندسي ، والاصطلاح ـ كما ذكرنا في القسم الأول من مقالتنا ـ رمز الى المسمى ليس فيه صفة الجمع والمنع كما في التعريف . والذي رآه مكان التركيز « التغليظ » للماديات وهو مشتق من « غلظ الشيء غلظاً وغلظة وغلاظة ، خلاف دق دقة ورق رقة ولان ليناً وخف خفة » أما « تركيز الفكر » ، فجائز حَسن ؛ لأنّ معناه تثبيت الفكر في موضع واحد ، ليتوفر ويقوى

٢١ ـ « أعدم المجرم » قال : « يقول المحدثون : أعدم الجلاد المجرم : شنقه ، والمسموع عن العرب : أعدم الرجل : افتقر ، وأعدم فلاناً : منعه ، وأعدم الله فلاناً الشيء : جعله عادماً له »

قلنا : ليس « الإعدام » مختصاً بالشنق ، فهو إتلاف الحياة مطلقاً ، وليس هو من العدم الذي هو فقدان المال والفقرُ ، بل من العدم الذي هو الفناء أي ضد الوجود[1] ، وهو من معاني الحضارة ، أدخلته الفلسفة وعلم الكلام فدلّ على مرونة العربية وصلاحيتها للوفاء بحاجة العلوم ، قال الفيومي : « وقال أبو حاتم : عدمني الشيءُ وأعدمني فقدني ، وأعدمته فعُدم مثل أفقدته ففقد ببناء الرباعي للفاعل والثلاثي المفعول » فالإعدام يراد به الإفقاد ، أي انتفاء الوجود ، وهذا صار بمعنى الإفناء والإتلاف ، قال أبو جعفر بن جرير الطبري : « ولاهو إن أفناهم وأعدمهم ينتقصه إفناؤه إياهم مثقال ذرة[2] » وقد جاء الإفناء والإعدام بمعنى واحد ، والشواهد على ذلك كثيرة ، منها ما ورد في أقوال المسعودي ، أو من جاء قبله : « أم هل هو غني من كل وجه عن إبقائه إيانا وإعدامنا بعد وجودنا[3] » ، وقال أبو

(١) قال بعضهم في المروج : « وهل خروجنا من عدم الى وجود حكمة أو ضد ذلك ؟ » (ج ١ ص ٤٧) من طبعة المطبعة البهية ، وقال أبو البقاء في كلياته (ص ٢٦٣) : « العدم : الفقد ، وضد الوجود ، والعدم المطلق هو الذي لا يضاف الى شيء »

(٢) تأريخ الأمم والملوك (٣/١) من طبعة المطبعة الحسينية

(٣) المروج (٤٧/١) من الطبعة المذكورة

شامة : « وكان قصده إعدامهم من الوجود ، لتبقى العالم كالبهائم [١] » ، وقال عز الدين ابن أبي الحديد : « ثم أمره ... أن يذكر عظمة الله تعالى وقدرته على إعدامه وإيجاده وإماتته وإحيائه [٢] »

وفي أوائل القرن الثامن للهجرة صار « الإعدام » بمعناه المراد اليوم ، جاء في حوادث سنة ٧٢٨ هـ من تاريخ أبي الفداء : « ثم حضر أباجي رسول أبي سعيد ، فبالغ في طلب عرتاش المذكور ، فاقتضت المصلحة إعدامه ، فأعدم عرتاش المذكور في رابع شوال من هذه السنة بحضرة أباجي رسول أبي سعيد [٣] » وقال ابن الوردي في حوادث سنة ٧٤٢ هـ : « وجلس الناصر على الكرسي هو والخليفة ، وعقد بيعته قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، ثم أعدم الطنبغا والمرقبي [٤] »

ومن هذا يتبين أن « الإعدام » بمعناه العصري كان معروفاً في مصر قبل زهاء ستة قرون ، وأنه مستند الى « الإعدام » أي الإفناء العام المعروف في لغة الحضارة والعقل منذ نشأ علم الكلام ، واصطلح على الوجود والعدم ويجوز أن يكون الأصل « إعدام الحياة » فدخلت « أل » على الإعدام عاقبة للاضافة ، قالت أخت الحسين بن علي بن أبي طالب يوم كربلاء : « واحزناه ! ليت الموت أعدمني الحياة يا حسيناه ، يا سيداه [٥] ! » على أن المعنى واللفظ الأصليين هما اللذان ذكرناهما أولا

٢٢ ـ « التقاليد » قال : « جمع تقليد ويريد بها المحدثون السنن الموروثة والعرف المتناقل ، وهي من قول العرب : قلده في كذا تبعه من غير نظر ولا تأمل »

قلنا : لا نظن العرب عرفت هذا المعنى ، فهو مولد ، والظاهر أنه مبني على تقليد الولاة الأعمال ، أو على قولهم « أعطيته قلد أمري فوضته اليه ، أو على « قلدها القلادة » كما في تعريفات السيد الجرجاني ، قال : « التقليد : عبارة عن اتباع الانسان غيره فيما يقول أو

(١) الروضتين (٢٠١/١) (٢) شرح نهج البلاغة (١٢١/٤)
(٣) تأريخ أبي الفداء وذيله (١٠٢/٤) طبعة محمد أفندي المثنى سنة ١٢٨٦ هـ
(٤) المرجع المذكور (ص ١٤٠)
(٥) مقاتل الطالبيين (ص ١١٣) من طبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٤٩ م

يفعل ... كأنه جعل قول الغير أو فعله قلادة فى عنقه » وفى هـذا القول نظر ؛ لأن الذى وضعت القلادة فى عنقه هو « المقلَّد » بفتح اللام ، مع أن قوله « جعل قول الغير أو فعله قلادة فى عنقه » يفيد أن « المقلِّد » بكسر اللام هو الذى وضعت القلادة في عنقه ، فأنت تقول « قلد فلان فلاناً » ، أي قلد فلان غيره فكيف انقلب الأمر ؟ ولا يصح قوله إلا إذا كان المعرّف « التقلد[١] » لا التقليد ، وليس بذاك ، والصحيح ما ذكره فخر الدين الطريحي ، قال : « والتقليد فى اصطلاح أهل العلم : قبول قول الغير من غير دليل ، سمي بذلك لأن المقلِّد يجعل ما يعتقده من قول من حق وباطل قلادة فى عنق من قلده[٢] » فالذى استعير له الفعل هو الحق أو الباطل من قول الغير ، لا أقواله ونحوها ومن شواهد استعمال التقليد ما ورد فى الأغانى[٣] : « فقد ينبغى أن لا أجري الأمر فيه على التقليد دونَ القول الصحيح فيما ذكره وحكاه » وقال أبو حيان التوحيدي « فليست تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل ؛ لأن إحـــداها تقليدية ، والأخرى برهانية[٤] » وقال أبو العلاء المعرى :

في كل أمرك تقليد تدين به حتى مقالك ربي واحد أحد[٥]

وقال إمام الحرمين عبد الملك الجويني : « وكنت أهرب فى سالف الدهر من التقليد ، والآن فقد رجعت عن الكل الى كلمة الحق ، عليكم بدين العجائز[٦] » وقال عز الدين ابن أبى الحديد : « ألا تراهم ينتقلون من التقليد لشخص الى تقليد آخر لأدنى خيال وأضعف وهم[٧] ؟ » وأقدم ما رأيت من شواهد استعماله قول أبي تمام :

(١) كأن يقال « تقلد فلان فلاناً » مثل « تعبده » أو « تقلد فلان أفعال فلان أو أقواله » فيتجه قوله « كأنه جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه »

(٢) مجمع البحرين ومطلع النيرين في « قلد »

(٣) (٣٧٧/٨) من طبعة دار الكتب المصرية

(٤) الإمتاع والمؤانسة (١١/٢)

(٥) معجم الأدباء (١٩٢/١) من طبعة مرغليوث

(٦) المنتظم في تأريخ الملوك والأمم (١٩/٩)

(٧) شرح نهج البلاغة (٣١١/٤)

هـدأت على تأميل أحمد همتي وأطـاف تقليدي بها وقياسي [١]

٢٣ ـ « القيّم » قال : « يقول المحدثون : كتاب قيّم ومقالة قيّمة أي له ولها قيمة ولم يسمع عن العرب هذا المعنى ، وانما يطلقون القيّم على زوج المرأة وعلى متولي الأمر والقيّمة : الديانة المستقيمة »

قلنا : القيّم على وزن « فيعل » ، وهو صفة مشبهة تصاغ من الفعل اللازم والقيمة بتخفيف اليـاء على وزن « فعلة » وأصلها مصدر هيأة ، وكلاهما فرع على الفعل عند من يذهب الى أنه أصل المشتقات وهو القول الصواب عندي ، ولنحسب أنهما فرعان على المصدر ، فالصفة صيغت لتؤدّي الوصف ، ومصدر الهيأة صيغ ليؤدّي الهيأة ، فلا يجوز لنا أن نحمل الوصف معنى مصدر الهيأة لأنه وصف للفعل « قام » أو المصدر « قيام » ، ومعنى « القيم والقيمة » : الذي قام وذو القيام والتي قامت وذات القيام ، وليس في اللغة ما يمنع استعمال « كتاب قيّم ومقالة قيمة » أي كتاب مستقيم ومقالة مستقيمة ، وانما الغلط حسبانهم أن هذا القول معناه « ذو قيمة وذات قيمة » وهو من سوء الفهم لا غير ، بعث عليه التشابه الظاهر بين القيم والقيمة ، فهل يجوز إقرار سوء الفهم ، واعطاء الـكلمة غير معناها ، ثم إثبات ذلك فيما يشمله التساهل والاتساع ؟ لا أظن ذلك جائزاً هذا وإن قولهم « كتاب ذو قيمة ومقالة ذات قيمة » هو من مترجمات هذا العصر ، ولم تعرفه اللغة العربية من قبل ، ولذلك يجب أن يترجم على حقيقته وعما يقابله من العربية ، أعني أن يقال « كتاب ذو قيمة ومقالة ذات قيمة [٢] »

٢٤ ـ « أثّث البيت » قال : « اشتق المحدثون من الأثاث ، وهو متاع البيت ، أثث المسكن : جعل فيه أثاثاً ، والمتقدمون لا يقولون إلا أثث الفراش أو البساط إذا وطأه ووثره »

قلنا : ينظر في الاشتقاق إلى أصل المعنى والى صحة القياس ، فابن فارس يقول في المقاييس : « أثّ : هذا باب يتفرع من الاجتماع واللين ، وهو أصل واحد ، قال ابن دريد أث النبت

(١) البيان (٣/٢٥٧)

(٢) أو يقال « كتاب له قيمة ومقالة لها قيمة » فقد جاء في كتاب المختار من نوادر الأخبار : « جوهر نفيس له قيمة » ، وفي مجاني الأدب (٤/٢٣٦) : « فيها دنانير لها قيمة » وفي معجم الأدباء « (١/٣٩) : « هذا منديل له قيمة ، وفيه أنواع من الطعام » .

أثّاً إذا كثر ، ونبت أثيث ، وكلُّ شيء موطأ أثيث ، وقد أثَّ تأثيثاً وأثاث البيت من هذا ، يقال : إن واحده أثاثة ويقال : لا واحد له من لفظه .. » وإذ كان المراد بتأثيث الدار توطئتها وتمهيدها ، يجب أن تلحظ الطريقة الصناعية ، وهي وضع الأثاث فيهـا ، وبه يحصل الوطاءة والوثارة ، وعلى ذلك يكون معنى قولهم « أثث الدار تأثيثاً : وطأها ووربهـا بالأثاث » هذا الى أنه يجوز قياساً أن يقال : « أثثه تأثيثاً » ، أى جعل فيه أو له أثاثاً ، وقد مرّ تعليل ذلك فى الـكلام على « التأميم » فى التعليقة السابعة عشرة

٢٥ ـ « الثقافة » قال [١] : « الثقافة : مصدر ثقف : صار حاذقاً ، والمحدثون يستعملونها اسماً من التثقيف ، وهو التعليم والتهذيب ، ومنـه قول القائل : ولولا تثقيفك وتوقيفك ، لما كنت [٢] شيئاً » فهى عندهم تقابل لفظ Culture عند الفرنج »

قلنا : ثقف المذكور هو من باب « فرح » و « سهل » ، فالأول متعد لفظاً أحياناً وبالباء أخرى ، والثاني لازم قال ابن فارس فى المقاييس : « ثقف : الثاء والقاف والفـاء كلة واحـدة اليها يرجع الفروع ، وهو إقامة درء [٣] الشيء ، ويقال : ثقّفت القنـاة إذا أقمت اعوجاجها ، قال :

نظر المثقف في كعوب قنـاته حتى يقيم ثقـافُهُ منآدهـا

وثقفت هذا الـكلام من فلان ورجل ثقف لقف وذلك أنه يصيب علم ما يسمعه على استواء ، ويقال : ثقفتُ به إذا ظفرت به [٤] ... » والحقيقة أنّ بين الوجدان واصابة العلم السريعة المعتدلة القوة اشتراكـاً ، فأما « تثقيف الرمح » ، أي تقويمه وتسويته ، فمن الثقاف الذى هو آلة ذلك ، وفيه بعد عن الوجدان والالتقاف ، فليت شعرى مم أخـذت « الثقافة » المقول إنها حديثة : أمن الاصابة أم من التقويم ؟ وعندى أنّ « ثقُفَ » بضم القـاف ، وهو

(١) الرسالة : ع ٩٣٣ سنة ١٩٥١

(٢) الفصيح « ما كنت » ، وهو منقول من « أساس البلاغة » على تحقيقنا

(٣) الدرء : الميل والعوج في القناة ونحوها

(٤) المعروف « ثقفته » وهي لغة القرآن الـكريم « ثقفتموهم » و « ثقفتهم » و « يثقفوكم » و « ثقفوا » مبنياً للمجهول . وفي نهج البلاغة : « فان الـكلام كالشـاردة يثقفها هذا ويخطئها هذا » قال عز الدين ابن أبي الحديد : « ويثقفها : يجدها ثقفت كذا بالـكسر أي وجدته وصادفته »

أفعال التغير التام ، حديث النشأة في اللغة العربية[١] ؛ لأنه يدل على معنى التغير ، والتغير قد سبقته حالة كانت قبله ، فلذلك أعدُّهُ مأخوذاً من غيره كثقِف على وزن فرح ، أو من الثقاف والتثقيف ، وقد استعملت الثقافة بمعنى قريب من المعنى العصري ، قال أحمد بن الطيب : « يخادعك عن عقلك الرصين ، وينازلك في ثقافة فهمك المبين[٢] » وأما « ثقفه تثقيفاً » : فقد جعله الزمخشري في أساس البلاغة من المجاز قال : « ومن المجاز : أدّبه وثقفه ، ولولا تثقيفك وتوقيفك ، لما كنت شيئاً ، وهل يهذب وتثقف إلا على يدك ؟ » وقرنه إياه بالتأديب ، يدل على أنه مأخوذ من تثقيف الرمح ، أي تقويمه وتسويته ، وقال الرشيد للكسائي : « ولا تسرع علينا الرد في ملأ ، ولا تترك تثقيفاً في خلاء[٣] » وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي في تعليم أبيه لبرصوما الزامر وزلزل الضارب : ووقفها على الغناء العربي ، وأراهما وجوه النغم ، وثقفها حتى بلغا المبلغ الذى بلغاه من خدمة الخليفة[٤] » ، وقال أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق في أبي سهل بن نوبخت : « وكان أبو سهل من بينهم مثقفاً فهماً فطناً[٥] » ، وقال أبو جعفر بن أبي زيد النقيب العلامة : « واذا كان القرين مقتدياً بالقرين ، فما ظنك بالتربية والتثقيف ، الدهر الطويل ؟ »[٦] وفي مقدمة كليلة ودمنة (ص ٦٥) : « ولمحبيها تثقيف ولطالبيها تشريف » ، واستعمل ابن خلدون « الثقافة » في معنى الرياضة العصرية ، قال : « ويلبسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة ، يموهون بها وهم في الأكثر أجبن من النسوان على ظهورها[٧] »

وأياً كان التثقيف ، فان الثقافة قريبة منه ، ولا بأس باستعمالها الاستعمال العصري ، فانه قريب من استعمال المولدين ، وقد اعتادت العربية أن تضع لفظة مكان لفظة لتشابهها في أكثر الأحرف : كالبيان للتبيين ، والأذى للايذاء ، والهمة للمهامة ، وأظن استعمال المعاصرين لنا

(١) وفعل يفعل كفرح يفرح من الأوزان الحديثة أيضاً عندنا ، لأنه بيان للتغير الظاهر في الأجسام ، إلا أنه أقدم من « فعل يفعل » كسهل يسهل ، يدل على ذلك اكتسابه التعدي اللفظي الذي هو الأصل في الأفعال ، على الضد من « فعل » فانه لا يزال لازماً

(٢) معجم الأدباء (٢/٤٥)

(٣) شرح نهج البلاغة (٤/١٣٧)

(٤) الأغاني (٥/٢٢٧)

(٥) تاريخ بغداد للخطيب (٨/١٢٤)

(٦) شرح نهج البلاغة (٢/١٥٧٥) .

(٧) مقدمة ابن خلدون « ٩٤ » وفي إنباه القفطي (٢/١٨١) « مثقفاً نواحي الكلام »

« الصراحة » مكان التصريح [١] ، من هذا الضرب ، إلا أن فيه نظراً [٢]

٢٦ ـ « ينقصه كذا » قال : « يستعمل المحدثون (ينقصه) بمعنى يعوزه ، فيقولون : هو عالم ، ولكن تنقصه التجارب ، والعرب يقولون « نقصت الشيء » : أذهبت منه شيئاً بعد تمامه »

قلنا : يعجب اللغوي آثر ذي أثير من استعمال هذا الفعل في ضد معناه ، على الظاهر ، فان الأصل في معنى « ينقصه » هو « يجعله ناقصاً » ، والتجارب في القول المذكور آنفاً إنما يجعل العالم كاملاً لا ناقصاً ، ولا نشك في أن العبارات المستعملة في عصرنا إمّا مقررة التراكيب في الكتب العربية ، وإمّا مترجمة ، فقولهم « ينقصه » ترجمة Manquer'aqn الفرنسية وقد جاء في لغة بعض الأدباء الأندلسيين ما يشبه هذا الاستعمال ، قال ابن شهيد : « ربما أنكر قولنا في شرطه جمع أدوات الكتابة ، فقيل : وأي أداة نقصت الجاحظ [٣] » والظاهر أن مُراده « أي أداة أعوزت الجاحظ ؟ » و « الى أي أداة احتاج الجاحظ ؟ » ويخرج التعبيران على أن أصل الأول « فلان عالم ولكن تنقص منه التجارب » ، والثاني « وأي أداة نقصت في الجاحظ ؟ » . وهذا الحذف مألوف في لغة العرب إذا أمن اللبس ، وهذا مما لا يؤمن معه اللبس ، فهو خطأ مبين يجب تركه وتجنبُه ، لأن ألوف شواهد في اللغة وردت مُضادة لهذا المعنى ، ولا يجوز استعمال الكلمة ولا الجملة في عكس معانيها

٢٧ ـ « المقاولة والمقاول » قال : « قاوله في أمره مقاولة : فاوضه وجادله ومن المفاوضة والمجادلة أطلق المحدثون المقاولة على عملية يتعهد [٤] فيها طرف بتنفيذ مشروع لقاء [٥]

---

(١) مقدمة ابن خلدون (٩٤) من طبعة المطبعة الخيرية (٢) يقولون « أنا صريح وأتكلم بصراحة » ، وفي اللغة « صرح يصرح صراحة وصروحة : صفا وخلص وبان » فهو صريح وصرح وصراح وصراح فاللبن صريح أي خالص ، والعربي الصريح : الصحيح النسب ، وفي اللغة « صرح الأمر : بينه » ، والمصدر الصرح كالضرب ، فعلى هذا يقال « صارح يتكلم بالصرح » أو « مصرح يتكلم بتصريح » خوف الالتباس (٣) النثر الفني للدكتور زكي مبارك (٢/ ٥٧)

(٤) ما كان واجباً إدخال « تعهد » بهذا المعنى مع هذه الكلمات ؛ لأن المعروف « التزم » و « عاهد » و « عاقد » أما « تعهد » فعناه « تفقد وجدد العهد »

(٥) وكذلك القول في « لقاء » ، فالقدماء قالوا « بأجر معين » ، والمولدون قالوا « في مقابل أجر معين » ، وأما اللقاء فترجمة

أجر معين يؤديه الطرف الآخر والمتعهد بالتنفيذ مقاول »

قلنا : إن الفقه لا يخلو من الاصطلاح الحقيقي لهذا الضرب من الالتزام ، ولسنا من الفقهاء ، فنذكره ههنا ونقطع به المقاولة اللانوية ، على أننا نذكر أن في كتب اللغة إشارة الى مثل هذا الاصطلاح ، قال الزمخشري في أساس البلاغة : وكل من تقبل بشيء مقاطعة وكتب عليه بذلك الكتاب ، فعمله القبالة [1] ، وكتابه المكتوب عليه هو القبالة [2] » وقال الفيومي في المصباح المنير : « وتقبلت العمل من صاحبه اذا التزمته بعقد ، والقبالة بالفتح اسم المكتوب من ذلك لما يلتزمه الانسان من عمل ودين وغير ذلك » وذكر قول الزمخشري وقال المطرزي في « المغرب في ترتيب المعرب » : « ومن تقبل بشي وكتب عليه بذلك كتاب ، فاسم الكتاب المكتوب عليه القبالة وسميت شركة التقبل من تقبل العمل »

فالمقاولة إذن هي « القَبالة » بالفتح إذا كانت مكتوبة ، والعمل هو « تقبل وقبالة » بكسر القاف ، والشركة هي « شركة التقبل » و « القبالة » ، ويجوز الجمع فيقال « شركة القبالات » دون القبائل خوف الالتباس والقبالة معروفة عند العامة بالتماف المعقودة كافاً

٢٨ ـ « الاخراج والمخرج » قال : « يقولون : أخرج الرواية أظهرها بالوسائل الفنية على المسرح أو الشاشة فهو مخرج »

قلنا : الإخراج والمخرج من أحسن الكلم لتأدية المعنيين المذكورين ، فانهما موافقان لما جاء في لغة الحضارة ، فقد ورد في أخبار عبّادة المخنث وهو من قدماء « المخرجين » لخيال الظل الذي هو أقدم « سيما » أن دعبلاً الشاعر قال له يوماً : والله لأهجونك فقال عبادة : والله لئن فعلت ، لأخرجن أمك في الخيال [3] فالإخراج واضح المعنى في قول عبادة ، وقد أصبح بهذا

---

(١) بكسر القاف

(٢) بفتح القاف ، ولعل أصل « بذلك الكتاب » هو « بذلك كتاب »

(٣) الديارات للشابشتي (ص١١٩) وقد أوضحه أبوالفرج بن الجوزي بقوله (النجوم الزاهرة ٦/١٧):

رأيت خيال الظل أعظم عبرة ... لمن هو في أوج الحقيقة راق
شخوص وأشكال تمر وتنقضي ... وتفنى جميعاً والمحرك باق

وذكر ابن خلكان إقبال أهل إربل على هذا « التمثيل » أي الحكاية « وقعد في كل قبة جوق من الأغاني وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي » . « ويسمع غناءهم ويتفرج على خيالاتهم » (٢/٧ـ٨) . =

النص القديم كلمة فنية

٢٩ ـ « الحماس » قال : « سمع من المحدثين استعمال الحماس بدون [1] تاء . والمسموع عن العرب الحماسة »

قلنا : الحماسة مصدر المبالغة لـ« حمس يحمس » كفرح يفرح ، والمصدر المعتدل « الحَمَس » كالفرح ، وهذا القياس فى المبالغة يكاد يكون قياسياً كالندامة والجهالة ، وإن لم يجيء المصدر المعتدل على وزن الفرح ، وحذف التاء قياسي إذا أريد جمع المصدر الجنسي ، كقوله تعالى : (وغافر التوب) . قال الجوهري في الصحاح : « وقال الأخفش : التوب جمع توبة كعوم وعومة » وقال فى ك ر م : « والمكرم : المكرمة عند الكسائي وعند الفراء هو جمع مكرُمة » وقال في ع و ن : « قال الكسائي : والمعون أيضاً المعونة . وقال الفراء : هو جمع معونة » وقال في ي س ر : « وقرأ بعضهم : فنظرة الى ميسره ، بالاضافة ، قال الأخفش : وهو غير جائز ؛ لأنه ليس في الكلام مفعُل بغير هاء وأما مكرم ومعون فهما جمع مكرمة ومعونة » فمن هذا يتبين جواز جمع الحماسة على الحماس للتنويع أو المبالغة ، هذا الى أنه ورد لقسم من هذه الأفعال مصدران ، مثل : « سلم سلامة وسلاماً ، إلا أنه ليس بقياسي فهل من داع الى جمع الحماسة ؟

٣٠ ـ « المران » ، قال : « كذلك يقول المحدثون : مران بدون [1] تاء ، والمسموع عن العرب مرانة »

قلنا : رأينا في المران كالذى ارتأيناه في « الحماسة والحماس »

٣١ ـ « الرصيف » قال : « يستعمل المحدثون الرصيف بمعنى الافريز ، فيقولون : رصيف المحطة الثاني ، والرصيف في اللغة ضم الحجارة بعضها الى بعض فى ثبات ونظام وإحكام ، وعمل رصيف : محكم رصين ، ومن العادة أن يكون رصف الشارع أو المحطة كذلك »

= ويراجع فيه ترجمة عبيد الله الباهلي في عيون الأنباء (٢/ ١٤٤) وكان محباً للشراب مدمنا له ، ويعاني الخيال ، كان اذا طرب يخرج في الخيال ويغني له :

يا صياد النحلة جاء العسل فم ادرج من بكرة هات العسل

(٢) الفصيح « بغير تاء » أو « من دون » ويراجع المنتظم (٩/ ٨٥) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ١٧٨) والسلوك للمقريزي (٢/ ٤٧٠ ، ٤٨٢)

قلنا : يصعب على الكاتب العصري أن يختار الكلمات المستحدثات إلا إذا كان من اللغويين المتوقّفة البرّعة ، وقليل ما هم ، فالرصيف أخذها بعض الكتاب من رحلة أبن جبير ، قال في ذكره موضع « منشأة السودان » قرب إخميم : « على الشط الغربي من النيل ، هي قرية معمورة ، ويقال : إنها كانت فى القدم بديعة كبيرة ، وقد قام أمام هذه القرية ، بينها وبين النيل رصيف عال من الحجارة كأنه الصور ، يضرب فيه النيل ولا يعلوه عند فيضه ومده ، فالقرية بسببه فى أمن من أتيه [١] » فابن جبير استعمل الرصيف بمعنى « المسنّاة » التي يسميها العامة بالعراق اليوم « مُسنايَة » ومن رصيف النيل استعارت المحطة أو أُستعير لها والرصيف لغة المرصوف ، فهو جائز الاستعمال بهذا المعنى لغةً ومعنى ، فاللغة للاشتقاق ، والمعنى للاستعمال القديم

٣٢ ـ « الجرد » قال : « الجرد بالفتح بقية المال والمولدون يستعملونه فى إحصاء ما في المخزن أو الحانوت من البضائع وقيمها »

قلنا : سبقت لنا كلمة فى الجرد ، وقد ذكرنا أن القدماء كانوا يستعملون « الاعتبار » ، وهي لفظة رشيقة أنيقة عليها سيما الوقار والرزانة ، ونقلنا هناك أحد الأخبار التي تثبت ذلك ، وهو قول بعض المؤرخين : [وذهب] أحد خدم الخليفة الى المارستان العَضُدى ، ومعهم عبد العزيز بن التبيطي ، و « اعتبرت » الحوائج التي فى المخزن ، فسأل صاحب المخزن [٢] خازن المارستان والطبيب والقوام : كم تكفي هذه الحوائج مرضى المارستان ؟ فاتفقوا على أن تكفيهم سنة [٣] » فالاعتبار في هذا الخبر هو الجرد عينه ، والنصوص متضافرة متكاثرة متوافرة فى إثبات ذلك ولا نود الإطالة بذكرها

٣٣ ـ « التصفية » قال : « صفى الماء : نقّاه ، وقد استعار المحدثون التصفية لتنقيح الحساب وتحرير الدين وحل الشركة وتأدية ديونها وتفريق ما بقي من أموالها على [٤] أصحابها ،

(١) رحلة ابن جبير (ص ٣٤) من طبعة مطبعة السعادة
(٢) صاحب المخزن هنا كمدير الواردات والنفقات العام ، وأما مخزن المارستان فشيء آخر ، ولذلك سمي « خازناً » ولم يسم صاحب المخزن
(٣) « ص ١ » من الكتاب الذي طبعناه مسترجحين أن اسمه « الحوادث الجامعة » ، وليس إياه
(٤) الفصيح « في أصحابها وبينهم »

وهي ترجمة Liquidation في الفرنسية والانجليزية »

قلنا : راجعنا معجم الأب « ج ب بلو » الفرنسي العربيّ الصغير ، فرأيناه قد وضع مقابل هذه اللفظة « تصحيح ، تصفية ، تنقيح » ، ومقابل أفعالها Liquider ، وكلاهما مشتق من Liquide ، أي المادة الذائبة والسائلة والمائعة أما استرجاجهم للتصفية ، فلأنهم اعتادوا أنْ يسموا ما بقي بعد التصحيح والتشذيب « الصافي » ، أي صافي الحساب ، وكأنَ واضع الكلمة الفرنجية عد الحساب جامداً أو جاسياً فاستعار له فعل الإذابة والإسالة أما التصفية ، فمنظور بها الى أن الحساب كان عكراً كدراً مختلطاً ، فاحتاج الى أن يصفّى ، وهذه الاستعارة أجل من الاستعارة الغربية ، ويؤيدهما ما ورد في كلام الفصحاء من إخراج للتصفية عن معناها الحقيقي الى المجاز ، فقد قال أبو الفرج بن الجوزي : « من أحبَّ تصفية الأحوال ، فليجتهد في تصفية الأعمال [١] » . فتصفية الأموال كتصفية الأحوال والأعمال

٣٤ ـ السباكة والسباك » قال : « سبك الفضة ونحوها : أذابها وأفرغها في قالب وقد توسع المحدثون في هذا المعنى ، فأطلقوا السبك على معالجة المعادن المختلطة بقطعها ووصلها وإصلاحها ، واشتقوا منها السباكة للحرفة ، والسباك للصائغ »

قلنا : في كلامنا على المصطلحات أشرنا الى أن الاصطلاح رمز الى المسمى ، لا لفظ جامع مانع ، وقد قال السمعاني : « السبّاك ... هذه النسبة لمن يسبك الأشياء ، واشتهر بها جماعة [٢] » وقال الذهبي : « والسبّاك نسبة الى سبك النحاس وغيره [٣] » وفي هذا دلالة على أن السباك قديم لقدم المسمين به ، ولم يبق الفعل « سبك » مقصوراً على المعدنيات والفلزّات ، فقد قال أبو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة ٤٧٩ هـ [٤] : » وفي هذه السنة صنع سيف الدولة (صدقة) سماطاً للسلطان جلال الدولة (ملكشاه) بظاهر الأجمة [٥] ... ذكر أنه ... سبك عشرين ألف منّاً سكراً فان يثبت أنّ « السبّاك » ليس له معنى معلوم محدود بين الناس ، فلا مانع

---

(١) صيد الخاطر (ص ١) (٢) الأنساب في « السباك »

(٣) المشتبه (ص ٢٩٠) (٤) من تاريخ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٩/٣٠)

(٥) الأجمة على تحقيقنا كانت متصلة بمحلة الطوب الحالية ، والى اليوم ينبت القصب في حفافي سكة الحديد بين باب المعظم ومحطة الجانب الشرقي وكانت معدودة من باب أبرز التي هي محلة قمر الدين الحالية وما حولها .

من تسمية الرجل المذكور آنفاً به ، لأنه أقرب الأسماء الى وراثة هذا الميراث المعدني العظيم والمحرفة « السباكة » بالقياس لأنها من مصادر المبالغة والكثرة

٣٥ ـ « الجو » قال : « العرب يجمعون الجو على جِواء ، والمحدثون يجمعونه على أجواء »

قلنا : والعرب أيضاً جمعته على أجواء ، ففي نهج البلاغة : « ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء ، وشقّ الأرجاء ، وسكائك الهواء » وقال عز الدين ابن أبي الحديد : « كأنه يقول : ثم أقول الآن بعد قولي المتقدم إنه تعالى أنشأ فتحة الأجواء [١] و « فَعْل » يجمع على أفعال قياساً إذا كان معتل الفاء أو العين أو اللام أو مضعفاً كالأوغاد والأسياف والأنحاء والأفذاذ ، فمن المضعف « جد أجداد ، عم أعمام ، وفظ أفظاظ ، وشن أشنان ، وكرّ أكرار ، ورب أرباب ، وفن أفنان ، وشر أشرار » وأظن قاعدة المضعف مما فات الصرفيين ، فاستدركناها عليهم ، وبذلك يتضافر السّماع القوي والقياس على صحة « الأجواء » .

٣٦ ـ « البائس » قال : « يجمعه العرب على بائسين ، ويجمعه المحدثون على بؤساء »

قلنا : البؤساء جمع البئيس ، وهو ذو البأس الشديد أي المشتد الشجيع ، ويجمع أيضاً على بؤس حملاً له على الاسم ، وفعله « بؤس يبؤس » فهو بئيس ، والبائس جمع قياساً على « البائسين » ، والمشهور فيه جمع التكسير وهو « بؤس » على وزن نُزل وبُؤّس على وزن رُكع ، قال رجل من قضاعة في أيام ابن الزبير في جمع البئيس على البؤس :

يا صاحبي أرتحلا ثم أملسا لا تحبسا لدى الحصين محبسا
إن لدى الأركان ناساً بؤساً [٢] وبارقات يختلسن الأنفسا [٣]

وقال عبد الله بن عمر العبلي في جمع البائس على بؤس « بتشديد الهمزة » :

فكم غادروا من بواكي العيون مرضى ومن صبية بُؤّسِ [٤]

وإذ كان « البئيس » مستعملاً في كتب الأدب ، لم يجز أخذ جمعه « البؤساء » ،

---

(١) شرح نهج البلاغة (١/٢٧) .
(٢) في تعليق الكامل المطبوع معه : « قال الأخفش : حفظي ناساً أبؤساً »
(٣) الكامل (٣/٢٦٨) من طبعة الدلجموني .
(٤) الأغاني (١١/٢٩٩) من طبعة دار الكتب المصرية

لاختلاف معانيها كل الاختلاف ثم إن « البائس » لا يجمع على بؤساء قياساً ولا سماعاً ولا نقلا في الكتب ، وذلك لأن « فاعلاً » لا يجمع على « فعلاء » ، والذى ورد منه إنما هو من باب « استعارة الجموع[1] » كشاعر وشعراء وفاضل وفضلاء فأما « فضلاء » فجمع فضيل ، وهو مذكور ، إلا أنه نادر الاستعمال وأما « شعراء » فهو جمع « شعير » الذى بمعنى « شاعر » ، والظاهر أنه ترك لئلا يلتبس بالشعير الذى هو من الحبوب

فالبؤساء لا يجوز بحال من الأحوال أن يكون جمعاً لبائس ، يأبى ذلك السماع والقياس

٣٧ ـ « زهر » قال : « يجمعه العرب على أزهار ، ويجمعه المولدون كذلك[2] على زهور »

قلنا : في جموع التكسير في اللغة العربية غرائب ، فالأزهار ظاهره أنه جمع « الزهر » بفتح الهاء ؛ لأن « فَعْلاً » الساكن العين ـ كما ذكرنا آنفاً ـ لا يجمع على « أفعال » إلا إذا كان معتل الفاء أو العين أو اللام كأوغاد وأسياف وأنحاء ، أو مضعفاً كجد وأجداد ، وفى « الزهر[3] » لغتان : فتح الهاء وجمعها أزهار ، وإسكان الهاء وينبغي أن يجمع على « زهور » ، ولكن القدماء اكتفوا بأحد الجمعين ، وقد استعذب المتأخرون جمع الزهر على زهور فسمى ابن اياس المؤرخ وقد أدرك القرن العاشر للهجرة كتاباً له فى التأريخ « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » وقال رضي الدين محمد بن حيدر الحسيني الموسوي فى كتاب الدولة الحسينية بالحجاز فى ترجمة ابن معصوم مؤلف السلافة والطراز في اللغة وغيرهما المتوفى سنة ١١٢١ هـ : « وله أيضاً ديوان شعر مشهور ، وهو فى الحقيقة روض ممطور ودر منثور وحديقة من زهور[4] »

فالزهور جمعاً للزهر ، سائغ مقبول ، ومقيس معقول ، ومعروف منقول

---

(١) أي كالأوامر والنواهي جمع الأمر والنهي ، والأناشيد والأحاديث جمع النشيد والحديث ، والأعاريض جمع العروض .

(٢) كذلك ، لا موضع لها ههنا

(٣) في مختار الصحاح « زهرة الدنيا بالسكون : غضارتها وحسنها ، وزهرة النبت أيضاً : نوره ، وكذلك الزهرة بفتحتين ، فاللغة المشهورة إسكان الهاء وجمعها على « زهور » قياساً

(٤) أصول التاريخ والأدب (٢٣٤/٢٦) راجع مجلة المجمع (٣٣٣/١٠) في الحاشية « ٢ » .

٣٨ ـ « الكوز » قال « يطلقه المحدثون على مُطِر[١] الذرة ، ولم يسمع عن العرب »

قلنا : هذا من لغة العامة بمصر ، فهل يجوز أن يجعل لغة للخاصة فيها وفي غيرها ؟

٣٩ ـ « الجسر » قال : « ما يعبر عليه كالقنطرة ونحوها ، وقد توسع فيه المحدثون فأطلقوه على ضفة الترعة وعلى الحد الفاصل بين أرضين »

قلنا : هذا من باب استعمال الكلم في غير معانيه ـ على ما أومأنا اليه قبل هذا ـ ، فالضفة أحق منه بالاستعمال ، وإلاّ فالعدوة مثلثة ، فهي شاطئ الوادي وجانبه ، وقال ابن المقفع : « رأى على عدوة الوادي بيتاً مفرداً[٢] » فأما الحد الفاصل بين أرضين ، فهو « الأرفة » بوزن الغرفة والجمع الأرف كالغرف ، قال ابن فارس : « أرف : الهمزة والراء والفاء أصل واحد لا يقاس عليه ولا يتفرع منه ، يُقال : أرّف[٣] على الأرض ، إذا جعلت لها حدود وفي الحديث : « كل مال قسم وأرّف[٣] عليه فلا شفعة فيه[٤] » ، و « الأرف تقطع كل شفعة[٥] » وقال الزمخشري في شرح الحديث الأول : هي « الحدود ، ومنه حديث عمر رضي الله عنه : إنه خرج الى وادي القرى وخرج بالقسّام ، فقسموا على عدد السهام ، وأعلموا أرفها وجعلوا السهام تجري » وشرح الحديث الثاني بأن « أرّف عليه معناه أديرت عليه أرف » وقال الجوهري في الصحاح : « الأرفة : الحد والجمع أرف ، مثال غرفة وغرف ، وهي معالم الحدود بين الأرضين ، وفي الحديث عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ : « الأرف تقطع كل شفعة » ، وكان لا يرى الشفعة للجار ، ويقول : « أي مالٍ اقتسم وأرف عليه ، فلا شفعة فيه »

إذن لا نرى حادياً يحدو على استعمال « الجسر » بمعنى الأرفة مع خلوّه من مقابل الفعل الضروريّ ، أي أرّف على الأرض تأريفاً .

قال : وإتماماً للفائدة نورد فيما يلي ما أحيل الى (كذا أي على) لجنة الأصول لبحثه ، ثم تتبعه[٦] بذكر ما رفض :

---

(١) المطر كالقنفل : سنبل الذرة ، ويسمى سنبول الذرة الصفراء في نواحي بغداد « العرنوس »

(٢) كليلة ودمنة (ص ١٧٢) طبعة المرصفي (٣) بالبناء للمجهول

(٤) في الفائق للزمخشري (١/٢٥) من الطبعة المصرية « أي مال اقتسم » ، وهذا يدل على حلول « أي » محل كل (٥) في الفائق : « اذا وقعت الأرف فلا شفعة »

(٦) الفصيح « نتبعه ذكر » بتعديته الى مفعوليه بنفسه « أتبع الفرس لجامها والناقة زمامها »

(٤٠) ١ـ « السمك والسميك » قال « السمك بالفتح : الارتفاع ومن أعلى البيت الى أسفله ، والثخن الصاعد كسمك المنارة ونحوها والمحدثون يستعملونه بمعنى الثخن مطلقاً ، ويشتقون منه السميك بمعنى الثخين »

قلنا : السمك عند الأقدمين الارتفاع ، ثم استفاد المولدون الأقدمون منه بأن جعلوه قسيم الطول والعرض فى الأشياء المجسمة ، قال عز الدين ابن أبي الحديد فى شرح قول الامام علي بن أبي طالب فى خطبته التي علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم داحي المدحوات وداعم المسموكات » والمسموك : المرفوع ، قال :

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

ويجوز أن يكون عنى بكونها مسموكة « كونها ثخينة » ، وسمك الجسم هو البعد الذى يعبر عنه المتكلمون بالعمق ، وهو قسيم الطول والعرض[1] ويحتمل المعنيين قول الهمداني فى قصر غمدان :

يسمو الى كبد السماء مصعداً عشرين سقفاً سمكها لا يقصر[2]

وأظن أبا حيان أراد العمق بقوله أو نقله « ينبغي أن نعرف باليقظة التامة أن فينا شيئاً ليس بجسم له مدات ثلاث أعني الطول والعرض والسمك[3] » وسماه ابن جبير « غلظاً » (دوره أربعون شبراً وارتفاعه أربعة أشبار ونصف وغلظه شبر ونصف[4]) .

فالسميك هو ذو السمك أي الارتفاع أو عكسه أي العمق ، فاذا كان ابتداؤه من أسفل فهو ارتفاع ، وإن كان من أعلى فهو عمق ، فالارتفاع منظور فيه فى كلتا الحالتين ، ولا يجوز استعمال السميك للثخين باطلاقه

(٤١) ٢ ـ « المتحف » قال : « اقيس فى متحف ضم الميم ، والمحدثون يؤثرون الفتح للتخفيف »

---

(١) شرح نهج البلاغة (٢/٥١) (٢) الاكليل (٨/١٦) طبعة الكرملي

(٣) الامتاع والمؤانسة (١/١٠٢) ومن أعجب ما وجدنا من استعمال « السمك » ما قاله وكيع القاضي في وصف مدينة المنصور ومنشآتها ، قال : « وسمك ارتفاع هذا السور الداخل وهو سور المدينة في السماء خمسة وثلاثون ذراعاً » ولعل الأصل « وسمك هذا السور » فجاء شارح فوضع بجانب سمك كلمة « ارتفاع » ، فظن الناسخ أنها من الأصل ، فألحقها بسمك

(٤) رحلة ابن جبير (ص ٨٩) من طبعة دي غويه (ص ٨٩)

قلنا : يجب المحافظة على المعنى أو أكثره قبل الاحتجاج بالقياس ، فالفعل « أتحفه يتحفه إتحافاً » الذي يؤخذ منه « المتحف » القياسي اسماً للمكان معناه « أعطاه تحفةً وهي البرّ واللطف والطرفة » . ومن الواضح أنّ زائر المُتحف لا يُبرُّ ولا يُلاطَفُ ولا يُطرَفُ ، كما أنّ الموضع المذكور لا يختص بالبر واللطف والطرف ، ففيه موميا، وعظام موتى وكسر حجارة وخزف وشقف ، على أنّ الاعتراض يسقط بأن المراد بالاصطلاح الرمز الى المسمى ، كما مر بيانه سابقاً ، فيبقى الاعتراض الأول وهو أن ذلك الموضع ليس لإعطاء الأشياء المذكورة بل لعرض العاديات والمستحاثات والمستثارات والنماذج اللطيفة ، وفيها أحياناً ما يعد تحفة ، ولذلك ارتأى بعض اللغويين أن يشتق له اسم « التحفة » قياساً على المفعلة التي معناها « مظنة الشيء وموضع كثرته » كالمأسدة والمبطخة والمزرعة ، وفي هذا بعض التسويغ للاقتصار على مادة « تحف » فأما « المتحف » فلا يجوز استعماله سواء أكان مفتوح الميم المضمومة الأصل وهو غير جائز ، أم كان اسم مكان لفعل غير موجود وعلى حسبان وجود الثلاثي « تحف يتحف » لا يجوز اشتقاق اسم مكان منه لاسم الذات ، بل يجوز اشتقاق اسم للمعاني والأفعال كالمذهب والمقعد والمقتل والمآب ، وأسماء مكان المعاني تشارك أحياناً أسماء مكان الذوات كالمدارس جمع المدرسة والمنازل جمع المنزلة والمراتب جمع المرتبة ولكن أسماء الذوات لا تشاركها في « الفعل » ، فأقرب الألفاظ الى الدلالة إذن هي « المتحفة » ، على أنّ في العربية تسميات أخرى كدار التحف العتيقة ودار الآثار العتيقة ودار الآثار القديمة [1] ودار العاديّات ، والمختار إصلاح المشهور

٤٢ ـ ٣ ـ « الشهية » قال : « الشهية مؤنث الشهي والشهيّ : المشتهي والشهوان ، يقال : رجل شهي أي شهوان ، وشيء شهي أي لذيذ ، والمحدثون يستعملون الشهية بمعنى الشهوة ويخصصونها للرغبة [2] في الطعام ، فيقولون : أصبح موعوكاً لا يجد الشهية للطعام [3] أما الشهوة ، وهي حركة النفس طلباً للملائم [لها] ، فقلما تستعمل في هذا المعنى »

قلنا : عرض لهذه الكلمة الأستاذ أسعد خليل داغر قبل سنة ١٩٢٣ قال :

(١) على لغة غير فصيحة
(٢) كذا والصواب « بالرغبة » يقال « خص الشيء بكذا ، وخصصته به تخصيصاً » .
(٣) لو خصصوها به لاستغنوا عن ذكره

« ويقولون : من أعراض هذا الداء فقد شهية الطعام والشهية فى اللغة مؤنث الشهي ومعناه الشهوان والمشتهي ، يقال : رجل شهي أي شهوان ذو شهوة ، وطعام شهي أي لذيذ مشتهى فالصواب أن يقال : فقد شهوة الطعام أو شاهيته . والشاهية : مصدر[1] كالعاقبة والخاتمة[2] »

قلنا: الشهي بمعنى الفاعل والمفعول قول معجمي لا تثبت صحته ولا تقوم قيمته إلا بشواهد الاستعمال ، فالشهي بمعنى المفعول قد تضافرت الشواهد على تأكيد صحته ، ويبقى « الشهي » بمعنى الفاعل محتاجاً الى الشواهد وقد كنا ممن تابع مؤلف التذكرة في تخطئته واستعمل « الشهية » بالمعنى المذكور أي شهوة الطعام ، ونبهنا على ذلك فى منشوراتنا من « قل ... ولا تقل ... » ، إلا أننا أعدنا النظر فى التخطئة فوجدنا أن فيها شيئاً من التسرع ، وربما يؤدي التسرع الى التترع فالشهية بمعنى الاشتهاء وزان « فعيلة » ، وهي من أسماء المصادر الثلاثية التي اشتقتها العرب للمبالغة كالبلية للبلاء والعزيمة للعزم والفضيلة للفضل والرذيلة للرذالة والهزيمة للهزم والقضية للقضاء والحمية للحمي والرزية للرزء والفجيعة للفجع والضريبة للضرب والجريرة للجر والحقيقة للحق والخصيصة للخصوص والدسيسة للدس والذريعة للذرع وكذلك السوية والخديعة والغبينة والهضيمة ، ومن هذه الأسماء وأشباهها ما نقل الى الاسمية المحضة كالطبيعة والسجية والوسيلة والظليمة ، ومنها ما هو فى طور النقل ، ولذلك جاز جمع هذين الضربين كالعزائم والفجائع والسجايا والرزايا والقضايا والدسائس

فالشهية اشتقها الاستعمال بمعنى الشهوة قياساً مطرداً على حسب الحاجة[3] ، وهي لا تلتبس بالشهية التي هي وصف ، فتلك تستعمل استعمال المصادر والأسماء ، وهذه تستعمل استعمال الأوصاف

٤٣ ـ ٤ ـ « الصدفة » قال : يستعملها المحدثون بمعنى المصادفة ، ولم تسمع عن العرب

قلنا : يجب عرض الكلمات المستعملة والمقترح استعمالها على القياس والحقيقة والمجاز ، فان

(١) تذكرة الكاتب (ص ١١٥) طبعة مطبعة المقتطف سنة ١٩٢٣ م

(٢) هي عندي اسم مستعار للمصدر ، ويدل على ذلك أنها لا تعمل عمل المصدر

(٣) لأن اللغة لم تعتمد في حاجتها على وزن « فعيلة » وحده ، بل اعتمدت أيضاً على « فعالة » كالنذالة و « فعولة » كسهولة ، فهما أختا « فعيلة » بوجود حرف العلة فيهما ، فأما ضم الفاء من « فعولة » فلكيلا تلتبس باسم المفعول كركوبة وحمولة

تسايرها يجز الاستعمال ، وإلا فاعفاء اللغة من هذا التكليف واراحتها من هذا الازعاج أحق بالعمل والقصد ، فالصدفة بكسر الصاد [١] هي مصدر الهيأة من الفعل صَدَفَ ومعناه أعرض ومال عنه وصدّ ، وهو مخالف لما أرادوا من تأديته معنى « المصادفة » أى الوجدان واللقاء ، وليست كالهجرة بالنسبة المهاجرة والشركة [٢] المشاركة والزيجة العصرية المزاوجة والمعملة المعاملة ، فالعربي المدرك لمعاني الألفاظ يأبى استعمال « الصدفة » التي هي هيأة الصدوف والصد والإعراض بمعنى « الوجدان واللقاء » لتضاد المعنيين ، والظاهر أن « المصادفة » مشتقة من « الصَّدَف » وهو الناحية والجانب ، فكأن المصادف « بكسر الدال » يأتي المصادَف « بفتح الدال » من جانبه ، فهو مثال واجهه من الوجه وظاهره من الظهر وعاضده من العضد وساعده من الساعد وكانفه من الكتف وباطنه من البطن وعانقه من العنق وجانبه [٣] من الجنب وصافحه من صفح الكف أي وجهها ومن هذا يبدو للمتوسم أن لا علاقة بين المصادفة والصدفة ، ثم إن المحدثين العصريين يستعملون « الصدفة » للوجدان واللقاء غير المرجو ين المأمولين ، وقد استعملت العرب لذلك « النَّبه والنِقاب [٤] » ، قال الجوهرى فى الصحاح : « ويقال النبه : الضالة توجد عن غفلة لا عن طلب ، يقال وجدت الضالة نبهاً » ، وقال : « وناقيت فلاناً إذا لقيته فجاءة ، ولقيته نقاباً ، ووردت الماء نقاباً مثل التقاطاً إذا هجم عليه من غير طلب »

والمولدون المتقدمون استثقلوا « النبه » ، لأنه أكثر ما يستعمل للضالة ، واستثقلوا « النقاب » فاستعملوا « الاتفاق » بمعنى الصدفة قال أبو حيان التوحيدى : « وهذا باب لا يتفق لأحد من خدم الملوك إلا بجد سعيد [٥] » أى لا يجده نبهاً ، وقال الراغب الأصبهاني فى مفرداته : « يقال : اتفق لفلان خير واتفق له شر فالاتفاق مطابقة فعل الانسان القدر » وقال ابن المقفع : « فاتفق أنه اجتاز بذلك النهر صيادان [٦] »

(١) ومن الناس من يضم صادها ، ولا وجه للضم

(٢) على لغة تسكين الراء ، قال الشاعر :

وإني امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي إنائك واحد

قال الفيومي في المصباح المنير : « واستعمال المخفف أغلب فيقال : شرك وشركة كما يقال كلم وكلمة على التخفيف »

(٣) بمعنى « سار الى جنبه » فتأمل فضل القياس ، فاني قسته ثم رجعت الى كتب اللغة فصح قياسي

(٤) مصدر « ناقه يناقبه » (٥) الامتاع والمؤانسة (١/٦٩)

(٦) كليلة ودمنة (ص ٢٠) من طبعة المرصفي

واستعمل الفلاسفة « الاتفاق » فى اصطلاحاتهم ، قال أبو حيان ناقلاً : « الحال فى جميع السبل ، أعني مسالك الأشياء فى تحركها صناعية كانت أو تدبيرية أو طبيعية أو اتفاقية ، واحدة [١] » وجعلوا « الاتفاق » بحثاً من بحوثهم ، قال الوزير أبو عبد الله العارض : « كنت أحب أن أسمع كلاماً فى كنه الاتفاق [٢] وحقيقته ، فانه مما يحار العقل فيه ، ويزل حزم الحازم معه [٣] » ، وقال أبو حيان : « ولقد حكى أبو الحسن الفرضي فى أمر الاتفاق شيئاً طريفاً [٤] عن بعض اخوانه [٥] » وقال مسكويه : « فاذا اجتمع شيئان أو أشياء على ملاءمة بينها بسبب إرادي مجهول وكان منها موافقة لارادة إنسان ما ، كان اتفاقا له ، ولا بد أن يكون فيه قسط من الارادة ونصيب من القصد والاختيار » ، وقال أيضاً : « وما كان من الأمور له سبب إرادى بعيد أو قريب إلا أنه مجهول ، ثم عرض له أن يكون نافعاً لانسان موافقاً لغرض له وإرادة سمي اتفاقاً » « وأما المثال في الاتفاق فأن يخرج إنسان من منزله بارادة وقصد إلا أنهما كانا منه نحو التماس الحاجة ، فلقي فى طريقه صديقاً كان يهوى لقاءه أو غريماً كان يطلبه فلا يجده ، فهذا اتفاق جيد ، فان عرض للرجل مثال هذا فهو موفق وان كان لقاؤه أيضاً وافق عدواً كان يهرب منه أو غريماً كان يتوارى عنه فهو اتفاق ردىء ، والرجل اذا دام عليه مثل هذا فهو غير موفق [٦] »

فالاتفاق منذ عصر ابن المقفع مستعمل بمعنى « الصدفة » اللقيطة ، ودخل فى فلسفة الاجتماع واختص ببحث نستجيز أن نسميه « الاتفاقية » ، فكيف يترك وتستعمل لفظة لا معنى لها موافق ولا قياس جائز ؟

٤٤ ـ ٥ ـ « التقاوي » قال : « التقاوي يستعملها المحدثون فى البذور التي تبذر للنبات

(١) الامتاع والمؤانسة (٢/٨٥)
(٢) قال شارحا الإمتاع الأستاذان العالمان أحمد أمين وأحمد الزين « يريد بالاتفاق الأمور التي تحدث بالمصادفة » وهو صواب ، وكان واجباً أن يعلقا على « اتفاقية » الواردة قبل الاتفاق في ص ٨٥ بمثل هذا
(٣) الإمتاع (٢/١٥٣)
(٤) في الأصل « ظريفاً » والشيء عدا الانسان وما فيه وما هو منه لا يكون ظريفاً
(٥) المرجع المذكور (١٥٧)
(٦) الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي (ص ١٠٣/٥) أو لمسكويه .

والعرب لا يفهمون منها إلا تقاوي الشركاء في المتاع [١] : تزايدهم فيه »

قلنا : هذا اصطلاح في الزراعة المصرية حدث في دهور مضت ، فلم يبتدعه أهل العصر ابتداعاً ، قال تقي الدين المقريزي في حوادث سنة ٦٥٩ هـ : « وحملت غلال كثيرة الى دمشق وفرّقت في البلاد لتصير تقاوي الفلاحين » ، ثم قال في حوادث سنة ٦٩٤ هـ : « وفي هـــذا الشهر (جمادى الأولى) استسقى الناس بدمشق لتوقف نزول الغيث ، وخرج النائب وسائر النـاس مشاةً ، وتزايد الغلاء بمصر بعد ما أقامت خيول السلطان يؤخذ لها العلف من دكا كين العلاّفين وكانت التقاوي المخلّـدة قد أُكلت ولم يكن بالأهراء السلطانية غلال ، فإن الأشرف كان قد فرّق الغلال وأطلقها للأُمراء وغيرهم حتى نفد ما في الأهراء [٢] »

فالتقاوي (جمع التقوية) مسـتعملة في اللغة الرسمية واللغة الزراعية بمصر منذ أواسـط القرن السابع للهجرة ، ولفظها يدل على أن الأصل في استعمالها « غلات تقوية للفلاحين » . وجمعت على « التقاوي » لتنوعها أو تعددها ، والسبب في تسميتها « تقوية » كما أرى هو أن التتار بجعلهم بلاد الشام ساحات حرب ، أهلكوا الزرع وأماتوا الضرع ، وكان الفلاحون يهربون أمام الجيوش ولا يستطيعون حمل غلاتهم ، فتأكلها الجيوش ودوابُّهم ، فاذا عادوا الى بلادهم بعد انصراف الجيوش لم يكن لهم ما يبذرونه في الازدراع ، فيحدث الغلاء والقحط ، ولذلك أرادت دولة المماليك بمصر أنْ « تقويهم » باعطائهم الغلاّت بشروط ، واعتادت الدولة أن تخزن « التقاوي » البذريّة على سـبيل الاحتياط ، إلا أن القحط في سنة ٦٩٤ هـ اضطرهم الى أكل التقاوي المخزونة ، فزاد القحط فهذا معنى قول المؤرخ : « وكانت التقاوي المخلّـدة قد أُكلت »

---

(١) له عند العرب معان ، منها هذا المعنى ، قال الفيروزأبادي في القاموس : « والتقاوي : تزايد الشركاء والبيتوتة على القوى » أي الجوع وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « وتقاوى شركة المتاع وتقاووه بينهم وتقاوينا الدلو تقاوياً : اذا جمعوا شفاههم على شفتها نشرب كل واحـــد ما أمكنه » قلت : وتقاوى القوم على فلان : قوى بعضهم بعضاً عليه وتأَلبوا عليه ، قال الطبري في رواية يذكر مقتل ابن الزبير : « وتقاووا عليه وصاحت مولاة له مجنونة وا أمير المؤمنيناه وقد كان هوى » شرح نهج البلاغة (٤/٤٨٧) واستعمل أبو الفرج بن الجوزي في صيد الخاطر (١٧٨) : « تقاوى على فلان » أي تكلف القوة وهو معنى مولد ، وبما ذكرنا يظهر التساهل في قول القائل « والعرب لا يفهمون منها إلا تقاوي الشركاء في المتاع »

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك (١/٤٤٦، ٨٠٨)

وعا قدمنا يعلم أن « التقاوي » جمع تقوية لا مصدر « تقاوى' يتقاوى' » ، وأنها اصطلاح زراعي مصرى قديم بعض القدم ، وهو أحق بالاستعمال من غيره ، لأنه سلخ فى الوجود أكثر من سبعة قرون

٤٥ ـ ٦ ـ « موس » قال : « موس وجمعه أمواس . يطلقه المحدثون من باب التخفيف على الموسى' وجمعه مواس »

قلنا : الموسى' مأخوذة من « أوسى' يوسي إيساءاً » أى حلق أو قطع ، وكان ظاهر اللفظ يستوجب أن تكون على صيغة اسم الفاعل « مُوس » ، ولكنها مشتقة فيما أرى من الرباعي الذى أصله ثلاثي متعد ، « وسى رأسه يسيه وسياً » أي حلقه بشي. حاد قاطع ، فاذا أعمل الانسان الشي الحاد القاطع فقد « أوساه » ومضارعه « يوسيه » والمصدر « إيساء » ، فلذلك سمّي ذلك « الموُسى' » ، واختلف فى تذكيره وتأنيثه ، والتأنيث أشهر ، وذلك أمر عجيب لأن اللفظ لا يساعد عليه

والموُسى' بين أسماء الآلة كالمغزل فى أشهر الأقوال ، قال الجوهرى : « والمُغزل[١] والمِغزل : ما يُغزل به ، قال الفراء : والأصل الضم[١] . وإنما هو من أغزل أى أدير وفتل ، وأغزلت المرأة : أدارت المغزل »

ذكرنا ذلك لنثبت أن « الميم » فى الموُسى' مجتلبة لا أصلية ، فاذا خففت وجمعت على « أمواس » أصبحت أصلية بدلالة أن سبقتها ألف التكسير كالتي فى « أقفال » فهذا التخفيف وهذا الجمع أدّيا الى ضياع أصل الكلمة وتشويهها ، وذلك كالذى يجمع « مقهى[٢] » على « أمقاه » والمقص على أمقاص والمهدى على أمهاد ، وهو عبث باللغة العربية لا ضرورة تضطر اليه ، فالموس وجمعه « الأمواس » من لغة العامة التي لا يشفع لها ذوق ولا قياس

٤٦ ـ ٧ ـ « قراءة الأعداد المركبة مع المئة فما فوق » قال : « يقرأ العرب الأعداد المركبة مع المئة فما فوق من اليمين الى الشمال ، فيقولون : نحن فى سنة احدى وخمسين وتسع مئة وألف ، والمحدثون يقرؤونها من الشمال الى اليمين تأثراً بلغات الغرب فيقولون نحن فى سنة ألف وتسع مئة واحدى وخمسين »

---

(١) بصيغة اسم المفعول (٢) بصيغة اسم المكان من الرباعي ،

قلنا : إنما قرأت العرب رتبة الآحاد ثم رتبة العشرات ثم ما بعدها ، لأمرين : أحدهما أن الأرقام إنما هي رموز خطية الى أسماء الأعداد ، فكما يقرأ العدد مكتوباً بالكلمات من اليمين الى الشمال فكذلك يقرأ إذن مرموزاً إليه بالأرقام . والأمر الآخر أن الذي يهم السامع من التاريخ هو العدد القليل من مجموع الأرقام ، ويدل على ذلك أن من الناس من يستغني عن ذكر الأرقام الكبيرة أو كتابتها فيقول أو يكتبها « سنة سبع وأربعين » و « سنة أثنتين وخمسين » ، وكذلك فعل القدماء[1] أما قوله : إن قراءة الأرقام من الشمال الى اليمين هي تأثر بلغات الغرب ، فليس بذاك ، فقد قرأنا فى نسخة خطية للصبح المنبي عن حيثية المتنبي محفوظة بدار كتب باريس رقمها « ٣١٠٧ » ما هذا نصه ـ ر ـ ١٥٤ ـ : « ووافق الفراغ من نسخ هذا الكتاب الجليل ضحوة يوم الخميس المبارك الحادي عشر من شهر رمضان المبارك سنة ألف ومائة وستة (كذا) وستين على يد الفقير أحمد أبو العز الشافعي مذهباً ، الشاذلي طريقة ، غفر الله له ولوالديه » وجاء فى آخر نسخة من كتاب « المنتخب فى جمع المراثي والخطب » لفخر الدين الطريحي[2] : « والسلام على من لا نبي بعده فى اليوم الثامن عشر من شهر جمادى الأولى سنة ألف ومائة وثمان عشر (كذا) تم بالخير والاقبال » وفى نسخة من جزء من أجزاء التذكرة لابن حمدون[3] : « ووافق الفراغ من هذه النسخة المباركة فى يوم الثلاثاء ثاني عشر شهر شوال المبارك من شهور ألف ومائة وأحدى وعشرين من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام »

فهذه النصوص وأمثالها من الشواهد ـ وهي كثيرة ـ تدل على أن المسلمين فى الشرق تركوا فى الأزمنة التأخرة قراءة أرقام التأريخ من اليمين الى الشمال ، وعكسوا الأمر يدل

(١) قال أبو حيان : « وكنت في البادية صفر سنة أربع وخمسين منصرفاً من الحج » الامتاع (٢/١٥٥) يعني « سنة أربع وخمسين وثلاث مئة » ، وكانوا يضيفون الرقم المحذوف عند الرواية « أبو القاسم ابن السمرقندي قراءة عليه ، قال : كتب الي أبو اسحاق ابراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبال المصري قال : « سنة خمس وأربعين ـ يعني وأربع مئة ـ أبو نصر (أي توفي) عبد الملك بن علي بن سابور المقرىء البغدادي » (التاريخ المجدد لمدينة السلام ، جزء المكتبة الظاهرية بدمشق ، ورقة ١٧)

(٢) دار الكتب الوطنية بباريس (٣٤٤١ و ١٦٣) (٣) فيها (٣٣٢٥ ر ١٧٦)

على ذلك كتابتهم إياها بادئين بالأرقام الكبيرة ، فهذا الاتفاق بينهم وبين أهل اللغات الغربية حدث بالاتفاق من غير تواطؤ ولا تقليد

٤٧ ـ ٨ ـ « غيور » قال : « العرب يجمعون غيوراً على غُيُر [١] ، والمحدثون يجمعونه على غيورين »

قلنا : قد كنا فصلنا الكلام على هذا الجمع في هذه المجلة [٢] بسبب جمع فريق من أصحاب الأقلام لوقور على « وقورين » للمذكر و « وقورات » للمؤنث ، وقلنا آخر الكلام : « ومن أعجب الأمور فى هذا الجمع أنه لم يشذ عنه مثال يحتج به أصحاب العربية ، وهذه السلامة من الشذوذ عزيزة فى اللغة العربية كل العزة » أفيجوز أن نأتي قاعدة مكينة سليمة سالمة من الشذوذ فهدمها من أجل أن بعض أصحاب الأقلام لم يتعلم قاعدة جمع « فعول » بمعنى فاعل للمذكر ، فجمعه غالطاً على « فعولين » أعني غيوراً وغيورين ؟ وهل يجوز أن يكون جهل القواعد سبيلا الى التفريط فيها والعبث [٣] بها ؟

قال : « أما الأربعة الألفاظ التي رفضت ، فهي » :

٤٨ ـ ١ ـ « أمجاد الأمة » قال : « يريد المحدثون بأمجاد الرجل والأمة مناقبه ومفاخره ، والعرب يريدون أشراف الناس وكرامهم ، قال الرئيس الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا : « هذا التعبير لا ضرورة له » ، وقال الدكتور ابراهيم مذكور : « إن اللغة العربية غنية بالكلمات التي تؤدي هذا المعنى »

قلنا : قول القياس أصحُّ من قول الناس ، فالأمجاد يراد بها جمع « المجد » ، والمجد يدل على الكثرة قبل كل معنى آخر من معانيه ، ثم إن القياس يأباه كل الاباء ، فقد أسلفنا فى الكلام على « الزهور والأزهار » أن فعلا لا يجمع على « أفعال » ما لم يكن معتل

(١) بضم الغين والياء (٢) راجع (٢٤٢/١)

(٣) يرى الرائي أحياناً كتاباً يغلطون ـ ومن ذا الذي لا يغلط ـ في كتابتهم ، فاذا نبهتهم على الغلط أخذوا يجادلونك ويجادلونك للتفصي من الاعتراف بالخطأ ، ويقترحون اقتراحات يؤدي تحقيقها الى هدم القواعد ، وهؤلاء هم حفظة التعابير العصرية يعبرون بتعابير غيرهم ، ويفهمون معاني الجمل فهماً نسبياً ، ولا يعرفون حقائق الألفاظ ، فهم أهل تقليد وحكاية

الفاء كالأوقات أو العين كالأعيان أو اللام كالأنحاء أو مضعفاً كالأجداد

وقوله : « والعرب يريدون بالأمجاد أشراف الناس وكرامهم » ، يعني به أنه جمع « مجيد » كشريف وأشراف ويتيم وأيتام وبديل أبدال وخصيم أخصام وجريّ أجراء وشرير أشرار وقصي أقصاء ونصير أنصار وفنيق أفناق وقطيع أقطاع وكميّ أكماء وجليد أجلاد ولديس ألداس ومريع أمراع ومليح أملاح ونجيب أنجاب ونسيب أنساب ونصي أنصاء ونضير أنضار ووزير أوزار ووشيظ أوشاظ وحبيب أحباب وحريد أحراد وحفيد أحفاد وسيأتي الكلام على هذا ، فالأمجاد مختص بأن يكون جمعاً لمجيد ، قال الشريف الرضي :

هم صفوة البيت التي أوحى لها وقضى أوامره الى أمجادها

وقال أيضاً :

أعزز علي بأن نزلت بمنزل متشابه الأمجاد والأوغاد[1]

وقال ابن حمدون في آل المهلب :

آل المهلب معشر أمجاد ورثوا المكارم والوفاء فسادوا[2]

قال الزمخشري في أساس البلاغة : « وقوم أمجاد وأماجد » وقال فخر الدين الطريحيّ : « وجمع المجيد أمجاد ، ومنه قولهم : أما نحن بني هاشم فأمجاد أي أشراف كرام ، وكذا أمجاد جمع ماجد كأشهاد في شهيد وشاهد[3] »

فجمع المجد على أمجاد لا قياس يعضده ولا سماع يؤيده ، وهو غلط من لا يحسن معرفة جموع التكسير ولا يحفظها

٤٩ ـ ٢ ـ « المقهى » قال : « القياس في مقهى ضم الميم ، ولكن المحدثين يفتحونها من باب التخفيف ، وخير منها لفظ القهوة رأى الرئيس أن تحذف هذه الكلمة لثقلها والاكتفاء بكلمة القهوة[5] التي أقرت »

(١) الديوان وشرح نهج البلاغة (٢/٢١ و٣/٥٢)
(٢) المستطرف (١/٢٠٩) من طبعة المطبعة العامرة
(٣) على سبيل استعارة الجمع كما قدمنا (٤) مجمع البحرين ومطالع النيرين في « مجد »
(٥) لم يتكلم القوم على جمع القهوة ، وهو بالبداهة « القهوات » بفتح القاف والهاء ، والعامة ببغداد يجمعونها على « القهاوي » كليلة وليالٍ

قلنا : مضى كلامنا على هذا الاسم في التعاليق السابقة

٥٠ ـ ٣ ـ « العضو » قال : « سمع من المحدثين إدخال التاء على العضو ، فيقولون : فلانة عضوة في الاتحاد النسائي[١] قال الأستاذ العوامري بك : « لا أرى ادخال تاء التأنيث على كلمة « عضو » ، فلماذا لا نقول : هي عضو في الاتحاد النسائي[١] مثلا » ؟

قلنا : من الواضح عند أكثر المثقفين أن « العضو » بهذا المعنى وهذا الاستعمال إنما هو رجمة الكلمة الفرنجية Membre ، ويراد بها واحد أو واحدة من لجنة أو جماعة متفقين على عمل أو فن أو علم وشأنهم فيه واحد ، وذلك على سبيل تشبيه الجماعة بالجسم ولا بد للجسم من أعضاء فهو من باب المجاز ، وهذا الباب مفتوح دائماً في اللغة العربية ، وذلك يعني أنها يجوز لها أن تستعير المجاز إذا لاءم روحها ووافق أساليبها ، فهي قديماً استعملت الأعضاء في المعاني المجازية ، فمن ذلك « رأس القوم وصدرهم أي سيدهم » و « عينهم أي جاسوسهم » و « أعيان البلدة أي أشرافها » و « لسان القوم أي المتكلم عنهم » و « أذناب الناس أي أواخرهم »

وقد استعملت العربية « العضو » بمعنى مجازي ، فصارت موافقتها للغات الفرنجية فيه من قبيل الاتفاق المعروف عند العامة بالصدفة ، قال أبو الفتح سبط ابن التعاويذيّ في خطبة ديوانه : « وسارت بسيرها الحميدة أرباب دولتها وأعضاء مملكتها[٢] » جعل للمملكة أعضاء ، وهو المعنى الذى استعمله الغربيون واستعرناه منهم لمثل مؤسساتهم ، إلا أن العرب لم يستعملوه للمؤنث حتى نعلم أألحقوا به تاء التأنيث أم لم يلحقوها ؟

واستعمل العضو أيضاً للزمان ، ففي نهج البلاغة : « وَصَلّوا بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان[٣] » ، وللأشياء غير ذات الحياة ، قال النمر ابن تولب :

أفرغت في حوضها صُفني لتشربه ... في داثر خلق الأعضاء أهدام[٤]

وقد كان من نتائج مشاركة المرأة في الأمور الاجتماعيــة والأمور الأدبية والموضوعات العلمية

---

(١) الفصيح « النسوي » بكسر النون وإسكان السين

(٢) ديوان سبط ابن التعاويذي (ص ١٢)

(٣) شرح نهج البلاغة (٤/١١٦)

(٤) البيان والتبيين (٣/٢٣)

أن أصبح من الضروري أن يقال « فلانة عضو فى كذا » أو عضوة فيه ، ولا شك فى أن التأنيث أكثر مواءمة وملاءمة لها وان صح التذكير فى التعبير ، فهل يجوز تأنيث العضو ؟ نعم يجوز لأنه دخل فى عداد الأخبار وهي ضرب من الأوصاف ، ومن خواص الأوصاف المطابقة فى التذكير والتأنيث ، فلا يمنع من ذلك كون الاسم جامداً ، نستدل على ذلك بقول الرسول عليه الصلاة والسلام لأبي بن كعب وقد أعطاه الطفيل بن عمر الدوسي قوساً جزاءً على إقرائه القرآن : « تقلدها شلوة من جهنم [1] » ، والمعروف المشهور « الشلو » بمعنى العضو ، وهو مذكر لفظاً ومعنىً ، قال الشريف الرضي : « وانما قال شلوة ولم يقل شلواً لأنه حمل على معنى القوس ، وهي مؤنثة ، والشلو : العضو [2] » ونحن نحمل هذا الاسم « العضو » على معنى المرأة المشاركة فتكون « عضوة » ، وهذا من باب حمل النظير على النظير لاتحاد السبب بينهما بعد التساوي ونستدل أيضاً بقوله عليه الصلاة والسلام فى كتابه الى وائل بن حجر والأقيال العباهلة من أهل حضرموت : « أنطوا الثبجة ، وفى السيوب الخمس [3] » والمتعالم المتعارف « الثبج » بالتذكير وهو الوسط ، قال الزمخشري : « ألحق تاء التأنيث بالثبج وهو الوسط لانتقاله من الاسمية الى الوصفية ، والمراد : أعطوا المتوسطة بين الخيار والرذال [4] » ، وقال مجد الدين بن الأثير : ومنه كتابه لوائل : أنطوا الثبجة ، أي أعطوا الوسط فى الصدقة لا من خيار المال ولا من رذالته ، وألحقها تاء التأنيث لانتقالها من الاسمية الى الوصفية [5] ، فوجه القياس إذن نقل الاسم من الاسمية المحضة الى الوصفية

ولقائل أن يقول : إن التأنيث فى قولهم « فلانة عضو » مفهوم بالمعنى ، لأن المطابقة الخبرية تستلزمه

قلنا : تحقيق التأنيث هنا أقوى من عدمه ، وكان العرب سراعاً اليه ، قال الجوهري فى

---

(١) المجازات النبوية (ص ٣٨) والفائق للزمخشري (٦٧٣/١) من الطبعة المصرية والنهاية لمجد الدين الأثير (٣٣٤/٢) قال « ويروى « شلواً من جهنم » ، والوجه القوي كاف في الاستدراك ، لأنه يثبت الجواز وهو المراد

(٢) المجازات النبوية (ص ٣٨)

(٣) الفائق (٤/١) من الطبعة المصرية ، والنهاية (ص ١٢٤/١)

(٤) المرجع المذكور (ص ٨) (٥) النهاية في الوضع المذكور

الصحاح : « الكوكب : النجم ، يقال كوكب وكوكبة كما قالوا بياض وبياضة وعجوز وعجوزة » ، ثم قال : « وقد قالوا بياض وبياضة كما قالوا منزل ومنزلة » وهذا يدل على أن العرب كانوا اذا احتاجوا الى التأنيث صرحوا بعلامته سريعاً ولم يتوقفوا فاذا استثقلوه عمدوا الى التضمين فى العدد كقول عمر بن أبي ربيعة :

وكان مِجَنّي دون من كنتُ أتّقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر [١]

يعني « ثلاث فتيات » مع أن لفظ الشخص مذكر ، واذا لم يكن فى الكلام عدد عمدوا الى الفعل ، قال أبو عمر : « سمعت أعرابياً يمانياً يقول : فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها . فقلت : أتقول : جاءته كتابي ؟ فقال : أليس الكتاب بصحيفة ؟ قلت : ما اللغوب ؟ قال : الأحمق [٢] »

فالشواهد قد تضافرت على أن التأنيث عند الاحتياج اليه من أسهل الأمور فى اللغة ومن أكثرها استعمالاً فيها ، فقد أنثوا أسماء الذات وأسماء المعاني والأعداد والأفعال عند الحاجة الى التأنيث فى موضع التذكير

٥١ ـ ٤ ـ « حفيد » قال : « يجمعه العرب على حفدة ، ويجمعه المحدثون على أحفاد »

قلنا : أسلفنا من القول فى التعليق الثامن والأربعين ما يفيد قياس جمع فعيل للفاعل على أفعال عند الحاجة ، ومنه « حفيد أحفاد » ، وقد مضت على استعماله عصور طويلة ، قال ياقوت فى سيرة أحمد بن سهل البلخي : « وقد كانت تلك الضياع بعد باقية الى قريب من هذا الزمان فى أيدي أحفاده وأقاربه بشامستيان [٣] » ، وقال ابن خلكان فى سيرة أبي الطاهر اسماعيل بن القائم المنصور الفاطمي : « وقد تقدم ذكر المستعلي وهو من أحفاده [٤] » ، وهكذا ترى أن القوم جمعوا « الحفيد » على « الأحفاد » قبل أكثر من خمسين وسبع مئة سنة ، فليس هذا

---

(١) وفعلوا عكس ذلك عند ارادة التذكير ، قال الجوهري في الصحاح : « ويقولون ثلاثة أنفس ، فيذكرونهم لأنهم يريدون به الانسان » وهو مناقض لما ذكره في مادة « غنم » وهو قوله : « لأن العدد يجري في تذكيره وتأنيثه على اللفظ لا على المعنى » فهذا قول واه .

(٢) المصباح المنير في « كتب » (٣) معجم الأدباء (١٤٤/١) من طبعة مرغليوث الأولى

(٤) الوفيات (٨١/١) من الطبعة الفارسية

الجمع من فعل المحدثين بالمعنى الذى ذهب اليه الـكاتب للمحدثين وهو جمع عمدت اليه السليقة العربية ، لأن له فى اللغة أشباهاً ونظائر ذكرنا صدراً منها فى التعليق على جمع المجيد على « الأمجاد » كما أومأنا اليه آنفاً ؟

استدراك وتصحيح

جاء في « ج ١ ص ٣٣٣ س ١٥ » « والبداية والنهاية لابن كثير » والصحيح « والتاريخ المجدد لمدينة السلام » لابن النجار

وفي « ص ٣٣٤ س ٢٧ » « ١٩٨٢ في الورقة » والصحيح ١٩٨٢ ج ٢ في الورقة »

وفي « ص ٣٣٦ س ٢٤ » « ٥٧ ظ » والصحيح « ١٥٧ ظ »

وفي « ص ٢٣٧ س ٧ » « الذود » لا يصح ، والصواب « الذود إبل » لا يصح »

وفي « ٢٤٥ س ٤ » سطر قافز من صفحة أخرى فيجب الضرب عليه .

وفي « ص ٢٤١ س ١٦ » « وفق عرضه » والأصل « وفق غرضه »

وفي « ص ٢٤٨ س ١٥ » « وداد عنه المعصية » والأصل « وذاد »

وفي « ص ٢٤٩ س ٧ » « وقال الحكم بن عبدل » والأصل « الحكم بن عبدل »

وفي « ص ٣٥٦ س ٢٨ » « وصخر الأول » والأصل « وصخراً لأول »

وفي « ص ٣٦٧ س ١٧ » « قال عبد الحق » والأصل « قال ابن عبد الحق »

مصطفى جواد

المرأة والرجل

- ٢ -

الحرف :

الطب ـ كان الطب فى أقدم أزمنة التأريخ مختصاً بالنساء ، والمرجح أن النســاء كن يعثرن ، فى أثناء جمعهن الأعشاب والبذور والجذور ، على أعشاب ذات فوائد طبية ، كما أن الطبخ وتحضير الطعام والشراب كانا من وظائفهن ، فالأرجح أنهن كن يصنعن الأدوية من هذه الأعشاب بغليهــا ونقعها ، مضافــاً الى ذلك ملاحظتهن أطفالهن واطلاعهن على ما يصيبهم من أوجاع ، مما جعلهن يفهمن عللهم وشكاياتهم ويقتدرن على استنباط الأدوية اللازمة لهم

أما الهندسة والعلوم الطبيعية ، فكانت ولا تزال من وظيفة الرجل ، بسبب تخصصه بالشؤون المعدنية وباصلاح الأدوات المختلفة من فجر التأريخ

التجارة ـ ويظهر من التأريخ القديم والحديث أن التجارة كانت ولا تزال من اختصــاص الرجال ، بسبب المشاق والأسفار والأخطار التي تتطلبها هذه الحرفة

الشؤون المنزلية ـ ويؤيد الماضي والحاضر اختصاص المرأة بالشــؤون المنزلية أكثر من الرجل ، ولــكن العالم فى تطور اليوم ، وكثير من أمور الماضي لا تنطبق على الحاضر ، فلا نستطيع أن نقول اليوم إن المرأة لا تتمكن أن تقوم بأعمال الرجل ، والرجل لا يتمكن أن يقوم بأعمال المرأة فهذا العصر عصر الآلة التي ذللت الصعاب ، ورفعت الحواجز بين أعمال المرأة وأعمال الرجل فالعلب ذات الطعام المحفوظ ، وأدوات الطبخ والغسل والكنس والحياكة والخياطة ، واللبن الصناعي ، وغيرها من الأمور ، كفت المرأة مؤونة التدبير المنزلي ، وحلت الآلات محل قوة الإنسان في الأعمال التي تحتاج الى قوة جسدية ، فجعلت الإنســان يستغني عن الأيدي العاملة ، وأصبحت المرأة آلة من جملة هــذه الآلات ولــكن عصر الآلة جعل المرأة

مستعبدة للرجل أكثر من استعباد البيت لها ؛ لأن السيادة للرجل فى هذه الآلات لا للمرأة ، لأن الآلة أصبحت أبرع منها فى الطبخ والخياطة والتطريز والحياكة وما أشبه ذلك ، كما أنها جعلت المنافسة بين المرأة والرجل أشد مما كانت قبلاً ، وأصبح توزيع الأعمال الذي كان موزعاً سابقاً بين الرجل والمرأة ضئيل الأثر جداً فى عصرنا الحاضر ، وسنحلل هذا الموضوع فى بحثنا فى المساواة بين الرجل والمرأة

فروق الذكاء بين الجنسين – إن فروق ذكاء الجنسين من الأمور الحساسة التي ولدت المنافسة الخفية بينهما ، وهي من القضايا المعقدة التي لم يبت العلماء فيها قال الدكتور David Wechsler الذى استنبط امتحانات الذكاء المعروفة بـ Bellevue Intelligence test : لقد ضربنا بآلاتنا عرض الحائط حينما وجدنا اختلافاً بين نتائج ذكاء الرجال والنساء ، وكانت كفة الميزان فى جانب الرجال أرجح منها فى جانب النساء

وجد متتبعو هذا الموضوع أن البنات فقن الصبيان فى الفحوص اللفظية Verbal كالقراءة والمحادثة ، وفاق الصبيان البنات فواقاً بارزاً فى الرياضيات والعلوم والموضوعات الاجتماعية كالتأريخ والعلوم المدنية والاقتصادية وما أشبه ذلك ويبلغ البنات ذروة قواهن العقلية من سن البلوغ فما فوق ذلك أبكر من الصبيان ، ثم تضعف هذه القوى رويداً رويداً الى أن يصبحن دون الصبيان ذكاءً وتوصل تيرمان الى النتائج نفسها التي توصل اليها Wechsler فامتحن تيرمان ومساعدوه (١٣٠٠) عبقرى وعبقرية اختاروهم من المدارس الأولية والعالية فى مدارس كلفورنيا سنة ١٩٢٠ م و ٢٢ تتبعوا سيرة حياة ٩٥ ٪ منهم ، وظلوا متصلين بهم حتى سنة ١٩٤٠ م ، فوجدوا أنهم كلما تقدموا عمراً ووصلوا الى دور البلوغ ، تأخر البنات فى نمائهن العقلي عن الصبيان ، بينما لم يزدد نماء الصبيان العقلي ازدياداً مطرداً فقط ، بل سبقوا البنات ، واستمر هذا التقدم فى الصبيان بتقدم أعمارهم أكثر مما استمر فى البنات . فاستنتج تيرمان من هذه الامتحانات أن الفرق كان بارزاً بين الدرجات المدرسية وامتحان الذكاء ، فالبنات كن يحصلن على درجات مدرسية أعلى من الصبيان في كل الأعمار وتوصل Psyche Cattel من جماعة هارفرد الى النتائج نفسها

إن البنات يسبقن الصبيان فى السنة المدرسية الأولى في امتحانات الذكاء ، ثم يدركهن الصبيان فيما بعد ، ويسبقونهن فى المدارس العالية فيفوقونهن بين سن ١٧—١٨ ، فكيف نعلل هذه الفروق ؟ يقول العلماء المعنيون بهذه البحوث إن البنات يبلغن أبكر من الصبيان ، وإنهن يفقدن اللذة العلمية أو تضعف فيهن متى بلغن ، لأنهن يربطن مصيرهن بالزواج فلا يكترثن للأمور العلمية ، بل يتوقعن أن يصرن زوجات

وهنالك رأي آخر يرتبط بالناحية الاحيائية ، خلاصته : أن سبب هذا الفارق وجود عامل داخلي منبعث من مفرزات الغُدَد الصُّم أو غيرها يقلل ذكاء البنات

وتقول فئة من العلماء لما كان نمو البنات الجسمي يكتمل قبل نمو الصبيان ، فمن الممكن أن يقف نموهن العقلي أيضاً ، ويستمر نموّ عقل الصبيان سنوات أكثر من البنات ولا دليل قاطعاً على هذه النظريات ، ولسنا نستطيع أن نقيم لها وزناً

الذكاء الاجتماعي — ويهم علماء النفس بمعرفة سبب فواق ذكاء البنات الاجتماعي على الصبيان ، مثل تقدير الأشخاص ، وإدراك مشكلات الحياة اليومية بصورة علمية أكثر من الرجال ، فالرجل مثلاً يستخف عقل البنت التي تقتصد في طعامها لتشتري قبعة أو ثوباً ، ولكن القبعة والثوب شيآن حيويان للبنت المرتبط مصيرها بالزواج ، إذ يجعلانها أكثر جذباً للرجل المنشود وبعد أن تتزوج المرأة تتمرن على ملاحظة أولادها والعناية بهم ، فتصبح أكثر تدقيقاً من الرجل بقوة ملاحظاتها وإدراكها للأمور العملية

وقد عدل علماء النفس مؤخراً عن تطبيق امتحانات الذكاء نفسها على الفروق بين الشعوب المختلفة عرقاً وجنساً وثقافة والعوامل التي أثرت فى حياتها ، وحكموا الحكم نفسه على الفروق بين ذكاء المرأة والرجل ، فقالوا : لم يستنبط حتى الآن ، ولن يستنبط فى المستقبل

امتحان ذكاء — نقيس الفروق بين قابلية عقل المرأة وقابلية عقل الرجل قياساً دقيقاً ، ولا يمكن استنباط امتحان ذكاء يثبت أن عقل الرجل أرقى من عقل المرأة ، والعكس على العكس

وإذا عجزنا عن إظهار فروق الذكاء بين الجنسين فى الأمور العقلية ، فلا نعجز عن التمييز بين ذكائهما فى الأعمال الحرفية كالصناعات ، فالواضح أنه كما يفوق الصبيان البنات منذ الصغر فى

الأمور الحيلية والحسابية والبنائية ، يفوقونهن أيضاً ، وهم رجال ، في الصناعات التي تدخل في هذا النطاق وأما النساء فيفقن الرجال في الصناعات الخفيفة التي تحتاج الى مهارة يدوية ، ويشتغلها الإنسان جالساً كالحياكة والتطريز وما أشبه ذلك ومن أهم امتحانات القابليات الصناعية للجنسين ، الامتحان الذى استنبطه الدكتور George Benett لاتحاد الشركات الصناعية ، وقد رسم فيه أدوات صناعية مختلفة ، وامتحن الرجال والنساء في ٦٠ مادة منها : فساوى الإناث الذكور في الأمور السهلة ، وكن ٣٠—٥٠ ٪ دون الذكور في الأمور الأخرى وقال الدكتور بنت : خير للنساء أن يستخدمن في الصناعات الخفيفة وتفوق النساء الرجال في الأعمال التي تحتاج الى مهارة يدوية كالصر والترتيب .

والنساء أدق حساً وسمعاً ونظراً وشماً من الرجال ، وحاسة النظر أقوى فيهن من الرجال بسبب قلة العيوب البصرية فيهن ، ومنهن أفضل من الرجال في الصناعات التي تحتاج الى تمييز الألوان

والنساء أمهر من الرجال في الأمور الكتابية ، فيفقنهم بنسبة ٣٠ ٪ ، ويفوق الرجال النساء في الأعمال الهندسية والبناء وما أشبه ذلك ومن الأمور التي يفوق بها النساء الرجال الكتابة بالطابعة Tipyewriter وبالرغم من فواق النساء الرجال بها ، فقد حاز بطولتها الرجال منذ وجودها الى سنة ١٩٤٥ م ، ثم حازتها امرأة تدعى Mrs. Marparet Hamma كانت تضرب (تطبع) ١٤٩ كلمة في الدقيقة ، وتستمر على الضرب ٦٠ دقيقة فتضرب ٨٩٤٠ كلمة في الساعة .

وقد أحرز الرجال بطولة الاختزال ، والرجال أمهر من النساء في سوق السيارات ومرد فواق الرجل في معظم الأمور التي ذكرناها الدافع الطبيعي للعمل ، فهو أقوى في الرجال منه في النساء ؛ لأن النساء بحسب ما ذكرنا سابقاً يربطن مصيرهن بالزواج .

العبقرية في الأعمال — العبقرية المقياس الأعلى للفواق العقلي ، فهى التي تسمو بصاحبها الى ذروة الشهرة والمجد ، وتخلد اسمه في سجل الأزمان . فما السر في خلو هذا السجل من اسم المرأة ؟ وقد نجد مسوغاً لها في العبقريات العسكرية والاستكشافية التي تحتاج الى قوة جسدية بسبب الفروق الطبيعية بين قوتها وقوة الرجل ، فلا نتوقع أن ينشأ بين النساء أمثال يوليوس قيصر

والاسكندر ذي القرنين وطارق بن زياد وخالد بن الوليد وشارلمان وصلاح الدين الأيوبي ونابليون أو كولومبس ومجلان والادريسي وابن بطوطة وغيرهم ممن تتطلب عبقريتهم قوة جسدية بالاضافة الى القوة العقلية ولكن ما قولنا في غيرهم من عباقرة الفكر البشري والاختراعات والفنون المختلفة كسقراط وأفلاطون وهومبروس والمعرى وابن رشد وشكسبير ودانتي وميشيل أنجلو وليونارد دي فنيسي وباخ دموزارت وبهوفن وفكنز والفارابي ونيوتن وأدسن وأضرابهم ؟ لم يكن هذا التساؤل غريباً في الأزمنة القديمة ، لأن العصور كانت عصور رجال ، ولم يعتقد الأقدمون أن المرأة من فرسان هذا الميدان ، وكان « الآلهة » في أكثر الأديان رجالا ولم يخامر الناس شك في فواق الرجل المرأة الا في عصرنا هذا

ذكر العلماء نظريتين في تعليل فواق الرجال : (١) فواق الرجل في قواه الاحيائية التي تحول دون مجاراة المرأة له (٢) المحيط أو المانع الاجتماعي الذي لم يفتح المجال للمرأة في أن تجاري الرجل .

لنبحث في العامل الأول ، أي العامل الاحيائي ، فهل العبقرية وراثية تنتقل بوساطة المورثات ؟ إن كل علماء الوراثة الموثوقين متفقون على أن العبقرية وراثية ، ونعرف من قوانين الوراثة أن نصف المورثات يأتي من الأب والنصف الثاني يأتي من الأم ، فلماذا تكاد العبقرية تكون محصورة في الرجال ؟ واذا أردنا أن نطبق قانون الوراثة على الانسان نجد أن الوراثة والمحيط عاملان مرتبطان لا ينفك أحدهما عن الآخر

مما لا شك فيه أن « المحيط » الذي هيأ للرجل في الأزمنة الغابرة لم يهيأ للمرأة فاذا جاء فردان على نفس العوامل الوراثية واختلاف محيطها ، فلا شك أن صفاتها تختلف بعضها عن بعض ، فنستخلص من ذلك أن المحيط كان في الماضي حائلا دون عبقرية المرأة واذا سلمنا بوجود حائل احيائي ، فان الاتجاه الحديث يجعل الأهمية للحواجز الاجتماعية والنفسية

وهاك ما قاله لويس تيومان في العباقرة الذين درسهم ، وقد مر بنا ذكرهم : بالرغم من فواق البنات الصبيان في المدارس الابتدائية والكليات ، فانهن لم يستطعن مباراتهم بعد الحياة المدرسية ؛ لأن المرأة التي كان فيها موهبة للشعر أو العلم أو الطب أو القصص أو المحاماة ، نذرت نفسها للزوج والاولاد والبيت ، فحرمت العلوم والفنون جزءاً كبيراً من عبقرية النساء ، ودلتني

الحقائق التي توصلت اليها دلالة قوية على اتجاه المرأة ، وجعلتني أعتقد أن منشأ عدم محاراة المرأة الرجل في العبقرية قلة الفرص لا عجز فى مواهبها

ومن أقوال المرحوم هفلوك ألس : تكاد تكون العبقرية ضرباً من الصفات الجنسية الثانوية المختصة بالرجال ، كما يكون الريش الكثير مختصاً بذكور قسم من الطيور

نسينا أنه مرت على أوربة ألف سنة ونيف حينما حرر الدير المرأة من قيود البيت والأسرة ، ومن المحقق أن أكثر النساء موهبة وتطوراً هن اللاتي اخترن الدير ولم يحصل تحامل عليهن منعهن عن الانصراف الى العلم والفن والأدب ، وبالرغم من ذلك فان كل المشهورين فى سجلات الدير كانوا رجالا ، ما عدا روزيتا[1] « Hrosvitha » وظهر في ذلك العصر امرأة عبقرية واحدة وهي السويدية « Birqitta »

وهاك ما قاله Pref. H. M. Fsrshley راداً على أحد أساتذة كلية تمت للنساء : مهما تسامحنا فى حجة عدم سنوح الفرص للمرأة فى بعض الاتجاهات ، فلا يمكننا تعليل نبوغ الرجال أكثر من النساء إلا بعدم استطاعة المرأة محاراة الرجل مجاراة تامة في قسم من الأعمال ، وخاصة الفن المجرد والفكر

وتحملنا كل هذه الاستشهادات على أن نتساءل : هل كان الرجل يسمح للمرأة في اظهار نبوغها لو نبغت ؟ هذا أمر مشكوك فيه ؛ لأن العالم كان عالم الرجال قالت Mary Feard : النساء جنس ضائع في التأريخ ، لأن التاريخ من صنع الرجال

الفنون والاكتشافات :

اذا سلمنا أن عدم مساواة المرأة للرجل فى الانتاج نشأ من عدم إتاحة الفرص لها ، فما قولنا فى الشؤون المنزلية الموفورة لها في البيت كالطبخ والخياطة وما أشبه ذلك ، والرجال بالرغم من ذلك يبزون النساء فيها ؟ يرى قسم من المحققين أن صناعة الطبخ تحتاج الى تمرين ومؤهلات خاصة ، وقد كانت هذه الصناعة محصورة فى الرجال فى بلاطات الملوك ولا تزال كذلك حتى الآن فى البلاطات والفنادق الكبيرة وغيرها من المؤسسات ، وقد حرم على المرأة معاطاة هذه الأعمال فلم تنبغ فيها ، ويصدق الشيء نفسه على الخياطة أما الآن وقد أتيحت لها الفرص فانها آخذة

(١) « ٩٣٥–١٠٠٢ » روائية ومؤرخة ألمانية ، ألفت ثماني قصص شعرية ، ولها آثار أدبية قيمة

في أبتكار الأزياء ، والتفنن في صنع أنواع الكمك والحلويات ! ولكن التأريخ لم يسجل اكتشافاً ما للمرأة ، فقد تكون عندها فكرة الاكتشاف ، ولكن الرجل هو المنفذ لها

ويعلل العلماء المعنيون بهذه المباحث ضعف المرأة بناحية الاكتشاف والاختراع أنها دون الرجل مقدرة فى التفكير المجرد والنظريات الحيلية ، والمرأة ميالة بطبيعتها الى الأمومة ، وهي وظيفة يعجز عن القيام بها الرجل وقد عللت الدكتورة Faven Horney هذا الفارق تعليلاً طريفاً ، فقالت : ربما يكون دافع الرجل للاختراع منبعثاً عن مشاركته الضئيلة في إنتاج الأولاد ، فيعوض عنها في ناحية أخرى

نستنتج من كل هذه النظريات أنه ربما يكون استعداد المرأة الطبيعي مساوياً للرجل في الاختراع ، ولكن المحيط والروح النسوية يكبتان فيها هذا الدافع

ومن الغريب أنه لو كانت فى المرأة هذه القوة قوة الإبداع ، لظهرت فى الرسوم وتأليف القطع الموسيقية وغيرها من الفنون الرفيعة التي تظهر أحسن المواهب ، فالرسوم المرسومة على جدران الكهوف من قبل التأريخ لا أثر للمرأة فيها ، اذ ثبت للاختصاصيين أنها من صنع الرجال فى زمن المصريين واليونانيين والرومانيين وغيرهم ومن المسلم به وجود فنانات بارعات ، ولكن لم تظهر حتى الآن فنانة عظيمة ومن الغريب تخلف النساء عن الرجال في الموسيقى ، فلماذا لا تنبغ المرأة فيها وهي أجمل وأرق ما أنتجته عواطف البشر ، وروح المرأة تزخر بالعاطفة ، وهي مزيج من صفات النبل والجمال والرقة كما وصفها أحد الواصفين ، وقد مضى على المرأة حين من الدهر وهي تدرس الموسيقى وتشتغل بها ؟ لا نستطيع أن نقول إن الذنب ذنب الفرص فى تخلفها عن الرجل فى هذه الحالة وثقات الموسيقيين مجمعون على أنه لم تنبغ امرأة فى الموسيقى ، ولم تؤلف سمفونية أو أوبرا أو كونسيرتو Concerto بل ولا أغنية عظيمة واذا أردنا أن نعزو تخلفهن فى الموسيقى عن الرجال الى انعدام الفرص ، فإنهن قد تقدمن نسبياً تقدماً كبيراً فى عالم الأدب ، وظهرت مواهبهن الكثيرة في عصرنا الحاضر بالصحافة ، وقد أخذن يبارين الرجال فى القصص والشعر وسير الرجال وغيرها من الأمور الأدبية

التمثيل – والتمثيل أقرب الى طبيعة المرأة من الحرف الأخرى ؛ لأن البنت تتمرن منذ نعومة

أظفارها على دقة الملاحظة والأناقة والإشارات ، وتفوق البنات الصبيان في تفاصيل حالات الناس وفى التعابير اللفظية والحفظ ثم التمثيل ضروري المرأة في حالات كثيرة كالبكاء وإظهار الضعف وما أشبه ذلك ، ويضاف الى ذلك أن الجمال من مطالب التمثيل وكم قضى على مواهب كثيرات ممن لم تنلن حظاً منه ، بيما لا تشترط هذه الصفة في الرجل ومن سوء حظ النساء أن بنات جنسهن يعجبن بالممثلين أكثر من الممثلات ، وكان الرجال أبرز من النساء منذ ظهرت السيما ويقول أمرام شنفلد مؤلف كتاب النساء والرجال : إن زعامة التمثيل فى السيما كانت للرجال مدة عشر سنوات ، ولاحظ نقاد السيما أن المرأة لا تجيد الفصول الهزلية كما يجيدها الرجل

الحرف Profession ــ واذا كان للمرأة ملء الحرية أن تنبغ في الفنون الرفيعة ، فليس الأمر كذلك فى الحرف كالطب والمحاماة والعلم والفلسفة وغيرها من الحرف الرفيعة ويعزى السبب الى ارتباط العلم برجال الدين في العصور القديمة ، والى الفكرة المتأصلة فى نفوس الرجال أن المرأة لا تستطيع مجاراتهم فى التفكير المجرد وأكثر كليات الطب فى الولايات لا تقبل إلا نسبة محدودة من النساء بمعدل ١ — ١٠ صبيان ، ويحدث الشيء نفسه فى أغلب أنحاء العالم ما عدا روسية السوفيتية التي سنذكرها فى موضوع المساواة ، وهذه السياسة هي المتبعة عندنا فى أكثر معاهدنا العلمية ، وبعض كليات الطب في الولايات المتحدة لا تقبل البنات بتاتاً ، والنساء لا يثقن بالطبيبات بقدر ما يثقن بالأطباء وقد بلغ عدد الأطباء فى الولايات المتحدة ثمانين ومئة ألف ، منهم سبعة آلاف وخمسمئة طبيبة فقط

والحالة في الحقوق أسوأ من الطب ، فان عدد المحاميات قليل جداً بالقياس الى المحامين فى أنحاء العالم كله وبالرغم من أن عدداً من البنات درسن المحاماة في بلادنا فانهن لم يمارسن هذه الحرفة بتاتاً ، واللاتي مارسنها منهن أخفقن فيها ونحن لا ننكر الأسباب المحيطية فى إخفاقهن ، ولا نستطيع أن ننكر أن حرفة المحاماة ليست من الحرف الموائمة للمرأة

وصفوة القول أن المرأة لا تستطيع مباراة الرجل في الأعمال التي ذكرناها ولو فرضنا أنها تستطيع أن تضاهيه فيها ، فهناك فارق طبيعي بينها وبينه ، وهو تفضيلها الزواج والأمومة والبيت على الأعمال الأخرى ، وتثبت ذلك في موضوع المساواة

السيادة — كانت السيادة ولا تزال منذ خلق الانسان حتى الآن للرجل ، والاستثناءات القليلة لا تنفي هذه الحقيقة ، بل تثبت تفاوت درجاتها ، فالذكور فى عالم الحيوان والانسان هم القوامون على الإناث سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا وليس يتسع المقام للخوض فى فلسفة هذه السيادة ، ولهذا انقضى على بيان حكمتها ونفعها للمرة والرجل يقول الأستاذان سمنر وكلر Sumner and Keller فى جامعة ييل : «كانت سيادة الرجل أمراً لابد منه ، فهي التي أوجدت الفارق بين الجنسين ، وجعلت الجنس البشري يصل الى حالته الحاضرة فاذا كان فيها غبن أو اضطهاد ، فاللوم يوجه الى القوة التي خلقت الذكر والأنثى واذا كان هذا هو الواقع ، فلا بد من التسليم بالحالة الحاضرة »

يقول علماء الإنسان : من الخطأ أن ننسب حالة المرأة الحاضرة الى تأثيرات الماضي ، واتهام الانسان الأول بسوء معاملة المرأة ، فالتحريات التي جرت تدل على عكس ذلك ، ونسرد بعض الأسباب المقولة لدفع هذه الشبهة :

الفروسية التي من مبادئها أن يرعى الرجل المرأة ويذود عنها ، ولولا هذه الروح لافترست ذكور الحيوانات إناثها ولما بقي حي على وجه هذا الكوكب وليس الدافع الجنسي هو الذى يبعث روح الفروسية فى الذكر ، فقد ثبت أنه من النادر أن يحارب الذكور الإناث ، واذا حدث ذلك فتكون الأنثى هي المعتدية ، فالإناث يتشاجرن بعضهن مع بعض أكثر من الذكور ويشك علماء الإنسان فى أن الإنسان الأول كان يعامل المرأة معاملة فظة ، ويقولون : إن هذه الإشاعة غير معقولة لصعوبة الحصول على المرأة ، ولأن حاجة الرجل البدائي الى المرأة كانت أكثر من حاجة الرجل المتحضر ، ولا يسع المقام سرد الشواهد الكثيرة على ذلك

فالسيادة كانت منذ فجر التأريخ حتى الآن للرجل ، ولا عبرة بسيادة قسم من النساء المؤقتة أمثال الملكة أليزابث فى انكلترة وكاترين العظيمة فى روسية وكاترين دي مديسي في فرنسة وغيرهن من الشهيرات ، فان هذه السيادة لم تكن مجردة من سلطة الرجل

كان مركز المرأة عرضة للتغير فى كل عهود التأريخ ، ولكن المرأة لم تستطع نزاع الرجل فى السيادة يوماً من الأيام ومما ساعد على سيادة الرجل العقائد الدينية ، فان جميع الأديان

رمز الى العزة الآلهية بصيغة الذكر ، ورمز الى الأنبياء ، وفى قصة الخليقة أن الله عز وجل خلق الرجل قبل المرأة ، وجعلت جميع الأديان الرجال قوامين على النساء ، ولم يرافق تقدم المدنية الحديثة تقدم يذكر فى مركز المرأة ، وكانت حالة المرأة فى قسم من المدنيات القديمة خيراً مما كانت عليه فى الشرق والغرب كانت المرأة فى عهد البابليين أرقى مما كانت عليه في أوربة بعد مضي آلاف من السنين من تاريخهم ، وعتعت المرأة المصرية القديمة بمركز أرقى من مركزها اليوم ، وبالرغم من ذلك بقيت السيادة للرجل والمرأة نفسها هي التي تفضل هذه السيادة ، باستثناء عدد قليل من النساء

وليست السيادة التي يتمتع بها الرجل سيادة فواق بالقوة الجسدية ، بل هي سيادة معنوية لحماية المرأة والذود عنها ورفع شأنها ، فهي سيادة ثقافية اجتماعية ، وليست سيادة نفعية ، لا بل هى حمل ثقيل يوقر كاهل الرجل وتتمتع المرأة فى عصرنا الحاضر بالاحترام والسيادة الداخلية فاذا كان الرجل يسود المرأة مادياً ، فهي تسوده روحياً وتفضل المرأة هذه السيادة لأنها خدمة لها ولأولادها ولمركزها الاجتماعي ، لأن درجة سيادة الرجل مظهر من المظاهر الاجتماعية التي تظهر الرجل بمظهر الحارس والمعيل والمدافع ومعظم الذين ذادوا عن حوض المرأة ورفعوا شأنها كانوا رجالاً ، ويحبذ أكثر نساء العالم اليوم هذه السيادة ، لأن فيها خيراً لهن وحفظاً لأولادهن والرجل العصري يحترم المرأة ، ويقدمها على نفسه ، ويتفانى فى الدفاع عنها ، وهي مقدمة على الرجل فى ساعات الخطر كالحريق والغريق والغارات الجوية ، ولها المنزلة الأولى في الحياة الاجتماعية فى الحفلات والدعوات ووسائط النقل وغير ذلك من مظاهر الحياة الاجتماعية ، وقد منحها القوانين امتيازات لم تمنحها للرجل ، وسيادة الرجل سيادة وقاية لا سيادة سيطرة ، والمرأة فى الواقع هى المسيطرة على الرجل روحياً ومادياً ، ولا عبرة فيما راه من سوء معاملة النساء عند قسم من طبقات الأمة ، فمرجع ذلك العادات والأخلاق الموروثة والجهل ، وسنعود الى هذا الموضوع فى بحث المساواة بين الرجل والمرأة

شريف عسيران

بلاد العرب : من تأريخ بلينيوس

يفصل إقليم سوسا عن (إيليميس Elymais) نهر كارون الذي ينبع من بلاد الميديين وبعد أن يجري تحت الأرض مسافةً ما ، يعود فيخرج على سطحها ثانية ، ويجري مخترقاً (ماساباتين Massabatene) يمر هذا النهر حول قلعة سوسا ومعبد ديانا الذي يقدسه الناس في تلك البقاع تقديساً لا مزيد عليه ؛ كما أنهم ينظرون الى النهر نفسه بيالغ التبجيل ، والملوك لا يشربون من الماء إلا ما كان مأخوذاً من هـذا النهر ، ومن أجل ذلك يُنقل ماؤه الى أمكنةٍ بعيدة جداً

ولنهر كارون رافدان : أحدهما (هديفوس Hedyphos) المار من البلدة الإيرانية (أسايلوم Asylum) ، والآخر (أذونا Aduna) الآتي من اقليم (سوسياني Susiani) وعلى نهر كارون تقع بلدة (ماكو Magoa) التي تبعد عن (كاراكس Charax) ١٥ ميلاً ، وإن عين بعضهم موقع (ماكو) في أقصى حدود سوسا المتاخم للصحراء وتقع في أسفل نهر كارون على الساحل (ايليميس Elymais) المحاذية لـ (فارسيستان Farsistan) والممتدة من نهر (أوراتيس Oratis) إلى (كاراكس Charax) مسافة تبلغ ٢٤٠ ميلاً ومن مدنها : (سلسيا Seleucia) ، و (سوستريت Sostrate) الواقعتان على جانب جبل (جاسيروس Chasirus) أما الساحل الممتد في الأمام فكما قلنا سابقاً لا يمكن الوصول اليه بسبب الطين ، فهو بذلك يشبه (سيرتس الأصغر Lesser Syrtes) ، فان نهري (بريكسا Brixa) و (أورتاسيا Ortacia) يجلبان معهما كمية من الرواسب ، ومقاطعة (ايليميس Elymais) نفسها مستنقع وأرضها سبخة لا يستطاع معها الوصول الى (فارسيستان Farsistan) إلا باستدارة طويلة حولها كما أن الساحل المذكور مملوء بالأفاعي التي تحملها المجاري اليه وهناك قسم من الساحل لا يمكن الوصول اليه بصورة خاصة ، يدعى (جاراسين Characene) مشتق من (كاراكس Charax) إحدى بلدان جزيرة العرب على الحدود الفاصلة بين هذه الممالك .

وسنتكلم الآن على هذه البلدة بعد أن نبين رأي (ماركوس أكريبا Marcus Agrippa) وبحسب ما جاء فى رسالة له : إن بلاد (ميديا Melia) و (بارثيا Parthia) و (فارسيستان Farsistan) يحدهـا من الشرق نهر (الأندوس Indus) ، ومن الغرب نهر دجلة ، ومن الشمال جبـال طوروس وقفقاسية ، ومن الجنوب البحر الأحمر وتشغل هـذه الأقطار الثلاثة مجتمعة مساحة قدرها ١٣٢٠ ميلا طولاً و ٨٤٠ ميلا عرضاً ويضيف ماركوس أكريبا الى ما تقدم أن « ما بين النهرين » وحدها يحدهـا من الشرق نهر دجلة ، ومن الغرب نهر الفرات ، ومن الشمال جبل طوروس ، ومن الجنوب خليج فارس (البحر الفارسي) ، كما أنها تبلغ ٨٠٠ ميل في الطول و ٣٦٠ ميلاً في العرض

تقع بلدة كاراكس فى أقصى فجوة من خليج فارس ، حيث تبرز البلاد المعروفـة باليمن (Arabia Felix) وهي مشيدة فوق مرتفع صناعي يقع بين دجلة من اليمين ونهر كارون من الشمال ، فى البقعة التي يلتقي فيها هذان النهران ، والبالغة زهـاء ميلين عرضاً إن البلدة الأصلية أسسها الإسكندر الأكبر ، وأسكن فيها من بقي من سكان مدينة (ديورين Durine) الملكية التي دمرت وقتئذ وكذا من بقي من جنوده المرضى والمقعدين وقد أمر الإسكندر أن تسمى تلك البلدة (الإسكندرية) ، وفرز منها مقاطعة خاصة للمسدونيين (Macedonians) أسماها (بلايوم Pel'aeum) تخليداً للمكان الذي ولد فيه ولقـد عمل النهران عملها في تدمير البلدة الأصلية ، ولـكن أعاد تشييدها (أنتيوكوس Antiochus) خامس ملوك سورية ، فأطلق عليها أسمه ولما دمرت المرة الثانية ، أعاد بناءها (سبوزين Spaosines) بن (سغدودوناكوس Sagdodonacus) ملك العرب المجاورين ، الذى قال عنه (جوبا Juba) ـ خطأ ـ: إنه كان نائب الملك السوري (أنتيوكوس Antiochus) . لقد شيد سبوزين رصيفاً لحماية البلدة ، ورفع مستوى الأرض المجاورة لها مسـافة ٦ أميال طولاً وأقل من ذلك بقليل عرضاً وكانت البلدة تبعد فى الأصل زهاء ميل وربع ميل عن السـاحل ، وكان لها ميناء خاص بها ، وأصبحت فى الوقت الذى نشر فيه (جوبا Juba) كتابه بعيدة عن البحر زهاء ٥٠ ميلاً أما بـعدهـا الحالي عن الساحل ، فيبلغ ١٢٠ ميلاً على ما قدره المبعوثون العرب ، وكذا تجارنا الذين قدموا من هناك وليس في العالم محل آخر يفوق هذه البقعة من حيث قابلية التربة التي تحملها الأنهر على التجاوز على البحر

بهذا المقدار وهذه السرعة وأعجب من ذلك أن المد بالرغم من صعوده إلى مسافة ما وراء تلك البقعة ، لم يستطع أن يجرف الرواسب ويعيدها إلى البحر

ولا يفوتني أن أذكر أن بلدة كاراكس كانت مسقط رأس (ديونيسيوس Dionysius) وهو أحدث من كتب عن جغرافيا العالم ، وهو أول من أرسل من لدن (أوغستوس Augustus) إلى الشرق ليرفع تقريراً مفصلاً عنه ، وكان ذلك قبيل الحملة التي تقرر إرسالها بقيادة الابن الأكبر للانبراطور الى ارمينية ضد (البارثيين Parthians) والعرب ؛ كما أنني لا أنسى أن أذكر ما سبق أن بينته في مستهل هذا الكتاب من أن كل مؤلف يكون أقرب الى الصواب حينما يصف وطنه هذا وان مرجعي في هذا البحث الجيوش الرومانية ، وما كتبه الملك (جوبا Juba) في مجلداته المهداة الى (كايوس قيصر Gaius Caesar) المذكور فيما سبق والتي وصف فيها هذه الحملة الى بلاد العرب

لا تقل جزيرة العرب بالنظر لسعتها عن بلاد أية أمة أخرى في العالم ؛ فأقصى أبعادها ، كما قلنا سابقاً ، هو المنحدر المتد من جبل (أمانوس Amanus) باتجاه (سيليسيا Cilicia) و (كوماجين Commagene) ، وان كثيراً من الأقوام العربية جاء بهم الى تلك البلاد (تايكرين العظيم Tigranes The Great) ، بينما هاجر الآخرون من تلقاء أنفسهم الى البحر المتوسط والساحل المصري كما بينا ، كما توغل النوبيون أيضاً في أواسط سورية حتى جبل لبنان ، ويجاورهم (الراميسيون Ramici) ثم (التيرانيون Teranei) ثم (الباتاميون Patami) وبلاد العرب نفسها انما هي شبه جزيرة تمتد بين بحرين ، هما : البحر الأحمر ، والخليج (البحر) الفارسي وقد أحاطتها الطبيعة بالبحر جاعلة إياها شبيهةً بإيطالية من حيث الشكل والمساحة وكذلك الاتجاه نحو المشرق ، وبذا صار لها ما لإيطالية من المنافع الناجمة عن مثل هذا الموقع الجغرافي ولقد سبق أن ذكرنا الأقوام التي تسكن الجزيرة في المنطقة المحصورة بين البحر المتوسط وصحارى (بلميرا Palmyra) ، وسنبين الآن الأقوام الآخرين الذين يسكنونها ، من هذه المنطقة وما بعدها

يجاور البدوَ والقبائلَ الرحل الذين يهبون بلاد الكلدانيين قومٌ يُعرفون بـ (السينيتيين Scenitae) ، وهؤلاء أنفسهم من الأقوام الرحل ، وقد أشتق أسمهم من خيامهم المصنوعة

من شعر الماعز التي ينصبونها حينما يحلو لهم ويجاورهم (النبطيون Nabataens) الذين يسكنون بلدة تعرف بـ (بطره Petra) ؛ وتقع في واد عميق يقل عرضه عن ميلين بقليل ، ويحيط بها جبال شاهقة منيعة يمر من بينها نهر جار وتبعد عن بلدة غزة (Gaza) الواقعة على ساحل البحر المتوسط زهاء ٦٠٠ ميل ، وعن خليج فارس ٦٣٥ ميلاً

وفي بطرة يلتقي طريقان : أحدهما عتد بين سورية وبلميرا (Palmyra) ، والطريق الآخر يأتي من غزة والاقليم الممتد بين بطرة وكارا كس (Charax) كان مأهولاً (بالعمانيين Omani) ، وكان في هذا الاقليم أيضاً المدينتان اللتان اشهرتا حيناً من الزمن ، وهما : (أبيساميس Abaesamis) ، و (سوركاتيا Sorcatia) وقد أسسها سميراميس (Samiramis) وهو الآن صحراء وهناك بلدة تقع على شاطىء (باسيتا يكريس Pasitigris) تسمى (فرات Forat) ، وهي تابعة لملك (كاراسني Characeni) ، ويتردد على هذه البلدة بعض أهل بطرة قادمين من هناك الى كارا كس ، وتستغرق هذه الرحلة ١٢ ميلاً بطريق النهر مع الاستفادة من المدّ

لكن المسافرين مهراً من مملكة (بارثيا Parthia) يأتون إلى قرية (تردون Teredon) الواقعة في أسفل ملتقى دجلة والفرات ؛ ويحتل الضفة اليسرى من النهر (الكلدانيون Chaldaeans) ، والضفة اليمنى منه قبائل (السنيتيين Scenitae) الرحل وقد أنبأ بعضهم بأن ثمة مدينتين أخريين تبعد إحداهما عن الأخرى مسافةً طويلة يمر بهما المسافر في رحلته النهرية باتجاه مجرى دجلة ، وهما : (بارباتيا Barbatia) ، و (دوماثا Dumatha) ، وقيل : إن الرحلة مهراً بين الأخيرة وبطرة تستغرق عشرة أيام

ويقول تجارنا : إن ملك (الكراسانيين Characeni) يحكم كذلك (أبامي Apami) ، وهي بلدة تقع عند ملتقى دجلة والفرات ، فاذا هدد (البارثيون Parthions) بالغزو ، صدوهم بواسطة السدود المقامة عبر النهر ، التي من شأنها أن تغمر الأرضين المجاورة بالمياه

ونصف الآن الساحل من (كارا كس Charax) فنازلاً ، وهو الذى اكتشف لأجل الملك (ايبفين Epiphanes) فعلى هذا الساحل ، الموضع الذى كان فيما مضى مصباً لنهر الفرات ، وهو الآن مجرى من الماء الملح ، و (رأس كلدون Cape caldon) ، ومصب

نهر أشبه بدوامة الماء منه بالبحر المكشوف ويمتد زهاء ٥٠ ميلا على طول الساحل ؛ وهناك نهر (أكينوم Achenum) ، وصحراء ذرعها ١٠٠ ميل تمتد حتى جزيرة (إيكارس Icarus) وخليج (كابس Caqous) ويسكن فيه الغولوبيون (Gauloçe) و (الغاتيون Gattaci) ، وعلى ذلك الساحل أيضاً خليج (جرّا Gerra) والبلدة المسماة باسمه وتمتد عليه مسافة خمسة أميال وفيها أبراج مشيدة بكتل مربعة من الملح وعلى بعد خمسين ميلاً من ساحل البحر مقاطعة (آتين Attene) ويقابلها على بعد خمسين ميلاً أيضاً من الساحل جزيرة (تاروس Tyros[1]) المشهورة جداً بوفرة اللؤلؤ فيها ، وفي هذه الجزيرة بلدة مسماة باسمها وبالقرب منها جزيرة أصغر منها تبعد زهاء ١٢٫٥ ميلاً من رأس (تاروس Tyros) وقد قيل : إنه يمكن مشاهدة جزائر كبيرة وراء تاروس لم تطرق ولم يصل اليها أحد قطّ ومحيط تاروس يبلغ ١١٢٫٥ ميلاً ، وهي تبعد عن (فارسيستان Farsistan) أكثر من ذلك ؛ ولا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق قناة ضيقة واحدة فقط ثم تأتي جزيرة (اسليا Aseliae) ، والقبائل المسماة (نوكيتي Nochaeti) و (زورازى Zurazi) و (بورغودي Borgadi) والرحّل (كاتارى Catharrei) ونهر (ساينوس Cynos) وبناء على قول (جوبا Juba) فان ساحل الجانب الآخر[2] غير مكتشف ، لتعذر القيام برحلة إليه بسبب الصخور وقد فات جوبا أن يذكر (باتراسافاف Batrasavave) بلدة (العمانيين Omani) ، وبلدة (أومانا Omana) التي قال عنها المؤلفون السابقون إنها ميناء مشهور من موانئ (كرمانيا Carmania) ، وكذلك (هومنا Homna) و (أتانا Attana) البلدتان اللتان تقصدان ويتردد عليها التجار أكثر من الموانئ التي على خليج فارس على حسب ما قاله تجارنا ويأتي بعد نهر الكلب (Dog's River) — على قول جوبا — جبل يخيل للناظر إليه أنه محترق ، ثم قبائل (الابيمارانيتي Epimaranitae) ، وجزيرة (أوموموس Omoemus) ، وميناء (موكوربى Mochortae) ، وجزائر (أتا كسالوس Etaxalos) و (إينكوبريكا Inchobrichae) وقبيلة (كادى Cadaei) وعدد من جزائر أخرى لا أسماء لها ثم

(١) البحرين (٢) على الجانب العربي من خليج فارس

الجزائر المشهورة (آيسورا Isura) ، و (ربني Rhinnea) والجزيرة المجاورة لها المحتوية على أعمدة حجرية حفرت عليها كتابة بحروف هجائية مجهولة ، وميناء (كونى Colaea) ، وجزائر (براغا Bragae) غير المسكونة ، وقبيلة (تالودى Taludaei) ، ومقاطعة (دبانغوريس Dabanegoris) ، وجبل (أورسا Orsa) وميناؤه ، وخليج (دواتاس Duatas) ، وبضع جزائر أخرى ، وجبل ذو قمم ثلاث ، ومقاطعة (كاردالين Chardaleon) وال (سولونادس Solonades) وال (كاشينا achinna) وكذا جزائر أكلة السمك ثم (كلارى Clari) ، وساحل (مامين Mamaean) المحتوي على مناجم الذهب ، ومقاطعة (كانونا Canouna) ، وقبائل (الأبيتاميين Apitami) و (الكاسانيين Casani) وجزيرة (دفيد Devade) والنبع (كوراليس Coralis) و (الكارفاتي Carphati) وجزيرتا (ألى Alaea) و (أمنامتوس Amnamethus) ، وقبيلة (دارى Darae) ، وجزيرة (كلونيتس Chelonitis) ، وبضع جزائر تابعة لأكلة السمك ، (وأودندا Odanda) غير المسكونة ، و (باسا Basa) ، وبضع جزائر أخرى تابعة للسابيين (Sa'aei) . ثم نهرا (ثانار Thanar) و (أمنوم Amnum) وجزائر (دوريك Doric) و (دولوتوس Daulotos) ومنابع (دورا Dora) وجزائر (بتيروس Fteros) و (الاباتانيس Labatanis) و (كوبوريس Coburis) و (سامبرا كيت Sambrachate) مع البلدة المسماة بالاسم نفسه الواقعة على البر الأصلي وثمة جزائر عديدة تقع الى الجنوب أكبرها (كامارى Camari) ، ثم نهر (موسكروز Museeros) وميناء (لوباس Laupas) ، ثم (السابيون Sabaei) وهم من قبائل (السينتيين Scenitae) تمتلكون جزائر عديدة ومركزاً للتجارة في (قلهات Kalhat) التي هي ميناء يبحر منه إلى الهند ، ثم مقاطعة (أميتوسكاتا Amithoscatta) و (دامنيا Damnia) ، و (ميزى Mizi) الأصغر والأكبر ، و (دراعاتينا Drymatina) و (ماكي Macae) ؛ وهو رأس[١] ممتد من هذه القاطعات متجهاً نحو (كرمانيا Carmania) البعيدة عنه زهاء خمسين ميلاً

(١) رأس موساندام Ras Musandam

قيل إن حادثاً جديراً بالاعتبار به حدث هناك ، وهو : أن حاكم (مسين Mesene) المعين من قبل الملك (أنتيوكس Antiochus) ، ويدعى (نومينوس Numenius) ، كان قد انتصر هنا على الايرانيين بأسطوله فى إحدى المعارك ، وبعد أن نزل الد دخل معهم في معركة أخرى بفرسانه فانتصر عليهم ثانية ، فأقام نصبين (تمثالين) فى البقعة نفسها : أحدهما للآله الأعظم (جوبيتر Jupiter) ، والآخر لآله البحر (Neptune) تخليداً لذكرى هاتين المعركتين

وتقع فى عرض البحر بعيداً من الساحل جزيرة (أوجيرس Ogyris) ، اشتهرت بكونها مدفن الملك (أريثراس Erythras) ، وهي تبعد عن البرّ الأصلي زهاء ١٢٥ ميلاً ، ويبلغ محيطها ١١٢٫٥ ميلاً واشتهرت مثلها جزيرة ثانية فى (بحر الأزنيان Azanian Sea) تعرف بجزيرة (سقطره Socotra) ، وتبعد عن طرف رأس (سياغروس Syagrus) زهاء ٢٨٠ ميلاً نحو الجنوب .

أما بقية القبائل القاطنة في البر الأصلي نحو الجنوب ، فهي ال (أوتاريدي Autaridae) ، وبعد رحلة تستغرق سبعة أيام بين الجبال تأتي قبيلتا (لارنداني Larendani) و (كاتاباني Catapani) ، ثم ال (جبّانيتى Gebbanitae) مع بضع بلدان أكبرها (ناجيا Nagia) و (تومنا Thomna) ، وفى الأخيرة خمسة وستون معبداً ، وهذه الحقيقة وحدها تدل على سعة هذه البلدة ويأتي بعد ذلك رأس يبعد عن البرّ الأصلي حيث الإقليم الذى يقطنه ساكنو الكهوف زهاء خمسين ميلاً ؛ ثم قبائل ال (توني Thoani) ، وال (أكتى Actaei) ، وال (كاتراموتيتي [1] Chatramotitae) ، وال (توناباي Tonabaei) وال (انتيادالي Antiadalei) ، وال (لكسياني Lexianae) وال (اغرائي Agraei) ، وال (سرباني Cerbani) وال (سابى Sabaei [2]) ، وهذه القبائل أوسع القبائل العربية شهرةً من أجل نوع من العطور الزكية وهي تشغل رقعة تمتد من البحر الى البحر [3] ومن بلدانهم على ساحل البحر الأحمر : (ميرم Merme) و (مارما Marma) ، و (كوروليا Corolia) ،

(١) ان هذا الاسم وصل إلينا باسم حضرموت (٢) اليمن
(٣) أي من البحر الأحمر الى بحر العرب

وسباتا Sabbatha أما البلدان غير الساحلية ، فهي : ناسكس Nascus ، وكارداڤا Cardava وكارنس Carnus ، وتومالا Thomala ، وتحمل القبائل إلى هذه البلدان العطور للتصدير وطائفة من هذه القبائل تعرف بال (اترامیتي[1] Atramitae) لها بلدة عظمى تعرف بـ (سابوتا Sabota) ، وهي بلدة مسورة تحتوي على ستين معبداً على أن العاصمة الملكية لجميع هذه القبائل ، هي (ماريليباتا Mareliabata) وتقع على خليج طوله ٩٤ ميلا ، مرصع بالجزر التي تنتج الروائع والعطور ويجاور الاترامیتیین فی الداخل (المينيون Minaei) ، ويقطن الساحل أيضاً الـ (ايلاميتي Aelamitae) مع بلدة تسمى بهذا الاسم أيضاً ويجاورهم الـ (كاكولاني Chaculatae) مع بلدة (سيبيس Sibis) المسماة باليونانية (آبات Apate) ،وال (آرسی Arsi) وال (كوداني Codani) والـ (لكيني Lechieni) ، وجزيرة (سايغاروس Sygaros) المحرمة على الكلاب ، ولهذا تبقى هذه الحيوانات شاردة على ساحل البحر بجول من محل الى آخر حتى تموت ثم يأتي خليج يمتد بعيداً الى داخل البر ، وتقطن فيه قبيلة الـ (لینتی Laenitae) التي أسبغت اسمها عليه ، عاصمهم (أكرا Agra) . وعلى الخليج[2] المذكور تقع (لينا Laeana) ، أو كما يسميها بعضهم (ايلانا Aelana) ؛ لأن اسم الخليج نفسه نكتبه نحن « لینتی Laenitie » ويكتبه غيرنا « ايلانيتى Aelanitie » بينما يكتبه (آرتميدوروس Artemidorus) على هيأة « أليني Alaeoitie » ويكتبه جوبا « لينتي Leanitie »

ومحيط جزيرة العرب من كاراكس الى (لينا Laeana) يبلغ زهاء ٤٦٦٥ ميلاً ، وإن رأى جوبا أن طوله أقل من ٤٠٠ ميل بقليل ؛ ويكون ذلك المحيط أوسع ما يمكن من جهة الشمال بين بلدي (هيروم Heroeum) وكاراكس

وينبغي لنا أن نبين الآن ما تبقى من أقسام الجزيرة في الداخل إن المصادر القديمة تضع الـ (تيمانيين Timanei) بجوار (النبطيين Nabataei) ، غير أنه يوجد الآن الـ (تافني Taveni) والـ (سللني Suelleni) والـ (اراسني Araceni) والـ (اريني Arreni) (مع

(١) يظهر أن هذا الاسم وصل إلينا باسم حضرموت

(٢) خليج العقبة

بلدة هي مركز لجميع الأعمال التجارية) ، والـ (همناتي Hemnatae) ؛ والـ (افاليتي Avalitae)
(مع بلدتي دوماتا Domata وهيغرا Haegra) ، والـ (تمودى Tamudaei) ، (بلدة باكلانازا
Baclanaza) ، والـ (كارياتي Cariati) ، والـ (اسيتولي Acitoali) (بلدة فودا Phoda)
والـ (ميني Minaei) الذين ينتسبون ، على حسب اعتقادهم ، إلى ملك (مينوس Minos) ملك
جزيرة كريت Crete ؛ ومنهم الـ (كارمي Carmei) وعلى بعد أربعة عشر ميلاً منهم بلدة
ماريبا Maribba ، ثم باراملاكم Paramalacum وكانون Canon . وكلتا البلدتين الأخيرتين
كبيرة . ثم قبيلة الـ (راداني Rhadamaei) (وهؤلاء أيضاً يعتقد أنهم من سلالة رادامانتوس
Rhadamanthus شقيق مينوس) والـ (هومريتى Homeritae) مع بلدة مسالا Mesala ،
والـ (هامروئى Hameroei) والـ (جدرانيتى Gedranitae) ، والـ (فرايئي Phryaei) ، والـ
(ليسانيتى Lysanitae) ؛ والـ (سامني Samnaei) ، والـ (أميتى Amaitaei) مع بلدتي Messa
و Chenneseris والـ (Zamareni) مع بلدتي Sagiatta و Canthace ؛ والـ (Bacaschami)
مع بلدة Riphearina (وهو الاسم المحلي للشعير) ، والـ Autaei ، والـ Ethravi ،
والـ Cyrei مع بلدة Elmataei ، و Chodae مع بلدة Aiathuris على مسافة ٢٥
ميلا فى أعلى الجبال وفيها النبع المسمى Aenuscabales ، ومعنى هذا الاسم « منبع
الجمال » ، وبلدة Ampelome ، ومستعمرة من Miletus ؛ وبلدة Athrida ، وقبيلة
Calingi ، ولها بلدة تدعى Mariba ومعناها « سادة جميع الناس » ، وبلدتا Pallon
و Murannimal وهما على نهر يعتقد أن نهر الفرات يصب فيه ، ثم قبيلتا الـ Agraei والـ
Ammoni ، فبلدة تدعى Athenae ، والـ Caunaravi (وتعني الأغنياء جداً بقطعان
الماشية) ، والـ Chorranitae ، والـ Ceseni ، والـ Choani

وهنا أيضاً كانت تقع المدن اليونانية : Arethusa و Larisa و Chalcis بيد أنها دمرت
كلها فى حروب مختلفة

وإيليوس كالوس Aelius Gallus ، عضو طبقة الفرسان ، هو أول من حمل سلاح روما
ودخل جزيرة العرب ؛ لأن كايوس قيصر Gaius Caesar بن أوغستس لم تكن له إلا نظرة

سطحية عن الجزيرة لقد دمر كالوس المدن الآتيـة التي لم يذكرها المؤلفون القدامى :
Negrana ، Nestus ، Nesca ، Magusus ، Caminacus ، Labaetia ،
وكذا Mariba المذكورة فيما تقدم البالغ محيطها ستة أميال . وكذا Caripeta التي كانت
عند أبعد ما وصل اليه من البلاد

والمكتشفات الأخرى التي أنبأنا عنها كالوس بعد عودته هي أن القبائل الرحل تعيش على
لبن الحيوانات الوحشية وعلى لحومهـا ، وأن بعض هذه القبائل تستخرج النبيذ من النخيل كما
يفعل ذلك سكان الهند ، وتستخرج الزيت من السمسم ، وأن قبيلة الـ Homeritae أكثر
عددا من سائر القبائل ، وأن الـ Minaei تملك أرضين خصبة تكثر فيها النخيل والأشجار ،
ولها قطعان كثيرة من الماشـية ؛ وأن قبائل الـ Cerbani والـ Agraei ، وبخاصـة الـ
Chatramotitae تمتاز على غيرها بمحاربيها الأشداء ؛ وأن الـ Carrei تملك أوسع الأرضين
الزراعية وأخصبها ، وأن الـ Sabaei أعظم القبائل ثروة بسبب غاباتها الغنية بالأشجار المنتجة
للعطور ، وبما تملك من مناجم الذهب والأرضين الزراعية المروّاة ، وبما تنتجه من العسـل وشمع
العسل وسنتكلم على العطور التي تنتجها هذه القبيلة في مجلد آخر حين نبحث في هذا الموضوع .

والعربُ تعتم بالعمائم ، وقد يمشون وهم حاسرو الرؤوس وشعورهم مرسلة لا يقصونها ، ويحلقون
لحاهم ولا يحلقون شواربهم ، على أن بعضهم يتركون لحاهم ولا يحلقونها ومن الغرابة أن نقول
إن نصف هـذه القبائل التي تفوق الحصر يشتغل بالتجارة أو يعيش على النهب وقطع الطرق
والعرب أغنى أمم العالم طراً لتدفق الثروة من روما وبارثيا Parthia إليهم ، وتكدسها بين
أيديهم ، فهم يبيعون ما يحصلون عليه من البحر ومن غاباتهم ولا يشترون شيئاً مقابل ذلك

ولنتتبع الآن ما تبقى من السـاحل المقابل لجزيرة العرب لقد قدّر Timosthenes طول
الخليج كله بما تقطعه السفينة الشراعية من المسافة خلال أربعة أيام ، أما العرض فقدره بيومين ،
وعرض مضيق باب المندب بـ ٧٫٥ ميلاً اما إراتوستين Eratosthenes فيقدر طول الساحل
على كل جانب من الجـانبين من المدخل بـ ١٢٠٠ ميل ؛ ويقدر آرتميدوروس Artemidorus
طول السـاحل على الجانب العربي بـ ١٧٥٠ ميلاً وعلى جانب اقليم سـا كني الـكهوف حتى
Ptolemais بـ ١١٨٤٫٥ ميلاً ؛ يقول Agrippa بعدم وجود فرق ما في الطول بين جانبي البحر

ويقدر طول كل منها بـ ١٧٣٢ ميلاً ، ويقدر معظم الثقات العرضَ بـ ٤٧٥ ميلاً أما مدخل الخليج المقابل للجنوب الغربي ، فيقدّر بعضهم عرضَه بـ ٤ أميال ، ويقدره بعض آخر بسبعة أميال ، ويقدره آخرون باثني عشر ميلاً

أما وضع الأرض ، فهو كما يأتي : بعد اجتياز خليج Laenitie يأتي خليج آخر اسمه بالعربية Aeas تقع عليه بلدة Heroon . وقد كان على هذا الخليج أيضاً مدينة قنبيز Cambyses بين الـ Nebi والـ Marchades ؛ وكانت هذه المدينة مقراً للمرضى والجرحى من جيش قنبيز ثم تأتي قبيلة Tyro وميناء الـ Daneoi ، وقد كان ثمة مشروع لشق قناة للسفن تمتد من هذا الميناء الى نهر النيل ، فى الموضع الذي يسيل فيه مكونا ما يسمى بالدلتا ، لمسافة تقدر بـ ٦٢٫٥ ميلاً ، وهي المسافة التي بين النهر المذكور والبحر الأحمر وأول من فكر فى هذا المشروع Sesostris ملك مصر ، وبعده داريوس ملك الفرس ، وبعد هذا أيضاً فكر فيه Ptolemy الثاني الذي أخرج قسما من المشروع الى حيز الوجود فعلاً بأن أمر بحفر خندق عرضه ١٠٠ قدم وعمقه ثلاثون قدماً مسافة ٣٤٫٥ ميلاً الى حيث تقع المنابع المرّة على أن تخوفه من الفيضان الذى سيسببه تنفيذ المشروع منعه من الاستمرار فى انجازه بعد أن تحقق أن مستوى البحر الأحمر يعلو على أرض مصر بمقدار ٤٫٥ من الأقدام ولا يعزو بعضهم هجر المشروع الى السبب الآنف الذكر ، إنما يعزونه إلى التخوّف من أن إيجاد مدخل للبحر من شأنه أن يلوّث ويدنّس مياه النيل ، وهو المصدر الوحيد لشرب سكان مصر على أن السفر من بحر مصر سيكون على الدوام براً فى جميع مراحله ، وهناك ثلاثة طرق : أحدها من Pelusium عبر الرمال ، وهو طريق لا يمكن الاهتداء للسير فيه ، إلاّ باتباع صف من القصب يُغرس فى الرمال ، حيث إن الرياح لا تُبقي آثار الأقدام المطبوعة على الرمال ، بل سرعان ما تغطيها وتمحوها والطريق الثاني يبدأ من وراء جبل كاسيوس Casius وبعد أن يمتد ستين ميلاً يلتقي بالطريق الأول الآتي من Pelusium ، وعلى طول هذا الطريق تسكن القبيلة العربية Autaei والطريق الثالث يبدأ من Gerrum ، ويدعى Agipsum ، ماراً بالقبيلة العربية نفسها ، على أنه أقصر من الطريق الثاني بستين ميلاً ، لكنه جبلي صعب الاجتياز ، فضلاً عن خلوّه من مواضع إسقاء الماء

إن هذه الطرق الثلاثة تؤدي كلها الى Arsinoe[١] ، وهي مدينه تقع على خليج Carandra أسسها Ptolemy Philadelphus ، وسماها باسم أخته ، وهو أول من اكتشف إقليم « ساكني الكهوف » اكتشافاً شاملاً ، كما سمى النهرَ الذى تقع عليه Arsinoe باسمه وبعد هذه المدينة تأتي بلدة Aenum الصغيرة ، ويسميها المؤلفون الآخرون Philoteriae عوضاً عن ذلك الاسم ثم تأتي Assrri ، وهي قبيلة عربية متوحشة نشأت من التزاوج بينها وبين « سكان الكهوف » ، ثم جزيرتا Sapirine و Scytala ، ثم صحراء تمتد حتى Myoshormus[٢] حيث فيها منبع Ainos ، ثم جبل Eos ، وجزيرة Iambe وعدد من الموانئ ، وبلدة Berenice المسماة باسم أم Philadelphus وقد سبق أن وصفنا الطريق المؤدي اليها من Coptus ثم قبيلتا الـ Autaei والـ Gebadaei العربيتان ، فاقليم « سكان الكهوف » المسمى فى الأزمنة السابقة Midae ، ويسميه بعضهم Midroe ، ثم جبل « الأصابع الخمس » وبضع جزر تعرف بـ « الرقاب الضيقة » ، ومثلها فى العدد تعرف بـ Halonesi و Cardamine ، وتوبازوس[٣] Topazos التي سمي الحجر الكريم (الياقوت Topaz) باسمها ثم يأتي خليج مزدحم بالجزر ، منها الجزر المسماة Matreos المحتوية على ينابيع ، وتلك المسماة بجزر Erato الجافة لخلوها من الينابيع ؛ وكان لهذه الجزر فيما مضى حكام معينون من قبل الملوك

وفى الداخل قبيلة تدعى Cadaei ويُلقبون بالـ Ophiophagi ؛ لأن من عاداتهم أن يأكلوا الأفاعي التي تعج بها المقاطعة التي تسكنها هذه القبيلة لقد فات جوبا Juba ، وهو المشهور بدقة تحرياته فى هذه القضايا ، أن يذكر (إلا أن يكون ثمة خطأ ورد فى نسخ مؤلفه) بلدةً أخرى فى هذه المقاطعة تدعى Berenice ، ولها اسم آخر يُعرف بـ « الكل من ذهب[١] All golden » واسم ثالث يُعرف بـ « برنيس على الرقبة Berenice on the Neck »

---

(١) بالقرب من السويس

(٢) أبو شعار Abu Schaar

(٣) جزيرة الزبرجد والحجر الكريم هو في الحقيقة زبرجد ، وليس ياقوتاً Topaz كما يدل عليه اسم الجزيرة

واشتهرت هذه البلدة بموقعهـا الفذ ، وهي تقع على رقبة من الأرض بارزة في البحر مسافة طويلة حيث المضيق عند مدخل البحر الأحمر ، والفاصل إفريقية عن جزيرة العرب بمسافة سبعة أميال ونصف ميل فقط وهنا تقع جزيرة Cytis التي تنتج حجر الزبرجد وما وراء ذلك غابات تقع فيها بلدة Ptolemais التي شيدها Ptolemy Philadelphus لصيد الفيلة ، ولذا تسمى « مصيدة أو محل قنص Ptolemy » ؛ وهي بالقرب من بحيرة Monoleus ان هذه القاطعة هي التي نوهنا بها في الجزء الثاني من هذا الكتاب ، ومما هو جدير بالذكر أن في هذه المنطقة يحدث خلال الفترة من ٤٥ يوماً قبل منتصف الصيف إلى ٤٥ يوماً بعده ، أن تتقلص الظلال حتى تنعدم ، وذلك خلال ساعة واحدة قبل الظهر ، أما في أثناء ما تبقى من النهار فتتجه الظلال نحو الجنوب وفيما خلا الفترة المذكورة ، أي في بقية أيام السنة ، فتتجه الظلال نحو الشمال ؛ ومن الناحية الأخرى فإن في بلدة Berenice المذكورة آنفاً وفي اليوم الذى يحدث فيه الانقلاب الشمسي ينعدم الظل تماماً ساعة واحدة قبل الظهر ، وما عدا ذلك لا يُشاهد شيء ما على خلاف العادة ، وتبعد البلدة المذكورة عن Ptolemais ٦٠٢٫٥ ميل وهذه الظاهرة عجيبة جداً ، والموضوع نفسه يتضمن تحريات[٢] على غاية من الأهمية ، ففي هذا المكان اكتُشف بناء العالم وتركيبه ؛ لأن Eratosthenes توصل من تلك الظاهرة الى فكرة قياس أبعاد الأرض بطريقة ملاحظة الظلال

محمود شكرى محمد

(١) سميت كذلك لوجود مناجم الذهب بالقرب منها في Jbeel Allaki حيث يحصل المصريون على معظم موردهم من الذهب

(٢) ومن المحتمل أن يكون القصد « والمحل ذاته كان مسرحاً لتحريات على غاية من الأهمية»

المدرسة النظامية فى بغداد

كان الخواجه نظام الملك قوام الدين أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي وزير ألب أرسلان وملك شاه المعروف ، أكبر وزير ظهر فى ايران وهو يعد من مشاهير هذه الديار وكفايته فى تدبير الدولة وضبط المملكة وفتوح البلدان وعدله وانصافه وتواضعه وبسطة عقله وتقواه وإحسانه ، تحتاج إلى كتب كثيرة ، وهو حرى أن يقتدى بهداه وتتزود خصاله

كان ميلاد هذا الرجل الجليل يوم الجمعة ١٥ ذي القعدة سنة ٤٠٨ هـ فى قرية موقان من نواحي الراذكان على مقربة من طوس وقتله صبي ديلمي من الباطنية فى قرية سحنة بالقرب من نهاوند ليلة السبت عاشر شهر رمضان سنة ٤٨٥ هـ فى أيام توجهه من أصفهان الى بغداد وكانت مدة وزارته تسعاً وعشرين سنة ، لم يغفل فى ليل ونهار وسفر وحضر عن الإنعام على العلماء وإرفاد الأفاضل وخدمة قوام المعرفة وكان ينفق كل ماله على أهل الأدب وحملة العلم والصناع والفقراء وكان له فى ابتناء المدارس وتأسيس الربط (الخوانق) اهتمام وعناية لم ير نظيرها وقد بنى فى أصفهان رباطاً (خانقاه) للمتصوفة وكان الشعراء الذين يقصدون حضرته يفوزون بالجوائز الوافرة والصلات الكثيرة والعوارف الجزيلة وكان يبالغ فى إكرام العلماء والكملة ، فكان اذا دخل عليه إمام الحرمين أبو المعالي الجويني والإمام زين الإسلام أبو القاسم القشيري قام لهما وأجلسهما فى مسنده وكان أكبر أعمال نظام الملك تشييد المدارس فى البلاد الايرانية وسائر الأمصار ، فقد بنى مدرسة فى اصفهان ونيسابور والبصرة وهراة وبلخ وبغداد وأقصى الروم وكانت هذه المدارس مثل الجامعات اليوم ، فقد كان يقصدها الفتيان الذين شدوا مبادىء العلوم فيقيمون بها ويدرسون فيها ويعدون من جراياتها ما يحتاج إليه من الطعام واللباس وكانت هذه المدارس تسمى (النظامية) وهي منسوبة الى نظام الملك . وأعلاها وأشهرها (المدرسة النظامية فى بغداد) ، فقد كانت عظيمة الأوقاف ، وكان مدرسوها مشاهير جلة ، وخرجت علماء أفاضل

كان نظام الملك أول من أنشأ المدارس على هـذا الطراز ، ثم اقتدى به الناس ، فبنيت فى القاهرة مدرسة نحا الأوروبيون نحوها فأسسوا دور العلم

كانت مدرسة أصفهان ـ كما قال صاحب العراضة ـ تسمى الصدرية ظاهراً ، وكان من مشاهير مدرسيها محمد بن ثابت الشافعي المتوفى سنة ٤٨٣ هـ قال المافروخي فى محاسن اصفهان : وأمر (نظام الملك) بابتناء مدرسـة بجاور جامعها (أي جامع أصفهان) للفقهاء الشفعوية ، فابتنيت كأحسن ما رئي هيأة وهيكلا وصنعة وعملا ومحلا ومنزلا ، على طرفها منارة عجيبة الوضع رائقة الأصل والفرع ، يصعد ثلاث أنفس إلى أعلاها فى ثلاث درجات فلا يرى أحد صاحبه إلى أن يعلوها ، وقدر ما انصرف فى نفقاتها والموقوف عليها من الضياع والمستغلات الرسوم ابتياعها للوقف عليها عشرة آلاف دينار

وكانت المدرسة النظامية فى نيسابور جليلة أيضاً ، وكانت لها أوقاف عظيمة وكان إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن أبي محمد الجويني المتوفىّ سنة ٤٧٨ هـ مدرسها مدة وكان من مدرسيها الأديب الخطاط الشاعر المعروف النظامي الذي تخرج فيها ومن تلاميذهـا المعروفين الشاعر الفارسي المشهور الأنوري الأبيوردي

وقد أخرجت نظامية بلخ أشباه الأديب الشاعر الشهير رشيد الدين الوطواط

أما (نظامية البصرة) ، فقد ذكر مؤلف (تجارب السلف) أنها كانت أحسن وأكبر من نظامية بغداد ، وقد خربت فى أواخر أيام المستعصم ، ونقلت عمارتها وآلاتها وخشبها وآجرها الى بلدة البصرة وأسست مدرسة أخرى سميت النظامية ولا تزال آثار النظاميـة العتيقة قائمة إلى وقتنا هذا

أما (المدرسة النظامية فى بغداد) ، فقد شرع فى تشييدها فى شهر ذي الحجة سنة ٤٥٧ هـ ، وتكاملت عمارتها بعد عامين ، وفتحت يوم السبت ١٠ ذي القعدة سنة ٤٥٩ هـ وكان نظـام الملك قرر لتدريسها الشيخ أبا اسحاق الشيرازي ، ودعا فئة كثيرة من الطلاب والعلماء والوجوه وأعيان الناس ، فاجتمعوا ينتظرون قدومه ، فلم يحضر ؛ لأنه لقيه صبي ، فقال : كيف تدرس فى مكان مغصوب ؟ فاختفى فلما أيسوا من حضوره ، نفذ الشيخ أبو منصور بن يوسف المتولي لبناء المدرسة النظامية إلى أبي نصر بن الصبّاغ مصنف (الشامل) ، فافتتح الدرس بها فلما

وصل الخبر الى الوزير نظام الملك ، أقام القيامة على العميد أبي سعيد ، فلم يزل يرفق بأبي اسحاق حتى درس بها

وعزل ابن الصباغ وكانت مدة تدريس أبي إسحاق عشرين يوماً ولما مات أبو إسحاق ، تولى مكانه أبو سعيد المتولي ، ثم صرف سنة ٤٧٦ هـ ، وأعيد ابن الصباغ ، ثم صرف سنة ٤٧٦ هـ ، وأعيد أبو سعيد الى أن مات ولما توفي الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، جلس أصحابه للعزاء في المدرسة النظامية ثلاثة أيام ، ولم يتخلف أحد عن العزاء وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد ، فرتب في التدريس أبا سعيد المتولي فلما بلغ ذلك نظام الملك ، أنكره ، وقال : كان يجب أن تغلق المدرسة بعد الشيخ أبي إسحاق سنة . ورتب في التدريس أبا نصر بن الصباغ

قال مؤلف (مجارب السلف) : قيل إنه لم يقم بالنظامية أحد إلا وفتح له باب من العلم

وقيل : لما فرغ الخواجه من بناء النظامية ، رتب الشيخ أبا زكريا الخطيب مشرفاً بدار الكتب ، فكان يمضي الليل بمعاقرة الخمر ومغازلة المعشوق فرفع بواب المدرسة إلى الخواجه قصة ذكر فيها حال أبي زكريا ، فما صدق ، وقام ذات ليلة منيراً زيّه ، وصعد سطح المدرسة ، واطلع من روزنة في أعلى السقف ، وكان الشيخ أبو زكريا مشغولا بحسب عادته ، فلم يقل الخواجه شيئاً ، وذهب إلى بيته فلما كان من الغد أمر أن يأتوه بدفتر النظامية ، فزاد مشاهرة الشيخ أبي زكريا ، وأحال له حوالة ، وقال للموصل الذى أرسلها صحبته : سلم على الشيخ ، وقل له : والله لم أعلم أن للشيخ نفقات كثيرة ، وإلا لم أرض بما قسم له من المشاهرة فعرف الشيخ أبو زكريا أن الخواجه اطلع على حقيقة حاله ، وندم وتاب ، وتضرع إلى الخواجه ، ولم يعد لمثل ذلك

وقال المؤلف المقدم ذكره أيضاً : كان العميد أبو سعيد أحمد بن محمد النيسابوري الصوفي متولي بناء النظامية مكان نظام الملك ، فأنهي إلى الخواجه أنه خان وتصرف في كثير من مال البناء ، فعلم أبو سعيد وهرب إلى البصرة ثم ندم على فراره ، وعاد إلى بغداد ، وقصد الخواجه ، وخدمه ، وقال : أيها الخواجه ، أسست هذه المدرسة لوجه الله ، فكلْ أمر الخائن الى الله ، يصبك الثواب ، ويخزه العذاب ، ويذق وبال أمره ، ويزر وزره يوم القيامة فقال الخواجه : ليس حزني على المال الذى اختنته أنت أو غيرك ، إنما آسى على الزمان الذى فات ولا أستطيع رده أردت أن يكون بناء المدرسة محكماً مثل المسجد المنصوري والمارستان العضدي ، فقد أتاني أنهم كانوا يفرغون على الآجرة زنبيل جص ، وقيل لي : أنفق المال في الآجر المنقوش ، وأنا أخاف

أن يستولي عليها الخراب وشيكا ولم يخاطب هذا الخائن أكثر من ذلك

وذكر مؤلف (تجارب السلف) قصة أخرى من أخبار النظامية أثبتها أكثر المؤرخين ، قال : أفضى بعض الجواسيس إلى الخليفة الناصر لدين الله أن طلاب المدرسه النظامية يفعلون ما لا يجوز ، ويقطعون زمانهم في معاشرة المُرْد فعزم الخليفة أن يطلع على حقيقة الأمر بنفسه ، وغير زيه ، وتنكر ، تعمية لشأنه وخشية الباطنيين وكان الناصر في غاية الحسن ، لم ير أحسن وجهاً منه ، فلبس وقت الظهر ثوباً موصلياً أبيض ، وتعمد ذلك الزي ، ودخل المدرسة وعشى في صحنها ، فرآه بعض الطلاب وعلقه ، وخرج من بيته ، وأظهر له ما عراه ، وشكا إليه وجده فصدق الخليفة ما رفع إليه ، وثبت هذا المنى في نفسه ، فعاد إلى بيته . وأمر أن يخرج الطلاب من المدرسة ، وجعلها موضعاً للبغّالة والحمّارة ! ومضت مديدة ، فرأى في منامه رسول الله صلوات الله عليه ونظام الملك معاً في المدرسة ، فقرب رسول الله وعظمه ، فلوى النبي رأسه وأعرض عنه ، فمال الناصر إلى الجانب الآخر ، وسأل بذلة وضراعة عما أوجب ما رآه فقال النبي : إذا لم يرض عنك نظام الملك ما استجبت لك فدنا الناصر من نظام الملك ، وسأله عن تغيره وغضبه فقال الخواجه : بنيت المدرسة ليسعى الطلاب للعلم وينالني الثواب ، وأنت عطلتها لخطأ ارتكبه بعضهم ، وجعلتها رباطاً للنعم والخيل والبغال والحمير ! فقال الناصر مستغفراً : أعاهدك أن أعيد اليها بهجتها وبهاءها ، وأزيد أوقافها ، وأجعل فيها دار كتب ملحقة بها وأملأها من الكتب الجليلة فرضي نظام الملك عنه ، وعانقه النبي ، ولطف فيه فلما استيقظ الناصر ، وفى بعهده ، وأمر أن يخرج البغالة والحمارة ، وأن يعنى الخدم بتنظيف المدرسة وفرشها ، وبدأ في اليوم الآخر ببناء دار الكتب

وقص من قصص النظامية أن أبا العز بهاء الدين يوسف بن رافع الأسدي الحلبي الشافعي المعروف بابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ، وقد كان من تلاميذ النظامية في بغداد ، قال : لما كنا في المدرسة النظامية ببغداد ، اتفق أربعة أو خمسة من الفقهاء المشتغلين على استعمال حب البلاذر لأجل سرعة الحفظ والفهم ، فاجتمعوا ببعض الأطباء ، وسألوه عن مقدار ما يستعمل الانسان منه وكيف يستعمله ، ثم اشتروا القدر الذي قال لهم الطبيب الجاهل ، وشربوه في موضع خارج

عن المدرسة ، فحصل لهم الجنون ، وتفرقوا وتشتتوا ، ولم يعلم ما جرى عليهم وبعد أيام جاء إلى المدرسة واحد منهم ، وكان طويلا وهو عريان ليس عليه شيء يستر عورته وعلى رأسه بقيار كبير له عذبة طويلة خارجة عن العادة وقد ألقاها وراءه فوصلت إلى كعبه ، وهو ساكت ساكن عليه السكينة والوقار لا يتكلم ولا يعبث . فقام إليه من كان حاضرا من الفقهاء وسألوه عن الحال . فقال لهم : كنا قد اجتمعنا وشربنا حب البلاذر ، فأما أصحابي فإنهم جنوا ، وما سلم منهم إلا أنا وحدي وصار يظهر العقل العظيم والسكون ، وهم يضحكون منه ، وهو لا يشعر بهم ، ويعتقد أنه سالم مما أصاب أصحابه ، وهو على تلك الحالة لا يفكر فيهم ولا يلتفت إليهم

وفي سنة ٤٩٦ هـ وقعت فتنة في النظامية ، فقد ورد بغداد العلامة المعروف أبو نصر بن الأستاذ الإمام زين الإسلام أبي القاسم القشيري حاجا ، وجلس في المدرسة النظامية يعظ للناس ، واجتمع الناس حوله ، وحضر أكابر العلماء مجالسه احتراما له وإكراما لثواه وجرى له مع الحنابلة فتن لأنه تكلم على مذهب الأشعري ونصره ، وكثر أتباعه والمتعصبون له ، وقصد خصومه من الحنابلة ومن تبعهم سوق المدرسة النظامية ، وقتلوا جماعة وكان من المتعصبين للقشيري الشيخ أبو إسحاق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الأعيان ، وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة

وفي سنة ٦٧١ هـ جلس خواجه شرف الدين هارون بن الصاحب شمس الدين بن الجويني صاحب ديوان الممالك على السدة بالمدرسة النظامية — لما قدم بغداد — وألقى دروساً ، وحضر علاء الدين صاحب الديوان عمه وكافة أرباب الدولة والمدرسون والعلماء والفقهاء تحت سدته ، وأنشد الشعراء بعد فراغه

لقد كانت النظامية في غاية العظامة والجلال والحسن قال ابن جبير : والمدارس بها (أي ببغداد) نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقية ، وما منها مدرسة إلا وهي يقصر القصر البديع عنها ، وأعظمها وأشهرها النظامية وقد أنفق نظام الملك على بنائها مئتي ألف دينار من ماله ، وكتب عليها اسمه ، وبنى حولها أسواقاً تكون حبساً عليها ، وابتاع ضياعاً وحمامات ومخازن ودكاكين أوقفها عليها وكان يصرف عليها في كل عام لنفقات الأساتذة والتلاميذ خمسة عشر ألف دينار وكان فيها ستة آلاف تلميذ يتلقون فيها العلوم الدينية والفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف

واللغة والأدب وغير ذلك قال ابن جبير وقد رآها سنة ٥٨١ هـ : ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير الى الفقهاء المدرسين بها ، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم

وكانت هذه المدرسة متصلة بمدرسة مرجان المشهورة فى الجانب الشرقي من بغـداد فى المحلة التي تعرف بسوق الثلاثاء على مقربة من باب الأَزَج على ضفة دجلة وجددت سـنة ٥٠٤ هـ كما ذكر الرحالة ابن جبير

وفى سنة ٦٧٠ هـ ، على عهد ولاية الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني على بغداد ، وقع حريق بسوق النظامية فاحترق جميعه ، وهلك فيه خلق كثير ممن كان فى الغرف ، وذهب من أموال الناس شيء كثير فأمر الصاحب علاء الدين بعمارته من حاصل وقف المدرسة

وفى سنة ٦٢٥ هـ شرع الخليفة المستنصر في تشييد مدرسة عظيمة فى محلة سوق الثلاثاء ، وتكامل تشييدها فى شهر جمادى الآخرة سنة ٦٣١ هـ ، وفتحت يوم الخميس ٢٠ شهر رجب سنة ٦٣١ هـ ، وسميت (المستنصرية) ، واتخذت لأصحاب المذاهب الأربعة : الشافعية ، والمالـكية ، والحنفية ، والحنابلة بينا كانت النظامية للشافعية فقط

كانت (المستنصرية) أكبر وأحدث ، وكانت وقفاً على أصحاب المذاهب الأربعة يستطيعون جميعاً دخولها ، فسقط بهاء النظامية بعدها ، وهجرت وتركت قليلا قليلا

ولما خربت بغداد من توالي الفتن والحرب ، خربت المدرسة ، وأهمل أمرها على توالي الأعوام حتى اندرست ، وصار في موقعها محلة كبيرة من محلات بغداد وبقي إيوان بابها الى أيام الحرب العامـــة سنة ١٣٣٥ هـ ، وكانت يومئذ مزاراً لأبناء الشيعة سموه « بنجه علي » أي كف الإمام علي « ع » ، وقالوا : إن الإمام علياً كان قد قبض على صخرة ، فارتسم فيها شكل كفه ، فوضعوها فى هذا المـكان ولما جاء القائد خليل باشا التركي الى بغداد ، وفتح الشارع العام فيها ، هدم هـذا المـكان وأدخل فى الشارع ، فحمل الشيعة تلك الصخرة ، وبنوا لهـا مكاناً فى المحلة المعروفة بإمام طـه ، وهي لا تزال حتى اليوم

جعل نظام الملك تولي المدرسة النظامية بعد تكاملها إلى عقبه وكان ابنه مؤيد الملك متولي هذه المدرسة على عهده ، وظلت فيهم حتى سنة ٦٣٧ هـ ، فقد كان الأمير سليمان بن نظام الملك

متولي المدرسة النظامية حينئذ قال الرحالة ابن بطوطة ، وقد رأى المدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية فى شهر رجب سنة ٨٢٨ هـ : وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الأسواق ، عظيمة الترتيب ، وأعظم أسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء ، كل صناعة فيها على حدة وفى وسط هذا السوق (المدرسة النظامية) العجيبة التي صارت الأمثال تضرب بحسنها وفى آخره (المدرسة المستنصرية) ، ونسبها الى أمير المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر بن أمير المؤمنين الظاهر بن أمير المؤمنين الناصر ، وبها المذاهب الأربعة ، لكل مذهب إيوان فيه المسجد وموضع التدريس ، وجلوس المدرس فى قبة خشب صغيرة على كرسي عليه البسط ، ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لابساً ثياب السواد معتما ، وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كل ما يمليه ، وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الأربعة وفى داخل هذه المدرسة الحمام للطلبة ودار الوضوء

وذكر ابن الفوطي أن مدرسي المستنصرية كانوا يلبسون جبة سوداء وطرحة كحلية ، وكان لكل واحد من المدرسين نائب ؛ وكان المدرس يذكر الدروس على سدته ، والنائب تحت السدة

وتدل أسماء أكابر العلماء الذين كانوا فى المدرسة النظامية أنه كان فى النظامية دون متولي خزانة الكتب مدرسون ، هم ثلاث طبقات : المدرسون وكان لكل واحد منهم نائبان ، والمعيدون الذين يعيدون الدروس ، والوعاظ وقد اتخذ الأوربيون نهج النظامية والمستنصرية فيما يسمونه (دار علم) ، فالمدرس هو الذي يسميه الفرنج Professeur والمعيد أو النائب هو الذي سموه Repetiteur أو Chorge de Cours والواعظ هو الذى يسمى اليوم Maitre de Conference وقد نقلوا أيضاً الجبة السوداء والجلوس على السدة

كان المدرسون والمعيدون والوعاظ وخزنة دار الكتب فى المدرسة النظامية من أكابر علماء عهدهم ، وكان ناظرو المدرسة والمتولون لها أبداً يسعون لتعيين الكبراء والأفاضل والوجوه

ومن أكابر العلماء الذين تولوا تدريس النظامية الإمام حجة الإسلام أبو حامد زين الدين محمد ابن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي أكبر فقهاء الإسلام ، فقد درس بها أربع سنوات ٤٨٤ ـ ٤٨٨ هـ لما مر ببغداد حاجاً ثم دعاه ضياء الملك أحمد بن نظام الملك متولي المدرسة النظامية سنة ٥٠٤ هـ أيضاً ـ أى قبل وفاته بسنة ـ (وكان الغزالي معتزلاً فى رباطه مشغولاً بهداية

مريديه) ، ورغب أن يتقدم بدءاً للتدريس بالنظامية مرة أخرى ، فلم يسعفه بما طلب ، وأنفذ إليه برسالة كتبها بالفارسية فى غاية الفصاحة وسحر البيان وها هي ذي[1] :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله أجمعين قال الله تعالى : « ولكل وجهة هو موليها ، فاستبقوا الخيرات »

الخلق من جهة ما جعلوه قبلتهم ، ثلاث طبقات : عوام أهل غفلة ، وخواص أولو كياسة ، وخواص الخواص وهم ذوو البصيرة أما أهل الغفلة ، فقد قصروا نظرهم على عاجل الخيرات ، وظنوا نعيم الدنيا هو الخير الأكبر ، وحسبوه أصل المال والجاه ، فأقبلوا عليها ، وعدوها قرة عين لهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما ذئبان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر فساداً فيها من حب الشرف والمال فى دين المرء المسلم ثم يفرق أولئك الغافلون بين الذئب والصيد ، ولم يميزوا بين القرة والسخنة ، واصطفوا طريقاً أعوج ، وزعموا أنه رفعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينبي- بزيفهم هذا : تعس عبيد الدينار ، تعس عبيد الدراهم

وأما الخواص ، فقد أسلمتهم الكياسة والموازنة بين الدنيا والآخرة أن آثروا الآخرة على الأولى ، وهي خير وأبقى ، والباقي أفضل من الفاني المنقضي فمالوا عن الحياة الدنيا ، وولوا وجوههم شطر الآخرة ولكن قصر هؤلاء أيضاً ، إذ لم يطلبوا الخير المطلق وإن قنعوا عما هو أحسن من الدنيا

وأما خواص الخواص ، وهم أولو البصيرة ، فقد عرفوا أن ذلك ليس بالخير المطلق ، وأن كل ما دونه من الآفلين ، والعاقل لا يحب الآفل ، ودروا أن الدنيا والآخرة مخلوقان ، وأن أكثرها شهوة استوى فيها البهائم والأناسي وهذه مرتبة لا تنبغي لهم والله مالك يوم الدين ، وله ملكوت الدنيا وهو خالقها ، وهو خير وأعلى وقد كشف عن هؤلاء غطاء قوله « والله خير وأبقى » ، واختاروا مقامَ « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » ، وآثروه على مرتبة « إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون » ، بل أدركوا حقيقة لا آله إلا الله ، وعرفوا

---

(١) نقلت الى العربية النص الذي أثبته الأستاذ الفاضل جلال الدين الهمائي في كتابه (غزالي نامه) طبعة طهران سنة ١٣١٨ الشمسية (ص ١٩٠-٨) ، فانه أكمل وأتم وأصح ، وفى الرسالة طائفة من الآيات والأحاديث وقليل من الجمل العربية « المترجم »

أن الآدمي عبد ما قيد به نفسه ، وأنه الهه ومعبوده « أفرأيت من اتخذ الهه هواه » ومقصود كل نفس معبودها ، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تعس عبد الدراهم فمن كان مقصوده غير الله ، فتوحيده غير تام ، وهو من الشرك الخفي غير مرئي وقد قسم هؤلاء كل ما في الوجود قسمين متقابلين : الله ، وما دونه وهما كـكفتي ميزان جعلوا قلوبهم لسانه فلما وجدوا طبعهم يميل طوعاً مع الـكفة الراجحة ، قالوا : قد ثقلت موازين الحسنات ، وأيقنوا أن ما لم يوفه هذا القسطاس لا يزنه الميزان يوم الحساب

وحال الطبقة الثانية عند الطبقة الثالثة ، هو مثل حال الطبقة الأولى لدى الطبقة الثانية : عوام لا يفهمون قيلهم ، ولا يدرون أن من نظر الى وجه الله تعالى بالحقيقة حسن وجهه

وقد دعاني صدر الوزارة ـ بلغه الله أعلى المقامات ـ من المحل الأدنى الى المرتبة العلية ، فأنا أدعوه من مقام الطبقة الأولى وهو أسفل السافلين . إلى أعلى عليين وهو مقام الطائفة الثالثة ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من أحسن إليكم فكافئوه وأنا لم أصب سبيلا الى جزائه ومكافأته ، فقد عجزت عن اسعافه بالإجابة فلهي لي أمر السفر من حضيض درجة العوام إلى علو درجة الخواص والطريق إلى الله واحدة من طوس وبغداد وسائر البلاد ، ولـكن بعضها أقرب من بعض ولـكن ليست تلك الطرائق الثلاث إلى الله تعالى سواء ثم ليعرف حق المعرفة أنه لو ترك فرضاً من الفروض التي أوجبها الله تعالى ، أو ارتكب ما حضره[1] الشرع ، أو لذ النوم وفى البلاد مظلوم واحد يتململ من السقام ، فما درجته إلا حضيض المقام الأول وهو من أهل الغفلة ، أولئك هم الغافلون ، لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون أسأل الله تعالى أن يقظه « كذا » من نوم الغفلة لينظر فى يومه لغده قبل أن يخرج الأمر من يده

عدنا إلى حديث مدرسة بغداد ، وعذر التقاعد عن امتثال إشارة صدر الوزارة أما العذر فان الخروج من الوطن لا يلتمس إلا ابتغاء زيادة دين ، أو طلب زيادة دنيا أما الدنيا فقد زال طلبها من القلب والحمد لله تعالى فاذا أتوا ببغداد الى طوس وهيأوا أسباب الملك والمملكة للغزالي ، وأسلموها إليه ، والتفت اليها ، كان ذلك من ضعف الايمان ، فالليل من نتائجه وأما

---

(١) المجلة : كذا ، وانما هو بالظاء

زيادة الدين ، فإنه يستحق الحركة والأطلاب ولا ريب أن افاضة العلم هنالك أيسر ، وأسبابه أوفر ، وطلابه أكثر ولكن العذر أن السفر يوجب خللاً في الدين لا تسده هذه الزيادة ، فان هاهنا نحو مئة وخمسين محصلا متورعاً مشغولون[1] بالاستفادة ، ونقلهم واعداد وسائلهم متعذر ، وتركهم وكسر قلوبهم والسفر لكثرة نظائرهم فى مكان آخر لا رخصة فيه ، مثل ذلك كمثل رجل يكفل عشرة أيتام ثم يعدل عنهم ليتعهد عشرين في موضع آخر والموت والآفات فى طلبه

ثم إنني كنت فرداً لما دعاني الصدر الشهيد نظام الملك ـ قدس الله روحه ـ الى بغداد ، لا أهل ولا بنون وقد بليت بالأهل والولد ، ولا يجوز اغفالهم وكسر قلوبهم

والعذر الثالث أنني نذرت لما وصلت إلى ربة الخليل عليه السلام سنة ٤٨٩ هـ ، أي قبل خمس عشرة سنة تقريباً ، ألا أقبل مالاً من سلطان أو سلطاني ، وألا أخرج للسلام على سلطان أو سلطاني ، وألا أناظر فاذا نقضت هذا النذر ، ضاع الوقت ، وانصرف القلب ، ولم أستطع شيئاً من أعمال الدنيا والدين ولابد من المناظرة في بغداد ، ولا مناص من السلام على دار الخلافة بها ، وأنا لم أمثل للسلام على أحد فى بغداد منذ رجعت من الشام ، ولم أتصرف في أي شغل ، واجتنبت الاعتزال واذا توليت أمراً لم أستطع الحياة سالماً ، فالباطن حينئذ ينكر الازواء

وأعظم هذه المعاذر أنني لا أقبل مالا من السلطان ، وليس عندي فى بغداد ملك ، وباب المعيشة موصد وعند هذا الحقير ضُيَيْعَة فى طوس تكفي هذا الضعيف وأطفاله جميعاً بعد المبالغة في الاقتصاد والقناعة واذا غبت ، قصرت عن ذلك وهذه المعاذر جميعاً دينية ، وهي لدي جليلة وإن ظنها أكثر الناس يسيرة

وقد بلغت غاية العمر وهذا ـ على كل حال ـ وقت الوداع للفراق ، لا وقت سفر العراق أؤمل من مكارم أخلاقك قبول هذا الاعتذار فظُنَّ أن الغزالي قدم بغداد ، وأتاه أمر الله ، ألا يجب اعداد مدرس آخر ؟ فاعمل هذا اليوم والسلام زين الله تعالى صدر العالم بحقيقة الايمان التي هي وراء صورة الايمان ، ليعمر العالم به ، والحمد لله حق حمده ، وصلاته على نبيه وآله وسلم » اهـ .

---

(١) المجلة : كذا .

وقد ذكر فى سيرة أبي الفتوح أحمد الغزالي أنه ناب عن أخيه فى التدريس بالنظامية ويظهر أن هذا الأمر غلط ، فإن الغزالي لم يشر الى مثل ذلك

وقد درس ـ غير الإمام الغزالي ـ جماعة كثيرة من كبار علماء الإسلام ، هذه أسماؤهم بحسب تواريخ وفياتهم مستمدة من المصادر والمراجع والأصول التي عثرنا عليها واستقصينا فيها

أما المدرسون فهم :

١ ـ الإمام عبد السيد أبو نصر محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر البغدادى المعروف بابن الصباغ المتوفى سنة ٤٧٧ هـ .

٢ ـ أبو سعيد عبد الرحمان بن محمد النيسابورى المعروف بالمتولي شيخ الشافعية المتوفى سنة ٤٧٨ هـ

٣ ـ أبو القاسم علي بن أبي يعلى زيد بن حمزة بن زيد العلوي الحسيني الدبوسي المتوفى سنة ٤٨٢ هـ

٤ ـ أبو إسحاق جمال الدين ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزآبادي المتوفى سنة ٤٩٦ هـ

٥ ـ أبو زكريا يحيى بن علي الشيباني اللغوى المعروف بالخطيب التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ كان من مدرسي النظامية ، وهو أول خزنة دار الكتب فيها

٦ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبرى الفقيه الشافعي المعروف بالكيا المتوفى سنة ٥٠٤ هـ

٧ ـ الإمام زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، الذى قدمنا أنه لبث فى بغداد أربع سنين أيام سفره حاجاً من سنة ٤٨٤ إلى ٤٨٨ هـ ، ودرس فى المدرسة النظامية

٨ ـ أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر القفال الفارقي الشاشي المعروف بفخر الاسلام المستظهرى ، أو صاحب المستظهرى المتوفى سنة ٥٠٨ هـ ، وقد رتب مدرساً في النظامية سنة ٥٠٤ هـ

٩ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن علي الفصيحي الاسترابادى المتوفى سنة ٥١٦ هـ

١٠ ـ أبو الفتح أحمد بن علي المعروف بابن البرهان الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ

١١ ـ أبو الفتوح أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي المتوفى ٥٢٠ هـ ، الذى ذكرنا أنه قيل إنه استنيب في التدريس بالنظامية عن أخيه الإمام محمد ، لكن هذه الرواية تبدو ضعيفة

١٢ ـ أبو سعيد المروزىّ مؤلف التعليقة المتوفى سنة ٥٢٧ هـ

١٣ ـ الحسن بن سليمان بن عبد الله بن الفتى الهمداني لم أعثر على تاريخ وفاته إلا أن أباه توفي سنة ٤٩٣ هـ

١٤ ـ أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني الفقيه المتوفى سنة ٥٣٥ هـ .

١٥ ـ موهوب بن أحمد بن الحسن بن الخضر الجواليقي البغدادى المتوفى سنة ٥٣٩ هـ

١٦ ـ أبو منصور سعيد بن محمد البغدادى الشافعي المعروف بالرزاز المتوفى سنة ٥٣٩ هـ

١٧ ـ محمد بن عبد اللطيف الخجندى الواعظ صدر العراق المتوفى سنة ٥٥٢ هـ

١٨ ـ أبو النجيب عبدالقاهر بن عبد الله السهروردىّ القرشي البكرى المتوفى سنة ٥٦٣ هـ

١٩ ـ أبو طالب المبارك بن أبي البركات المبارك الكرخي الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٥٨٥ هـ ، كان مؤدب أولاد الناصر لدين الله ، وقد رتب مدرساً للنظامية في ٩ صفر سنة ٥٨١ هـ .

٢٠ ـ أبو منصور أسعد بن نصر بن سعد النحوى العبرني الفقيه المتوفى سنة ٥٨٩ هـ

٢١ ـ أبو القاسم محمود بن المبارك الواسطي البغدادىّ الشافعي المتوفى سنة ٥٩٢ هـ

٢٢ ـ الإمام أبو الفرج عبد الرحمان بن علي البغدادىّ التيمي البكرى المعروف بابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

٢٣ ـ أبو علي يحيى بن الربيع بن سليمان العمرى الواسطي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ كان معيداً بالنظامية ، ثم رتب مدرساً فيها

٢٤ ـ أبو العباس أحمد بن هبة الله بن العلاء بن المنصور المخزومي النحوى المعروف بالصدر ابن الزاهد المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .

٢٥ ـ أبو بكر المبارك بن المبارك بن سعيد بن الدهان الضرير النحوي الواسطي القارىء الشافعي المعروف بابن الدهان المتوفى سنة ٦١٢ هـ

٢٦ ـ أبو زكريا يحيى بن القاسم بن الفرج بن الوزع بن الخضر بن الحسن بن حامد الثعلبي التكريتي المتوفى سنة ٦١٦ هـ

٢٧ ـ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان البغدادى ، كان ميلاده سنة ٥٦٨ هـ ، وتوفي في شوال ٦٣١ هـ

٢٨ ـ أبو العباس أحمد بن الثبات الهمامي الواسطي المتوفى سنة ٦٣١ هـ كان مدرساً في النظامية مدة أربع سنوات

٢٩ ـ عماد الدين أبو بكر محمد بن يحيى السلامي المعروف بابن جبير المتوفى سنة ٦٣٩ هـ ، رتب مدرساً سنة ٦٢٦ هـ

٣٠ ـ اسماعيل بن عبد الرحمان الزبيدى المتوفى سنة ٦٤١ هـ .

٣١ ـ القاضي نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشافعي الفرضي المتوفى سنة ٦٥٥ هـ .

٣٢ ـ شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني ، ولد سنة ٥٧٣ هـ وتوفي سنة ٦٥٦ هـ قرأ في النظامية ، ثم عين مدرساً بها ، وعزل سنة ٦٢٦ هـ ، فرتب ابن جبير مكانه

٣٣ ـ عز الدين أبو العز محمد بن جعفر البصرى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، عين مدرساً بعد فتح هولاكو لبغداد

٣٤ ـ نور الدين أبو التبيان أو البيان عبد الغني الحلبي المتوفى سنة ٦٨٧ هـ ، رتب مكان مجد الدين علي بن جعفر

٣٥ ـ شمس الدين محمد الكيشي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ ، رتب مدرساً سنة ٦٦٥ هـ

٣٦ ـ أبو علي علي بن منصور بن عبيد الله الخطيبي الأصفهاني البغدادى المعروف بالأجل اللغوى ، ولد سنة ٥٤٧ هـ ، قرأ في النظامية ، ثم رتب مدرساً لها

٣٧ ـ أبو محمد عبيد الله البادرائيّ ، ولي التدريس سنة ٦٣٩ هـ

٣٨ ـ نصير الدين الفاروثي ، رتب مدرساً سنة ٦٧٢ هـ

٣٩ ــ مجد الدين علي بن جعفر ، درس في النظامية حتى سنة ٦٨٢ هـ ، ثم رتب مدرساً في المدرسة البشيرية

٤٠ ــ مجد الدين محمد بن أبي العز ، رتب للتدريس سنة ٦٨٧ هـ

ولم أعثر على تواريخ وفيات الخمسة الأواخر

أما وعاظ المدرسة النظامية الذين ذكر ذلك فى سيرهم وأخبارهم ، فهم :

١ ــ الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن الإمام زين الإسلام أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى المتوفى سنة ٥١٤ هـ وقد قدم أنه كان واعظاً فى النظامية سنة ٤٦٩ هـ ، وكان من نتائج مواعظه وقوع الفتنة المقدمة الذكر

٢ ــ أبو حامد محمد بن مهر النوادى الطوسي الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٥٦٧ هـ

٣ ــ أبو الخير أحمد بن اسماعيل الطالقانى الشافعي القزويني المتوفى سنة ٥٩٠ هـ

ومن (خزنة دار الكتب فى المدرسة النظامية) غير أبي زكريا الخطيب التبريزى الذى قدمنا ذكره :

أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن عبد الباقي بن البكرى المتوفى سنة ٥٧٥ هـ

أما المعيدون فى المدرسة النظامية ، فقد وقع إلي من أسمائهم :

١ ــ محمد بن هبة الله بن عبد الله السلامي الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٥٧٤ هـ

٢ ــ أبو العز بهاء الدين يوسف بن رافع الأسدى الحلبي الشافعي المعروف بابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ، الذى قدمنا أنه كان من طلاب النظامية أولا

٣ ــ أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن الرشيد البغدادىّ الشافعي الواعظ الفقيه ناظم الورية المتوفى سنة ٦٦٢ هـ

٤ ــ أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن حمدان ، ولد سنة ٥٧٣ هـ ، ولم أعثر على تاريخ وفاته

ومن تلاميذ المدرسة النظامية ببغداد فئة من مشاهير الإسلام برع كل واحد منهم فى علم وقد درس فيها أيضاً الشاعر المعروف أستاذ الغزليين فى ايران مشرف الدين بن مصلح الدين

السعدى الشيرازى وقد أشار هو أنه قرأ فى المدرسة النظامية ببغداد ، وتعلم الخطابة من أبي الفرج بن الجوزى وقد أخطأت طائفة من الذين ذكروا سيرته ، فظنوا أن شهاب الدين السهروردى العارف المشهور كان من مدرسيه فى المدرسة النظامية ، وهذا غلط فلم يفرقوا بين شهاب الدين المقدم ذكره وخاله أبي النجيب فان العارف شهاب الدين السهروردى – وان كان مقيما ببغداد – لم يدرس بالمدرسة النظامية ، ولا تشير المراجع المعتمد عليها إلى ذلك ولكن أصحابه كانوا يتحلقون حوله فى رباطه ببغداد ، ويذكر الدروس هناك وإذا كان قرأ سعدى عليه وتعلم منه ، لم يكن ذلك فى المدرسة النظامية ألبتة

ومن الذين جاء فى سيرهم أنهم تعلموا فى النظامية ببغداد :

١ – أبو اسحاق ابراهيم بن يحيي الكلبي الغزّى الشاعر المعروف المتوفى سنة ٥٢٣ هـ

٢ – أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ

٣ – أبو الفضل رضي الدين يونس محمد بن منعة الموصلي الشافعي المتوفى سنة ٥٧٦ هـ

٤ – أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد الشافعي الأنبارى المعروف بالعبد الصالح وأبن الأنباري الأديب المشهور المتوفى سنة ٥٧٦ هـ

٥ – عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الأصفهاني الشافعي المعروف بالعماد الكاتب المؤرخ المشهور المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

٦ – علاء الدين محمد بن يونس الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٦٠٨ هـ

٧ – أبو العز بهاء الدين يوسف بن رافع الأسدى الحلبي الشافعي المعروف بابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ، الذى درس فى النظامية ثم عين معيداً بها

٨ – بهاء الدين زكريا بن وجيه الدين محمد بن كمال الدين عليشاه القريشي الملتاني العارف الهندى المشهور المتوفى سنة ٦٦٥ هـ

٩ – أبو علي علي بن منصور بن عبيد الله الخطيبي البغدادي الأصفهاني المعروف بالأجل اللغوي ، ولد سنة ٥٤٧ هـ وقد رتب مدرساً من بعد

١٠ – محمود بن أحمد بن محمود الزنجاني ، ولد سنة ٥٧٣ هـ

١١ ـ نجم الدين البادرائي ، ولد سنة ٥٧٣ هـ

١٢ ـ الشيخ الأجل مشرف الدين بن مصلح الدين السعدي الشيرازيّ المتوفى سنة ٦٩٤ هـ.

١٣ ـ بهاء الدين أبوطالب سعد بن اليزدي الصوفي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ

١٤ ـ عز الدين عبد السلام بن كبوش البصري الشاعر المتوفى سنة ٦٧٥ هـ

مراجع تأريخ المدرسة النظامية

١ ـ روضة الصفا ٢ ـ الكامل لابن الأثير ٣ ـ حبيب السير ٤ ـ آثار الوزراء للعقيلي ٥ ـ العراضة في حكايات السلجوقية ٦ ـ تجارب السلف ٧ ـ مرآة الجنان لليافعي ٨ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ٩ ـ عمران بغداد للسيد محمد صادق الحسيني ١٠ ـ مختصر تاريخ بغداد لعلي ظريف الأعظمي ١١ ـ رحلة ابن بطوطة ١٢ ـ رحلة ابن جبير ١٣ ـ جوامع الحكايات ولوامع الروايات للعوفي ١٤ ـ بحيره يغزوني الاسترابادي ١٥ ـ الحوادث الجامعة لابن الفوطي ١٦ ـ المنقذ من الضلال للامام الغزالي ١٧ ـ معجم الأدباء لياقوت ١٨ ـ محاسن أصفهان للمافروخي ١٩ ـ تاريخ كزيده لحمد الله المستوفي ٢٠ ـ دمية القصر للباخرزي ٢١ ـ تاريخ آل سلجوق للعماد الكاتب ٢٢ ـ بغية الوعاة للسيوطي ٢٣ ـ طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي ٢٤ ـ دول الاسلام للذهبي

1. Henri Masse – Essai sur le poete Saadi.
2. G. le Strange Baghdad During the Abbasid Caliphate.
3. Wustenfeld - Die Ahademien der Araber.
4. Arminyon Lenseignement dans les Universites Musulmanes.

سعيد نفيسي

ترجمة

حسين علي محفوظ

باب الكتب

مجالس ثعلب

تاليف ابي العباس أحمد بن يحيى المنبوز بثعلب « ٢٠٠ – ٢٩١ » هـ.

عدة ورقه ٣٣٣ ورقة ، ومقدمته وتقدمه فى ١٣ ورقة ، وفهارسه ومستدركه في ٧٤ ورقة من الورق النفيس بالطابع المشكول الأنيق نشرته دار المعارف بالقاهرة ، أول ما أجمعت نشره من ذخائر العرب ، وشرحه وحققه بين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٤٩ الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، أحد المدرسين في كلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالإسكندرية في جزءين أحدهما يشمل سبعة مجالس ، والآخر أربعة مجالس والفهارس والمستدرك

مجالس ثعلب ، وتعرف أيضاً بأمالي ثعلب ، من أصول كتب الأدب العربية ، لقدم عصره ، وبراعة مؤلفه في الأدب ، وكثرة فوائده . وقد أحسنت دار المعارف الاختيار في جعله أول مطبوعاتها من ذخائر العرب في الأدب ، ووفقت في ندب الأستاذ المحقق عبد السلام محمد هارون لشرحه وتحقيقه فهو من الكفاة الأقلاء فى القيام بهذا العمل الأدبى ، والمحققين الثقات ، وهو الذى تولى إخراج « كتاب الحيوان » للجاحظ بحلته الجميلة وهيأته الرائقة وإخراجه لمجالس ثعلب بهذا التحقيق الواسع والتحري الكامل والمجهود الوافى والبحث الكامل ، من أجل المساعي الأدبية ، وأبعدها همة ، وأكثرها عائدة والذى عالج طبع المخطوطات النادرة وعاناه ، يستطيع أن يقدر المجهود الذى بذله الأستاذ الهارو ني فى تأبير هـذا الكتاب والتعليق عليه وقد يتاح له من يعثر على سهو فى الكتاب أو غفلة أو وهمة ، ولكن ذلك كالقطرة بالاضافة إلى البحر ، فلا يعني أنه ساواه ، ولا أنه داناه أو طار بساحته ، وانما دليل العلم مباشرة الطبع والإخراج

وقد قرأنا هذه المجالس الأدبية الرائقة ، وأفدنا منها فوائد جزيلة ، وبعثتنا على التفكير في المواضع المستبهمة منها إرادة أن نطلع على حقائقها ، وعلى المواضع المشكلة رجاء أن نتبين جلاءها

وقد فطن المصحح الفاضل لزيادات زيدت فى الكتاب ، وذكر ذلك فى الصفحة الخامسة والعشرين من المقدمة وفى ص ٥٤٧ ، فالجزء الذى أوله هذه الصفحة وآخره ص ٥٧٩ هو من المروى عن أبي عمرو إسحاق بن مرار الشيبانى صاحب كتاب النوادر وغيره وشيخ الإمام أحمد بن حنبل

والنسخة التي طبعها الأستاذ الهاروني مؤوفة ، ولذلك بقيت منها مواضع تستحق العراض وأخرى مسترمة ، وغيرها تدعو إلى التقويم وقد استطعنا أن نجد نقلاً من أمالي ثعلب هذه ، لم يظفر بها الأستاذ الشارح ، وهو الخبر الخاص بالحكمين فى دومة الجندل ، الجائى فى ص ٤٧٧ من الكتاب ، وبذكرنا شيئاً منه يمكن القارىء أن يتخذ مقياساً لسائر المطبوع من الكتاب ، فقد ذكر هذا الخبر أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » (١٠٧/٢) قال ثعلب : « وحكى [بعض] أصحابنا ، قال : قال معاوية لعتبة يوم الحكمين ، يا أخي أما ترى ابن عباس قد فتح عينيه ونشر أذنيه » وقال ابن أبي الحديد : « وروى أبو العباس أحمد بن يحيي ثعلب في أماليه أن عمرو بن العاص قال لعتبة بن أبي سفيان يوم الحكمين : أما ترى ابن عباس قد فتح عينيه ونشر أذنيه » فالقائل لعتبة هو عمرو بن العاص لا معاوية كما فى المطبوع من أمالي ثعلب ، يؤيد ذلك ما ورد فى المطبوع نفسه من قول عتبة ، وهو : « قال [عتبة] فجئت فقربت من عمرو بن العاص ، فرماني بمؤخر عينه ، أي ماصنعت ؟ فقلت له : كفيتك التقوالة » فقد خفي اسم معاوية ، وفى ذلك دلالة على التصرف بالنسخة المطبوعة تصرفاً قديم الزمان

وجاء فى أمالي ثعلب المطبوعة فى آخر الخبر ما هذا نصه : « وجاءت ابن عباس أول الكلام فكرة أن يتكلم في آخره » ، وهو ضد الذى حدث ، وضد المعقول والذى نقل ابن أبي الحديد : « وفات ابن عباس أول الكلام ، فكره أن يتكلم فى آخره » فانظر الى تصحيف « فات » الى « جاءت » ، « وفكره » من حرف العطف « الفاء » والفعل « كره » الى « فكرة » ! وهذا أمر

لا يحتاج الى فضل بيان ـ أعني صحة المذكور فى شرح نهج البلاغة ـ لأنه المعقول والمشهود

وقد عنت لنا ملحوظات فى أثناء قراءتنا الكتاب نذكرها ها هنا ، لعل فيها فائدة لقراء الكتاب :

١ ـ جاء فى ص ٢ من الكتاب فى نسب « أبى الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب الحراني » الحافظ المشهور أن من أجداده « صدقة بن الحسين » والنقل من وفيات الأعيان المطبوع بمصر ، والصحيح أنه « صدقة بن الخضر » كما جاء في ذيل تأريخ بغداد لأبي عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي ، بنسخة دار الكتب الوطنية بباريس والجامع المختصر لعلي بن أنجب المعروف بابن الساعي ٢٦/٩ وتأريخ الاسلام للذهبي بنسخة باريس والوافى بالوفيات للصفدى بباريس أيضاً وغير ذلك ، ونحن أعرف من غيرنا برجال العراق ، والوهم من طابع وفيات الأعيان لامن المصحح الفاضل ، بَيْدَ أنه فى غاية اليسر

٢ ـ وجاء فى ص ٤ منه ذكر « القاسم بن معن » فقال الأستاذ الشارح : « ذكره ابن خلكان عرضاً فى ترجمة ابن الأعرابي فقال : القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الذى ولاه المهدى القضاء » اهـ قلنا : نحن ندل الشارح الفاضل على ترجمة له فى كتاب سهل التناول ، وهو فهرست ابن النديم ، فقد قال فى ص ١٠٣ من الطبعة المصرية : « خبر القاسم بن معن ، اقتضاه هذا المكان فذكرته ، لأن أبا عبد الله بن الأعرابى أخذ عنه » وذكر له ترجمة حسنة فى أربعة عشر سطراً ، وهو مذكور عرضاً فى ترجمة أبي عبيد من تأريخ بغداد للخطيب ٤١١/١٢

٣ ـ وجاء فى ص ٥ « ويقال أنه يستودف الخبر ويستقطره » وفى أساس البلاغة طبعة دار الكتب المصرية : « وفلان يستقطر الخبر : يناله شيئاً بعد شيء » وأنا أرى أن الصحيح ما ورد فى أمالي ثعلب ، فهو « الخبر » بالباء لا « الخير » بالياء ، ومما يدل على تصحيف ما ورد فى الأساس قول الزمخشرى نفسه في مادة « وكف » منه : « ومن المجاز : فلان يتوكف الأخبار ، نحو يستقطر الأخبار وقوله فى مادة « درك » : « وتداركت الأخبار وتلاحقت وتقاطرت » . وفى ذلك دليل على أن التقاطر والاستقطار يليقان بالخبر

٤ ـ وفى ص ٨ خبر لرجل رام من بني مرينة ، وذكره المبرد فى الكامل ـ كما فى ١/٦١ من طبعة الدلجموني ـ ولم يشر المصحح الفاضل الى ذلك ، مع أن فى نقل الخبر بعض الاختلاف ، جاء فى أمالي ثعلب :

ألم تسل الفوارس من سليم بنضلة وهو موتور مشيح

وفى الكامل :

ألم تسل الفوارس يوم غول بنضلة وهو موتور مشيح

قال المبرد قبل ذكره الشعر : « وقال نضلة السلمي فى يوم غول ، وكان حقيراً دميماً ، وكان ذا نجدة وبأس »

وفى أمالي ثعلب :

رأوه فازدروه وهو خرق وينفع أهله الرجل القبيح

وفى الكامل :

رأوه فازدروه وهو حُر وينفع أهله الرجل القبيح

٥ ـ وفى ص ١٠ أبيات من الرجز ورد شطران بل ثلاثة منها فى مادة « قزح » من أساس البلاغة وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٤٧٧ ، ولكن المصحح لم يشر الى ذلك ، ففي أمالي ثعلب :

م خزرت العين من غير عور وجدتني ألوى بعيد المستمر

وفى الأساس :

إذا تخازرت وما بي من خزر ثم كسرت العين من غير عور
ألفيتني ألوى بعيد المستمر أحمل ما حملت من خير وشر

وكذلك فى شرح النهج ، وفى الأمالي : « مناع ما أعطيت من خير وشر »

٦ ـ وجاءت فى ص ١٤ قصة ابن قادم والمأمون واعتراض الخليفة على كتابه الأول : « وهذا المال مالاً من حاله كذا » وقد ذكرت القصة فى ترجمة ابن قادم فى معجم الأدباء ١٥/٧ من طبعة مرغليوث ، بالتفصيل ، وكذلك فى « صبح الأعشى » للقلقشندى

١٦٨/١ ولم يشر الأستاذ الى شيء من ذلك

٧ ــ وفى ص ٢٦ــ٢٧ خبر لابن هرمة الشاعر مع الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالحجاز ، جاء فيه أن الحسن قال لمولاه هيثم : « يا هيثم ، بع أبن أبي مضرس من تمر الخانقين بمائة وخمسين دينارا » فعلق المصحح الفاضل على الخانقين بما صورته « خانقين بلدة من نواحي السواد فى طريق همذان من بغداد بينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ ياقوت » وقد وهم الأستاذ فى حسبانه الخانقين المذكورة فى الخبر ، خانقين سواد العراق ، فلم يكن الحسن بن زيد إذ ذاك هناك ، ولا كان له نخل فى تلك الناحية ، وإنما « الخانقان » موضع بالمدينة المنورة ، قال ابن عبد الحق فى مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع : « الخانقان : موضع بالمدينة ، وهو مجمع لمياه أوديها الكبار الثلاثة : بطحان والعنق والقناة »

٧ ــ وجاء فى ص ٢٧ أبيات لابن هرمة أربعة ، ذكر منها بيتان فى ترجمة « محمد بن عبد الله » النفس الزكية من « مقاتل الطالبيين » ، ولكن المصحح لم يومىء إلى ذلك . وفى أمالي ثعلب منها « إذا القتام تغشى أوجه الهجن » ، وفى المقاتل « إذا القتام يغشى أوجه الهجن »

٩ ــ وفيها أيضاً : « قال : لا والله ، بأبي ولكن الذى أقول لك » والسياق والمعنى يقتضيان « لا والله ، بأبي أنت ... »

١٠ ــ وفى ص ٣٥ خبر لخالد بن صفوان جاء فيه : « فلما كان الغد ركب برذوناً هملاجاً ... فرمع برذونه » فعلق الأستاذ الهاروني قوله « زمع زمعاً وزمعاناً : أبطأ فى مشيته » وهذا ضد ما يسير البرذون المهلاج ونقيض ما أريد بالخبر ، والصحيح « فرمع » بالراء لا بالزاي ، وفى القاموس : « رمع ... وفلان رمعاً ورمعاناً : سار سريعاً »

١١ ــ وجاء فى ص ٤٢ قول قائل : « فاذهب بنا ننظر فى ديارها ونقفو آثارها » برفع « ننظر » و « نقفو » ، والوجه فى الأول الجزم بجواب الطلب ، والثانى يحسن فيه الجزم ويرجح على النصب والاستئناف وترك الجزم فى « ننظر » يجعل جملته حالية مع كونها غير مشروع فى فعلها ، وذلك غير الواقع ، والاعراب تابع للمعنى كما هو معلوم

١٢ ــ وجاء فى ص ٤٦ : « واستب بعدك يا كليب المجلس » قال الشارح : « من بيت

لمهلهل كما فى الأمالي .. » يعني أمالي القالي ، وذلك صحيح على أنّ الأبيات وردت فى أمالي ثعلب ص ٦٥٢ ، وكان حرياً بالإحالة على موضعها منها

١٣ ـ وفيها قول النبي صلى الله عليه وسلم لزيد : « أنت مولانا » . فحجل أي قفز من الفرح ، وتمام الخبر فى شرح نهج البلاغة ٣٩/٣ ؛ ولم يشر الأستاذ إلا إلى الاصابة

١٤ ـ وجاء فى ص ٤٧ قول الأعشى :

إلى رجل منهم أسيف كأنما يضم إلى كشحيه كفا مخضّبا

قال فى التعليق : « البيت للأعشى من قصيدة فى ديوانه ... وانظر اللسان ... » قلنا : وذكره المبرد فى الكامل ١٩/١ قال : « والأسيف يكون الأجير ؛ ويكون الأسير ؛ فقد قيل فى بيت الأعشى :

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما يضم إلى كشحيه كفاً مخضبا

المشهور أنه من التأسف لقطع يده ، وقيل : بل هو أسير قد كبلت يده ، ويقال قد جرحها الغل والقول الأول هو المجتمع عليه

١٥ ـ وفى ص ٤٨ قال أبو العباس : فاعلت وفعللت وأفعلت ، كله يجيء بالضم فى الاستقبال فيقولون : أفعل وُيفعل ، فيحذفون الهمزة استثقالاً ، وربما جاؤوا بالأصل ... » وقد ضبط « أفعل » بفتح الهمزة والعين ، والصواب ضم الهمزة وكسر العين ، لا نه أراد الفعل الرباعي المسند الى المتكلم الواحد ، ليدل على الضم وحذف الهمزة ، فإن الابقاء عليها فى « أفعلتُ » الماضي يجعله فى المضارع « أ أفعل » بضم الأولى وفتح الثانية ، فيثقل اللفظ على اللسان ، وللاستثقال حذفت الهمزة الزائدة

١٦ ـ وجاء فى ص ٧٥ قول بعضهم :

فلا تذهباً عيناك فى كل شرمح طوال ، فانّ الأقصرين أمازره

فقال الشارح الفاضل فيما قال من التعليق : « والأمازر جمع مزير مثل أفيل وأفائل ؛ والبيت فى اللسان .. »

قلنا : ذكر الزمخشري البيت فى أساس البلاغة بعد قوله « وهو من أمازر الناس : من أفاضلهم »

ودل بذلك على أن الأمازر جمع الأمزر كالأفضل والأفاضل ؛ إلا أن الذي ذكره الأستاذ الهاروني وارد في الصحاح ؛ قال : « والجمع الأمازرمثل أفيل أفائل » . وهذا وهم من الجوهري ـ رحمه الله ـ فالأمازر على وزن « أفاعل » والأفائل على وزن « فعائل » والهمزة فيه من الأصل ، ومن هذا الجمع « أسائل » جمع أسيل و « تلائل » جمع تليل و « سدائل » جمع سديل و « مدائح » جمع مديح و « ضمائر » جمع ضمير و « نظائر » جمع نظير و « قدائم » جمع قديم و « عائن » جمع عين قال ابن الحاجب في « الشافية » : « وجاء أنصباء وفصال وأفائل وظلمان قليل » وقال الرضي الاستراباذي في شرحها ١٣٢/٢ : « وأما أفائل ونظائره ، فلحمل فعيل المذكر على فعيلة ذي التاء كما حمل فعيلة على فعيل المذكر في نحو صحف وسفن جمع صحيفة وسفينة »

١٧ـ وجاءت في ص ٨٦ وما يليها قصيدة بائية مضمومة منها :

فلما وضعناها أمام لبانه تبسم عن مكروهة الشّعل عاصب

وقد ضبط الشارح « عاصب » بضم الباء على الاقواء ، والأولى الجر بجعل « عاصب » صفة للمكروهة كالطالق والبالغ ، ولا يصح أن يكون ذو الضمير في « لبانه » غير « عاصب » حتى يكون فاعلاً لـ « تبسم » ، لأنك لا تقول « وضعنا الجفنة أمام زيد فتبسم عاصب » ، إلا اذا كان عاصب رجلاً آخر ، وليس بصحيح

١٨ ـ وجاء في ص ٩٨ قال أبو العميثل ، ولم يعلّق على ذكره شيئاً ، ولا نظنّهُ يجهله أبداً ؛ لأنه أديب شاعر مشهور ولذلك لا نتجاوز التنبيه على وجوب التنويه

١٩ ـ وجاء في تعليقة ص ١٠ : « فأما الكشكشة فأن يجعل ما بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئاً فيقول : رأيتكش ، في رأيتك » والذي ذكره المبرد أن هذا ابدال يكونُ بعد الوقف ، قال ١٧١/٢ : « قوله : تيامنوا عن كشكشة تميم ؛ فان بني عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شيئاً لقرب الشين من الكاف في المخرج وأنها مهموسة مثلها ، فأرادوا البيان في الوقف ، لأنّ في الشين تفشياً ، فيقولون للمرأة : جعل الله البركة في دارش ويحك مالش والتي يدرجونها يدعونها كافاً[1] والتي يقفون عليها يبدلونها

(١) مثل ما مر في البركة و « ويحك »

شيناً » ولعلّ الكسكسة تصحفت الى الكشكشة قال المبرد فى قول القائل : « وتياسروا عن كسكسة بكر » ما هذا نصه في الموضع نفسه : « وأما بكر فتختلف فى الكسكسة ، فقوم منهم يبدلون من الكاف شيناً كما يفعل التميميون في الشين وهم أقلهم ، وقوم يبينون حركة كاف المؤنث في الوقف بالشين فيزيدونها بعدها فيقولون : أعطيتكس » ولهذه اللهجات فضل شرح في درّة الغواص وشرحها

٢٠ ـ وجاء فى ص ١٠١ « قال : وسمعت ابن هرمة ينشد هارون » قال الشارح : « كذا وردت هذه العبارة في الأصل والخزانة والخصائص أيضاً ، ولم ينتبه ابن جني الى ما فيها من استحالة ، وهذا يرجح أنّ اسم القائل ساقط فى هذا الموضع وسابقه ، ولعل القائل هنا هو الكسائي المتوفى سنة ١٨٢ هـ ، وهو أستاذ الفراء » قلنا : لم يؤثر عن الكسائي مثل هذا من وصف الشعراء أو ذكر أخبارهم ، وانما أثر عن الأصمعي وأشباهه ، فالقائل هو الأصمعي ، قال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (ص ٢٨٩) من الطبعة المصرية : « حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي أنه قال : ساقة الشعراء ابن ميّادة وابن هرمة ورؤبة وحكم الخضري ـ حي من محارب ـ ومكين العذري ، وقد رأيتهم أجمعين » فى قوله : « وقد رأيتهم أجمعين » دليل ما ذكرنا ويؤيده ما جاء فى الأغاني (٣٧٣/٤) من طبعة دار الكتب : « كان الأصمعي يقول : ختم الشعراء بابن هرمة والحكم الخضري وابن ميادة وطفيل الكناني وبكر العذرى » وقال ما يقرب من ذلك في الكتاب نفسه (٢٦٣/٥ـ٤)

٢١ ـ وجاء فى ص ١٣٠ :

والصلون حمس القتال ... والمانعون عورة المجفال

والوجه « والمانعون حوزة المجفال » قال الجوهري في الصحاح : « والحوزة الناحية ، وحوزة الملك بيضته » وفى أساس البلاغة : « فلان يحمي حوزة الاسلام » فالمنع أي الحفظ للحوزة لا للعورة

٢٢ ـ وفى ص ١٤ قول أحد الشعراء :

كأن رماحهم أشطان بئر ... بعيد بين جاليها جرور

وفتح الشارح النون من « بين » ويجوز فيه الضم على الفاعلية والتمكن ، ألا ترى أن ثعلباً نفسه قال ـ كما في (٣١٧) ـ : « لقد تقطع بينكم (بفتح النون) أي ما بينكم ، وبينكم بضم النون أي وصلكم »

٢٣ ـ وفي ص ١٤٥ كلام على تسهيل الهمزة المتطرفة منه « وقال الكسائي : يجوز أن ترد الى الواو ، هذا عطاؤك ، بالاشارة الى الواو وأخذت عطايك ، بالاشارة إلى الياء » والصحيح « هذا عطاوك » بالواو الصرف

٢٤ ـ وجاء في ص ١٩٤ : « وأنشد أبو العباس لأبي الخطاب عمر بن عيسى البهدلي ، قال أبو العباس : كان في عصر هارون الرشيد » وقال الأستاذ عبد السلام في التعليق : « لم أعثر له على ترجمة ، والبهدلي نسبة الى بني بهدلة ... » قلنا : هو عمرو بن عامر في نقل آخر ، يكنى بأبي الخطاب ـ كما ذكر في الأمالي ـ وكان راجزاً فصيحاً راوية ، أخذ عنه الأصمعي وجعله حجة وروى شعره ، فمن شعره :

أهدى إلينا معمر خروفا كان زماناً عنده مكتوفا (١)

٢٥ ـ وجاء في ص ١٩٦ ذكر البهدلي المذكور لعصاه وأنه يتوكأ عليها :

على ثلاث أرجل فيها عصل واحدة في كفه من الأسل

قال الأستاذ المصحح : « في الأصل : الأشل ، تحريف » بعد قوله « عني العصا التي يعتمد عليها وقد اتخذها من الأسل وهو شجر ، ويقال كل شجر له شوك طويل فهو أسل » قلنا : إن دقة الأسل وتأطره وقصره تمنع من اتخاذ العصي منه ، قال الزمخشري : « عنده غربال من الأسل ، وهو نبات دقيق الأغصان تتخذ منه الغرابيل بالعراق ، الواحدة أسلة ، وقيل للرماح الأسل على التشبيه » ولا يزال معروفاً بالعراق باسم « العسيل » بابدال العين من الهمزة مثل كثير من الألفاظ العراقية ، وتتخذ منه حُصُر جيدة فالظاهر من كلمة الشاعر هي « الأثل » بالثاء المفتوحة للضرورة وحقها التسكين

٢٦ ـ وجاء في ص ٢٠٨ لأبي زبيد الطائي يصف السبع :

(١) فهرست ابن النديم ص ٧٠ من الطبعة المصرية

كأنَّ أثواب نقاد قدرن له يعلو بخملتها كهباء أهدابا

قال ثعلب بعد شرح النقاد والأثواب المشبهة بها : « ويريد كهباء أهدابها » من قولك مررت برجل حُمُر آباؤه ومررت بقوم حمر الآباء ، ثم تقول حسن آباؤهم » قلت : الصحيح « كهباً أهدابها » بنصب « كهباً » وجمعه قياساً وسماعاً ، ولا يجوز « كهباء أهدابهـا » ولذلك مثل له ثعلب بقوله « حمر آباؤه » جمع أحمر ، ولـكن الشارح الفاضل صير « حمُر آباؤه » « حسن آباؤهم » فضاعت الفائدة من التمثيل ، وعلى اعتراف الشارح ألحقنا بذلك قوله « مررت بقوم حمر الآباء » ، فان العرب بجمل « القوم » بعد تقدمه فى الـكلام جمعاً أبداً ، فلا تقول « قوم حسن » ولا « قوم حسن الآباء » أما قوله « حســن آباؤهم » فيجري مجرى الفعل تقول « مررت بقوم حسن آباؤهم » فهم حسن آباؤهم ولذلك لم نعترض عليه وسنعود الى مثل هذا فى ٦٠

٢٧ ـ وجاء في ص ٢١٢ قول أحد الشعراء :

لقــــد علمت أمُّ الأديبر أنني أقول لها هُدّي ولا تذخرى لحمي

قال الشـارح : فى الأصل « أهدي » ، والصواب ما أثبت من اللسان ... وأساس البلاغة ... » قلنا : لقد ذكر هذا البيت فى الـكتاب عينه ص ١٥١ بصورته الصحيحة ، وقال الشارح هنـاك : « البيت لأبي خراش الهذلي ... » وقال ثعلب فى شرحه : « أهدي وهدّي واحد » فقول المصحح وتصحيحه لا باعث عليها

٢٨ ـ وفي ص ٢٢١ قول بعضهم :

أرفقة تشكو الجحاف والقبض جلودهم ألين من مس القُمص

ويليه « ويروى أرفعه » قال المصحح : « كذا في الأصل ، ولعلها أرفقة بوزن أفعلة ، ولم أجد لها سنداً في كتب اللغة والتصريف » قلنا : أما فى كتب اللغة المعروفة فلم يرد هذا الجمع ، وأما السند الصرفي فهو القيـاس : جمع رفقة على رفاق ، وجمعت رفاق على أرفقة ، فهو جمع الجمع واذا دخل الجمع في القياس ، فما في ذلك من بأس

٢٩ ـ وفي ص ٢٣١ قول أحدهم :

عددت للحوض إذا ما نصبا بكرة سيرى ومقاطاً سلهبـا

قال الأستاذ الهاروني في التعليق : « وأما سيرى فلم أوفق[1] الى صوابها » قلنا : هي « شيزى » ، والشيزى خشب أسود صلب ، ويستعار لفظه للجفان أحياناً ؛ لأنها تصنع منه ، كالذى ورد فى الأمالي ص ٨٧ :

وجئنـا بشيزى من حميز سيلة تداوى دخيل الجوع من كل ساغب

٣٠ ـ وجاء فى ص ٢٣٣ : « إنما يكون محرقاً » اسم مفعول مشدد الراء ، والمراد « محرقاً » بتخفيف الراء ، فان ثعلباً قال « يقال قد أحرق فهو محروق كما قالوا أديم مصحوب ... » وهو من « أصحبه » وغاية التمثيل استعارة اسم المفعول من الثلاثي لوضعه مكان اسم المفعول من الرباعي للضرورة ، ولـكن التمثيل هنا جرى على « أفعله » إفعالاً لا على « فعله » تفعيلاً

٣١ ـ وفى ص ٢٥٨ : « ويقال : ما رعيت إلا على نفسك ، أي ما أبقيت » والصحيح « ما أرعيت إلا على نفسك » على وزن « أفعلت » قال الجوهري : « وتقول : أرعيت عليه إذا أبقيت عليه ورحمته »

٣٢ ـ وفى ص ٢٧٠ :

أإن ذكرتك الدار منزلها جمل بكيت فماء العين مهمل سجل ؟

وجعلت « إن » شرطية ، وليس ذلك بالوجه ، بل الوجه « أن » المصدرية ، وتقدير الـكلام « ألأن ذكرتك » أو « أبأن ذكرتك » ، فهو من الأمور الواقعة ، ولذلك قال : فماء العين مهمل سجل » فنزول جمل لها ذكّره وبكى واهمل دمعه ، ولام وضع للشرط ، والإعراب تابع للمعنى كما ذكرنا من قبل ، وهو من نوع قول حسان :

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمِرة ولجام

وتقديره « تركهم من أجل أن لا يقاتل دونهم » ولـكن « أن » فى بيت الأمالي دخلت على الماضي ، وهذه على المضارع ، والعلة فى ذلك النفي ؛ لأن ذلك بكى لفعل قد حدث ، وهـذا هرب لـكي لا يحدث فعل من الأفعال .

(١) الصواب « لم أوفق لصوابها » فالتوفيق يتعدى الى الثاني باللام لا بإلى ، ولا يجوز أن تعاقب « إلى » اللام ، كما جاز العكس للتخفيف

ومنه قول الشاعر « أأن تذكرت من خرقاء منزلة » و « أأن هتفت ورقاء فى رونق الضحى »

٣٣ ــ وفى ص ٢٩٦ قول سامى بن عوية :

أو لم ترى لقمان أهلكه ما اقتات من سنة ومن شهر ؟

والوجه « ما افتات » من الفوت ، أى ما فاته من السنين والشهور ، وهو يحتمل الوجهين ، أعني رجع الضمير فى « افتاته » إلى لقمان ، ورجعه الى « ما » المفسرة بالسنة والشهر . قلنا ذلك لأن اقتيات السنين والشهور استعارة مستغربة فى كلام العرب

٣٤ ــ وفى ص ٣٠٤ قول بعضهم :

لم يبق إلا كل صغواء صغوة بصحراء تيه بين أرضين مجهل

وجاء فى الاصل أعني المتن « صغواء : مائلة ، صغوة صغيرة الرأس » قلنا : الصحيح « صعوة » بالعين المهملة ، قال مؤلف القاموس « وناقة صعوة : صغيرة الرأس »

٣٥ ــ وورد فى ص ٣١٠ :

تسلف الجار شرباً وهي حائمة والماء لزن بكي العين مقتسم

قال الشارح الفاضل : « التسليف فسره اللسان ... عند استشهاده بالبيت بأنه الإقراض ، وأراه من السلفة بالضم وهي اللهنة يتعجلها الرجل قبل الغذاء ، يقال : سلف القوم تسليفاً وسلّف لهم » قلنا : ياليت ذلك ممكن ، ولكن الفرق واضح عندهم بين أفعال الأكل وأفعال الشرب ، ألا ترى أن خالد بن عبد الله القسري مع تقدمه فى الخطابة وتناهيه فى البلاغة ، قال لما خرج عليه المغيرة بن سعد بالكوفة فى عشرين رجلاً فمطمطوا به : « أطعموني ماء » وهو على المنبر ، فعيره الناس ذلك ، وكتب اليه هشام بن عبد الملك رسالة يوبخه فيها ، وقال يحي بن نوفل يهجوه :

لأعلاج ثمانية وعبد لئيم الأصل فى عدد يسير

هتفت بكل صوتك أطعموني شراباً ثم بلت على السرير

وقال آخر :

بل المنابر من خوف ومن وجل واستطعم الماء لما جدّ فى الهرب [(١)]

(١) المبرد في الكامل (١ / ٢٥) من طبعة الدلجموني الأزهري أيضاً

فهذا المتقدم فى الخطابة والمتناهي فى البلاغة القديم الزمن ، لم يبح أن يقول « أطعموني ماء » لأن الإطعام للطعام ، فكيف نبيحك يا سيدى أن تقول « تطعم الجار ماء » وما الى ذلك ؟

٣٦ ـ وجاء فى ص ٣١٩ ما نصه : « ويقال ذرية وذرية » فعلق الشارح الفاضل على ذلك : « يقال بضم الذال وكسرها كما فى اللسان ... ويقال أيضاً ذريئة بالهمز ... » مع أن الكلمتين كانتا قد جاءتا فى (ص ٢١٤) وعلق الشارح عليها تعليقاً مختصراً ، ونحن لا نستغرب التعليق الثانى ، وانما استغربنا أنه لم يشر الى الأول ولا الى ورود الكلمتين فيما مضى من الكتاب

٣٧ ـ وفى ص ٣٤٥ خبر الأعرابى والسعدان ، وقد أحال الشارح فى التزيد من الاطلاع عليه على كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ، وكان حرى أن يحيل قبل ذلك على شرح كامل المبرد ، قال أبو الحسن الأخفش فى شرح ما ذكره المبرد في « السعدان » : « السعدان نبت كثير الشوك ـ كما ذكر أبو العباس ـ ولا ساق له ، إنما هو منفرش على وجه الأرض ، حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني [ثعلب] عن ابن الاعرابى ، قال : قيل لرجل من أهل البادية ـ وخرج عنها ـ أترجع إلى البادية ؟ فقال : أما ما دام السعدان مستلقياً فلا[1] »

٣٨ ـ وفى ص ٣٤٧ قطعة نثرية فيها غريب ، منها : « ذات هيدب دان » يعني سحابة ، وتلاها في الشرح من الأصل : « والهيدب مثل هدب الثوب تراه متعلقاً دون السحاب » وقد علق الأستاذ الهارونى على « هدب » ما هذا نصه : « هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من الجزء الثامن » فهو قد أخذها من الجزء السابع الذى نحن الآن عنده ، ولكنها جاءتا أيضاً فى القطعة بعينها فى آخر الكتاب (ص ٦٦٥ ـ ٦٦٦) ، قال ثعلب هناك : « والهيدب مثل هيدب الثوب ... » ولم يقل مثل « هدب الثوب » ، وذلك أمر يسير

٣٩ ـ وورد فى ص ٣٨٨ ما نصه : « العرب تقول : لا آتيك ما أن فى بحر قطرة ... » وقد نصب « قطرة » ظاناً أنها اسم « أن » وحاسباً « أن » من الأحرف المشبهة بالفعل ، والصحيح أنَّ « أنَّ » فعل ماضٍ ، و « قطرة » فاعلُه ، وان شئت فقل « فاعلته » قال الجوهريّ فى الصحاح : « ويقال : لا أفعله ما أنَّ فى السماء نجم ، أى ما كان فى السماء نجم ،

(١) ج ١ ص ٧

لغة فى عَس ؛ وما أنَّ فى الفرات قطرة » وقال الزمخشرى فى أساس البلاغة : « ولا أفعل ذلك ما أنَّ فى السماء نجم ، وما أنَّ فى الفرات قطرة ، أي ما ثبت أنه فى السماء نجم وإنما جاز ذلك فى هذا الكلام لأنَّ حكم الأمثال حكم الشعر »

٤٠ ـ وجاء فى ص ٤١٥ ذكر محمد بن سليمان بن علي العباسي ، وعلّق عليه الأستاذ الشارح كلمة ، مع أنه ورد ذكره من قبل فى (ص ٢٠١) ومرَّ غفلاً ، وجاء فرداً فى الفهرست ، مع أنّه هو الثاني نفسُه

٤١ ـ وفعل الضد فى التعليق على اسم « محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي » ، عرّفه فى (ص ١٩٢) ، ثم عرفه فى (ص ٣٠٢) كأن لم يمرّ له ذكر من قبل

٤٢ ـ وجاء ص ٤١٧ قول عروة بن الورد العبسي :

سقوني النسء ثم تكنفوني عُداة الله من كذب وزور

قال الشارح المحقق : « البيت لعروة بن الورد العبسي كما فى اللسان .. وديوانه ... »
قلنا : ذكر المبرد هذا البيت فى شواهد ما ينصب على الذم ـ يعني عداة الله ـ قال : « وقال عروة بن الورد العبسي :

سقوني الخمر ثم تكنفوني عُداة الله من كذب وزور [1]

وذكره الشريف المرتضى فى أماليه بالصفة التي ذكرها المبرد ، وعلق عليه طابعه السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي تعليقاً حسناً ، وذكر أنّ الرواية المشهورة « سقوني النسء ثم تكنفوني [2] »

٤٣ ـ وورد فى ص ٤١٦ قول زيد بن علي بن الحسين « ما أحب الحياة أحد قطّ إلا ذل » وفى شرح نهج البلاغة « ما أحب الحياة إلا مَن ذل [3] » وهناك سبب هذه المقالة وقصتها

٤٤ ـ وفى ص ٤٢٧ « قال سيبويه : احتبى ابن جؤية فى اللحن » وقد عليه المصحح الفاضل على ذلك تعليقاً طويلاً ، ثم قال : « وأما ابن جؤية هذا ، فلم أجد له سنداً ولا ترجمة »

---

(١) ج ٣ ص ٧ (٢) ج ١ ص ١٢٧ (٣) ج ١ ص ٣١٥

مع أنّ هذه المسألة التي ربع فيها ابن جؤية في اللحن مضت في (ص ٥٣) من الكتاب مع تعليق قصير وقول الشارح « لم أعثر لابن جؤية على ترجمة »

٤٥ ــ ولهذا النسيان بل السهو ، أمثلة تدل على فتراب في اصلاح الكتاب ؛ فقد جاء في (ص ٤٣٧) قول الشاعر : « أو يعتلقْ بعض النفوس حمامها » ، ويليه في الأصل : « قال هشام : والناس يقولون كل النفوس ، واختيار أبي العباس « بعض النفوس » قال الشارح معلقاً : « مما هو جدير بالذكر أن « بعض » تكون بمعنى كل ، ومنه قول ابن مقبل في اللسان :

لولا الحياء ولولا الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذْ عبتما عَوَري »

قلنا : مضى في الكتاب مثل هذا وأكثر في (ص ٦٣) منه ، وعلّق الشارح عليه بأبسط من هذا وأكثر

٤٦ ــ وجاء في ص ٤٥٥ « هذه هي تلك بعد » قال الشارح « في الأصل « هم » مضبوطة بفتح الهاء وسكون الميم » قلنا : الأصل هو الصواب ؛ لأن « هَمْ » لفظة عامية عراقية عريقة ، فقوله « هذه هم تلك بعد » معناه « على حالها » ، وذكرها الأخفش ، وأبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة بمعنى « أيضاً » و « لم يزل » في قول أحدهم :

وقد علّق عنازاً فهذا هَمْ كما كنا

٤٧ ــ وورد في ص ٤٧٥ ذكر امرأة اسمها « خالصة » ، قال الشارح الفاضل : « خالصة هذه جارية من جواري الخيزران أم الهادي والرشيد ، وكانت ذات نفوذ عظيم ... وذكر ياقوت في معجم البلدان أنّ خالصة جارية سوداء كان بعض الخلفاء يكرمها ... وهي جارية الخيزران كما رأيت » نقل ذلك من كتاب الطبري قلنا : ولكن المبرد ذكر أنها جارية ريطة بنت أبي العباس السفاح ، قال في الكلام على « من ندر من النساء في باب الأبواب » : « وكذلك ما يؤثر عن خالصة وعتبة جاريتي ريطة بنت أبي العباس[1] »

٤٨ ــ وجاء في ص ٥٠١ قول بعضهم :

وعند سعيد غير أن لم أبح به ذكرتُك ، إنّ الأمر يعرض للأمر

(١) الكامل (٣/٢٧٢) من الطبعة المذكورة

قال ثعلب : « أي ذكرتك عند سعيد ، وكان سعيد والي المدينة ، وقد دعا به للقتل يقول : فاذا ذكرتك فى هذا الوقت ، فكيف سائر الأوقات ؟ » ولم يذكر الشارح الفاضل من سعيد هذا ، ولا لمن البيت أما سعيد فهو سعيد بن العاص ، وأما صاحب البيت فهو هدبة بن خشرم العذري ، وليس الأمر على ما ذكر ثعلب ، قال المبرد فى حكاية الإقادة منه وتوجيه معاوية به إلى المدينة : « وكان والي المدينة سعيد بن العاص ، فما وقف عليه من قسوته قوله :

ولما دخلت السجن يا أم مالك ذكرتك والأطراف فى حلق سُمر
وعند سعيد غير أن لم أبُحْ به ذكرتك ، إن الأمر يذكر بالأمر

فسئل عن هذا القول ، فقال : لما رأيت ثغر سعيد ، وكان سعيد حسن الثغر جداً ، ذكرتُ به ثغرها [(١)] »

وقد ورد ذكر سعيد بن العاص فى الأمالي (ص ٤٧٨) إلا أنَّ الشارح الفاضل جعل منه سعيدين فى الفهرست : سعيداً والي المدينة ، وسعيد بن العاص

٤٩ ــ وفى ٥٠١ قصة وفود عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك بن هشام ، وفيها : « قال هشام جلست حتى يأتيك » ، يعني رزقه ، ويؤمىء إلى قوله « ... أنَّ الذى هو رزقي سوف يأتيني » والجملة ناقصة ــ أعني « جلست حتى يأتيك » ، فلعل الأصل « لو جلست حتى يأتيك » وفى فوات الوفيات « فهلا قعدت فى بيتك حتى يأتيك » (٢/٣٤ــ٣٥)

٥٠ ــ وجاء فى ص ٥٠٥ : « يقال : كُلْ ولا تتخذ خبنة ولا ثبنة ، وجمع ثبنة ثُبان ... » والثبنة على وزن نقطة ، ولكن الشارح ضبط جمعها « ثبان » بضم الثاء ، فان كان الجمع « ثبن » كان مثل « نقط » وان كان « ثبان » لم يجز ضم الثاء ، ووجب كسرها مثل « نقاط ونطاف » و « فُعال » بضم الفاء من أوزان المفرد لا من أوزان الجمع ، وما ورد من الجمع على وزنه فهو نادر شاذ مثل « ظؤار ورخال »

٥١ ــ وفى ٥٥٧ : « عاهب الإبل الى الماء يهيع وهلعت اليه » ولعل الأصل « هاعت الابل » فهو من غلط الطبع

(١) ٣/٢٩٧

٥٢ ـ وفى ص ٥٦٠ « وقال المع ... من الأرض المشرف » قال المصحح : « باقي الكلمة ملموس فى الأصل »

قلنا : أصله « المعراء من الأرض : المشرف » قال الجوهري فى الصحاح : « المعز الصلابة من الأرض ، والأمعز المكان الصلب الكثير الحصى ، والأرض معزاء بينة المعز » والصّلابة والإشراف فى الأرض مقترنان ، وقلما تجد أرضاً مشرفة غير صلبة أي من الخبار

٥٣ ـ وجاء فى ص ٥٦٥ : « وقال فثأ عنه ، أي انكسر عنه » قال الشارح الفاضل : « فى الأصل : فثى عنه » قلنا : وهذا دليل على أنّ الأصل مبني للمجهول ، نطق به المسؤول ـ أعني ثعلباً ـ على الصورة ألتي فيها عليه ، فلا حادي على نقله الى المبني المعلوم ، فانه لا يُقابل « انكسر » بعض المقابلة ، وقد جاء منه « فثأ اللبن ، أي أغلي فارتفع له زبد » بصورة المبني للمعلوم ، ولكنه لا يوافق الانكسار

٥٤ ـ وجاء فى ص ٥٦٧ :

ألفّهم بالسيف من كل جانب لف العقبان حجلى وغرغرا

ولعل الأصل « كما لف العقبان حجلى وغرغرا » وسقطت الكلمة فى الطبع ، فطبع الحديد غير طبع الانسان

٥٥ — وفى ص ٥٧١ « وقال : الطيب والمفنق » قال الشارح : « كذا وردت العبارة » قلنا : لعل الأصل « الليب صفحة العنق » قال الجوهري فى الصحاح : « الليت : صفحة العنق ، وهما ليتان »

٥٦ — وورد فى ص ٥٧٤ : « وقال : العقنقل مصير الضب ، قال : أطعم أخاك من عقنقل الضب ، إنك إلا تطعمه يغضب » وأرى أن القول الاخير بيت من الرجز يكون بعد الاصلاح كما يأتي :

أطعم أخاك من عقنقل الضب إنك إن لا تطعمنه يغضب

٥٧ — وفى ص ٥٧٧ « وأنشد الأعشى :

وشمول تحسب العين إذا صفقت بردتها نور الذبح »

برفع « نور » وضم الذال وفتح الباء من « الذبح » قال الشارح : « والذبح ضرب من الكمأة بيض ... وفى ديوان الأعشى ... وردتها بضم الواو مع النصب » ، وفى شرحه : وردتها حمرتها » قلنا : فالنصب هو الوجه لكونها مفعولا ثانياً لتحسب ، والذبح هنا لايصح أن يكون ضرباً من الكمأة ؛ لأن الكمأة لا نور لها ولا ساق ، وإنما هما الانقاض ثم الانقباض ، والصحيح أن المراد « الذبح » محركة ، وتكسر وتضم الذال وقد ذكرها ثعلب فى الأمالي كما فى (ص ٥٧٣) ، قال « الذبحة : شجيرة تنبت على ساق نبت الكراث ، ثم يكون لها زهرة صفراء ، وأصلها مثل الجزرة حلوة » فهي التى تشبه الشمول نورها

٥٨ — وفى ص ٥٨٣ قول الشاعر :

يقولون لا تنزف دموعك بالبكا فقلت : وهل للعاشقين دموع ؟

وضبط « تنزف » ضبط الرباعي الذى مصدره الانزاف ، وليس ذلك بالوجه ، فالوجه هو الثلاثي ، وفى مختار الصحاح « نزف ماء البحر : نزحه كله ، ونزف هو يتعدى ويلزم وبابه ضرب ، ونزفت البئر على ما لم يسم فاعله » وفعل إذا جاء بمعنى « أفعل » فهو الأصل وله الفصاحة دون الرباعي ، مثل « رجمه وأرجمه ورعبه وأرعبه ونعشه وأنعشه ورشاه وأرشاه وكسبه وأكسبه ونتجه وأنتجه » ، وعلى الضد من ذلك « غفا وأغفى ووحى وأوحى وبل وأبل » وأمثالها فان المعنى الأصلي للرباعي ثم شاركه الثلاثى فيه

٥٩ — وفى ص ٥٨٨ شرح للأستاذ الهاروني لا مشروح له فيها ، والظاهر أنه شرح بيت ورد فى ص ٥٨٥

٦٠ — وجاء فى ص ٥٩٥ « جمع « فعلة » كتمرة اسماً ونعتاً » ومن تفصيله قوله « وكذلك ربعة وربعات حرك وهى نعت ... هذان الحرفان حركا فى النعوت إلا فى قول الكسائي ، فانه جاء به على القياس فى لجبة ، ولم يحك الفراء ولا الكسائي فى ربعة إلا التحريك » وقد حرك « ربعة » أي فتح باءها ، فبطل الاستشهاد بها ؛ لأنه أراد أنها مثل « لجبة » ، وهذا معنى قوله « حرك وهى نعت » أي جمعت على ربعات بفتح الباء مع كونها

نعتاً ، أراد جمع « ربعة » المحركة لم يقل ذلك القول ، ومن ذلك يعلم زيادة قول الشارح الفاضل في الحاشية « وقد عنى هنا لغة الفتح » قال الجوهريّ في الصحاح : « ورجل ربعة أي مربوع الخلق لا طويل ولا قصير . وامرأة ربعة ، وجمعها جميعاً « ربعات » بالتحريك وهو شاذ لأن فعلة إذا كانت صفة لا تحرك في الجمع وانما تحرّك إذا كانت اسماً ولم يكن موضع العين واو ولا ياء » وقال مؤلف المصباح : « وفتح الباء فيها لغة »

ومن المعلوم أن ثعلباً أتى بها على اللغتين ، ولكن الشارح ألزمها لغة واحدة كما ذكرنا وذكر هو

٦١ ـ وفي ص ٦٠١ « أشهد أن هذا كلام أنباء الأنبياء » والصحيح « أبناء الأنبياء » يعني بالأبناء ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي المذكور في الخبر

٦٢ ـ وجاء في ص ٦٠٦ قول ابن عناب الطائي :

إذا قال قطني قلت آليت حلفة لتغني عني ذا إنائك أجمعا

قال الشارح : « ويروى لتغني بفتح اللام والباء على إرادة نون التوكيد الخفيفة ، و « لتغنن » بفتح اللام وكسر النون الأولى مع حذف الياء بعدها » قلنا : إن الوجه هو التوكيد ، فهو واجب لأن الفعل جواب لقسم متصل بلامه مثبت مستقل

٦٣ ـ وجاء في ص ٦١٦ : « وجئتني بها سوداء مكسّرة كأنها الأظفار » في وصف دراهم ، قال الأستاذ عبد السلام : « جاءت في الأصل « سودآ » بوضع مدّة فوق الدال ، وهذا يعد شاهداً لجواز هذا الوصف ، أنظر تحقيقي لذلك في مجلة المقتطف ... » قلنا : مضت لنا في مثل هذا كلمة في أثناء الملحوظة (٢٥) والصحيح أن هذا لا يقوم شاهداً على ما ذكر الأستاذ المحقق ؛ لأن « سوداً » ، منصوب ، وما أسهل ما كان الناسخ أن يزيد مدّة أو همزة على « سُوداً » ! فالشاهد يجب أن يكون مرفوعاً أو مجروراً ، ومعنى ذلك أن الألف في « سوداء » هي ألف النصب ألحق بها همزة ، ولو كانت معرفة بالألف واللام لأغنتنا عن كل شرط آخر كأن تأتي بصورة « الدراهم السوداء » ، وهيهات ذلك .

٦٤ — وجاء فى ص ٦٢٨ : « وأحرف الرجل إذا نما ماله وكثر » قلنا : الوجه « نمى » بالياء لابالألف ، قال الجوهري وصاحب مختاره : « نمى المال وغيره ينمي بالكسر نماء بالفتح والمد ، وربما جاء من باب سهل ، قال الكسائي : ولم أسمعه بالواو إلا من أخوين من بني سليم ، ثم سألت عنه بني سليم فلم يعرفوه بالواو ، وحكى أبو عبيدة نما ينمو وينمي » وهذا كاف فى استرجاح ما ذكرناه

٦٥ — وجاء فى ص ٦٤٦ ـ ٧ كلام على مادة هدى منه : « [وهديت العروس الى زوجها] هداء ، ويقال أهديتها بالألف » قال الشارح الفاضل : « التكملة من فصيح ثعلب ... وانظر اللسان ... » قلنا : إن الأمالي أحق بالرعاية من غيرها فقد مضى ذكر مثل هذا فى ص ١٤٤ « وهديت العروس وهديت الهدي كله بلا ألف إلا الهدية ، ويقال فى العروس أيضاً بالألف »

٦٦ — وفى ص ٦٥٣ قول مهلهل بن ربيعة من قصيدة مضمومة الروى :

جزعاً عليك ولست لأم حرة تبكي عليك بعبرة وتنفُّس

كذا بالمصدر المجرور مع الإقواء ، ولا وجه لذلك ، وإنما الوجه « وتنفّس » مختصر الفعل « تتنفسُ » ، ولا فرق بين المصدر وفعله فى أداء المعنى ، بَلْهَ أن الفعل أدل على الاستمرار ، فالفعل « تنفس » معطوف على « تبكي »

٦٧ — وجاء فى ص ٦٥٦ : « قال حدثني الطويل ، قال : كنت عند الفراء فسألته عن مسألة ... » ولم يذكر من هذا الطويل ، والصحيح « الطوال » قال ابن النديم فى الفهرست (ص ١٠١) فى المشاهير من أصحاب الفراء : « الطوال واسمه [1] ... ويكنى أبا عبد الله ، ولا كتاب له يعرف قال أبو العباس ثعلب : كان الطوال حاذقاً بالعربية وذكر النديم فى أخبار أبي عصيدة (ص ١٠٨ ـ ٩) أن الطوال كان ممن استدعى بهم الأمير ايتاخ وكاتبه لاختيار مؤدبين لأبني المتوكل : المنتصر ، والمعتز

هذا أكثر ما استحق منا العناية والاثبات فى أثناء قراءتنا « مجالس ثعلب » الكثيرة الفوائد

(١) فى هذه الصفحة نقصان واختلاط بين التراجم

والموائد ، وهي بالنسبة الى العمل الأدبي العظيم الذى عمله الأستاذ المحقق عبد السلام محمد هارون ـ كما قلنا ـ كالقطرة بالاضافة الى البحر وما قيمة هذه الملحوظات اليسيرة فى كتاب عسير التحقيق ، مضني التحرى ، صعب الموضوع ، عدة صفاحه « ٦٦٦ » ـ أعني هذه المجالس ـ ؟

فنحن نشكر الاستاذ الفاضل فضله على اللغة العربية وآدابها ، ونحمد مجهوده العظيم ، ونطري علمه الواسع ، وحسب القارىء تبيناً للمشاق التي قاساها ، والبحوث التي عاناها ، أنه راجع « ١٨٤ » كتاباً من الكتب التي تتصل بموضوع المجالس بسبب من الأسباب ، ووضع له فهارس بجمع فوائده وتبين رائده ، والله الموفق للفلاح والنجاح

مصطفى جواد

The Arab World العالم العربي

تأليف الدكتورة نجلاء عز الدين ، ٤١٢ صفحة من الحجم المتوسط ، مطابع شركة
« Henry Regnery Company »

مؤلفة هذا الكتاب اديبة لبنانية ، تقيم الآن في أمريكا ، وهي معنية بالقاء محاضرات فيها عن العالم العربي ، وبالتأليف في هذا الموضوع وقد تحدثت في كتابها هذا عن ماضي العالم العربي وحاضره ومستقبله باختصار وتركيز ، وقسمته الى مقدمة وثمانية عشر فصلا تحدثت فيها عن نواح متعددة من التأريخ العربي وعرضت في الفصل الثاني للتراث الثقافي ، ولكنها كتبت فيه عن الثقافة كما هي المصطلح العلمي الشائع المعروف ، وعن أمور لا تدخل في مصطلح الثقافة ، وإنما تدخل تحت كلمة « مدنية » أو في أمور أخرى ، وخصصت الفصل الثالث بصلات العرب بالغرب في القرون الوسطى ، والفصل السابع وما بعده بالعالم العربي بعد اليقظة الى نهاية الحرب العالمية الأخيرة وخصصت بعض الفصول بالأقطار العربية البارزة ، كما خصصت بالمغرب فصلاً خاصاً ، وفصلاً آخر بالمرأة ، وآخر بالاتحاد العربي

والكتاب في الجملة سرد عام لتأريخ العالم العربي ، فهو من هذه الناحية لا يمكن عده من كتب المراجع ، ولم تذكر المؤلفة فيه الموارد التي استقت منها مادتها إلا في مواضع قليلة على أن الكتاب مفيد خاصة للامريكيين الذين يرغبون في البحوث المدونة بأسلوب قريب من أسلوب الصحافة ، فيه وضوح وبعد عن لغة الاختصاص والتركيز

جواد علي

محاضرات المجمع العلمي العربي

الجزء الثاني ، عدد صفحاته ٥٩١ صفحة ، مطبعة الترقي بدمشق ، سنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

ما برح « المجمع العلمي العربي » بدمشق - منذ تأسيسه عام ١٩١٩ م الى يوم الناس هذا - منارةً فى وسط بلاد العرب من هذه المناور التى تنسخ أشعها ما خيّم عليها من ظلال الجهل قروناً عديدة منذ غزاها التتار من الشرق والصليبيون من الغرب ، فذهبوا بسلطان العرب السياسي ، وخربوا معالم الحضارة الإسلامية الباذخة ، وعاثوا فساداً فيما أثّلـه الأسلاف العظماء فى العصور السعيدة من دين وأدب وعلم وفن ... إلا بقايا كتب الله لها النجاة من طغوى المغيرين ، وأشاعوا فى المجتمع الإسلامي من شرقه الى غربه روحاً قاتماً يائساً يتوجس الخوف من النظر الى النور ، ويستشعر الأنس بظلام العزلة فى رعة صوفية خاملة أشبه ما تكون بالسُّبات .. حتى جاء العصر الحديث الذى رجّ أمم الأرض فأزال عن الأبصار ما ثقلها من رنيق الكرى ، وعن البصائر ما ران عليها من الغشاوات ؛ وهب العرب فيمن هبوا من رقادهم وهم يلتمسون النور كما يلتمسه أمثالهم من المغلوبين على أمرهم ، ويصطنعون الوسيلة الى الحياة الحرة الكريمة ، ويفكرون أولَ ما يفكرون فى العلم وأسبابه فيتاح لهم من ذلك بعض الحظ ، وينشئون المجامع والجامعات ، ويُعنَون بدور الكتب وبالطباعة والنشر وما الى ذلك من الوسائل النافعة

ولقد كانت بلاد الشام أسبق الأقطار المنسلخة من الدولة العثمانية فى أعقاب الحرب الكونية الأولى - الى التفكير فى هذه الوسائل العليا من وسائل الثقافة والمعرفة ، فأنشأت « المجمع العلمي العربي » و « الجامعة السورية » ، وأقامت دور الكتب فى حواضرها على ما هي عليه من قلّة ذات اليد

وكان إنشاء « المجمع العلمي العربي » فى مثل سورية مدعاةً الى التفكير ، فى مصر ثم فى العراق ، في إنشاء نظيره هنا وهناك ، لِما أُستبان ووضح من أثره البليغ فى الحياة العلمية وفى إيقاظ روح التنافس الشريف فى اقتباس المعرفة التي تمكن صاحبها من اكتساب شرف

الانتماء اليه وعلى ما ألمَّ بهذه المجامع ، فى الفترات ، من رجات ما كان ينبغي أن تُفتعَل لها .. استطاع القائمون على شؤونها أن يمضوا قدماً في السبيل التي رسموها للنهوض العلمي ، ويقدموا الى الناس ثماراً لذيذة من ثمار الثقافة العالية ، فيها للعقول غذاء وللأنفس ري ، وفيها من الغَناء ما لا يستطيع حتى مرضى الارواح أن يتنكّروا له أو ينكروا آثاره فى البعث والإحياء .

ومن أنفع ما قدمه « المجمع العلمى العربي » الى الناس فى هذه الأيام ، هذا المجلد الثاني من محاضراته وكان قد أصدر المجلد الأول منها سنة ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٥ م في ٣٧٢ صفحة استوعبت سبع عشرة محاضرة فى الأدب والتأريخ والحقوق والطب والعُمران والاجتماع والاقتصاد والإدارة ، نطائفه من كبار أعضائه

أما هذا المجلد فقد أربى على صِنْوه فى عدد المحاضرات ، وفاقه في تعمق المادة واستقصاء البحث وجمع الأطراف والإفادة والإمتاع بسبب ما انبسط للمحاضرين ـ ومعظمهم من كتاب محاضرات المجلد الاول ـ من ذرع فى البحث والتحقيق ، وما كان لهم مع الأيام وعلوّ السن من نمو العقل واتساع آفاق المعرفة وفضل التجربة وقوة التأمل وسلوك سبيل الإبداع وإذا جعل الإنسان وكده الدرس ، وغايته الإبداع ، نبغ في الذى يتطلبه من ذلك ، وتفتح له ما كان مغلقاً دونه ، وأفاد الناس من حيث أفاد نفسه ومن أجل بلوغ هذه الغاية السامية من المستوى الثقافي العالي ، تسابقت الدول الراقية الى إنشاء المجامع والجامعات ، وأنفقت على العلم والبحث إنفاق من لا يخشى الفقر ولا يبالي عما يدخل فى يمينه كيف تنفقه شماله

وقد بلغت عدة المحاضرات فى هذا المجلد ستاً وعشرين محاضرة ، اختارها المجمع مما ألقاه أعضاؤه العاملون وبعض أعضائه المراسلين خلال اثني عشر عاماً آخرها عام ١٩٤٥ م ولكن هذه المحاضرات قد جمعت جمعاً لم يُراعَ فيه الترتيب والتقريب بين الأشباه والنظائر وكان يحسن أن تبوب على هذا النحو ، وتجزّأ الى أجزاء ، ويوضع لكل جزء عنوان المحاضرات التي تدخل فيه ، لتكون دلالتها على مقاصدها قريبةً من جمهرة القراء

وهي بحسب التبويب الذى أختاره لها ، وأرجو أرتضاءه وإنفاذه حين إعادة طبعها :

(١) قضايا العلم : « الأسلوب العلمي عند علماء العرب » ، و « المصطلحات العلمية وألفاظها العربية » ، و « العلم والأدب والأساطير فى كتب السلف » للامير مصطفى الشهابي .

(٢) الفلسفة وعلم الكلام : « الطريقة الرمزية فى الفلسفة العربية » ، و « أبو الهُذَيل العلاّف » ، و « الغزالي وزعماء الفلاسفة » للدكتور جميل صليبا

(٣) الحضارة والعمران : « معبد دمشق » للأمير جعفر الحسني ، و « تأثير الطرق فى هواء المدن » للدكتور مرشد خاطر ، و « الجامعة السورية وكاية الالهيات » للأستاذ محمد بهجة البيطار

(٤) الصحة والوقاية : « هواء المدن » ، و « تأريخ السّل والوقاية منه » للدكتور مرشد خاطر

(٥) الاجتماع والتربية : « المرأة فى عهد النبوّة وفى عهدنا الحاضر » ، و « التربية الاجتماعية فى عهد الإسلام » للأستاذ البيطار

(٦) الجغرافيا والرحل : « باب الجابية أو مومى وكولب وسنمار » للأستاذ عبد القادر المغربي ، و « رحلة الى القاهرة » للأمير الشهابي

(٧) التأريخ والآثار : « صلة الجاهلية بالعالم المتقدم » للشيخ فؤاد الخطيب ، و « الزّبّاء أو زنوبيا ملكة تدمر » للأمير الحسني ، و « عرب الجاهلية فى مباذلهم » ، و « تحت القلعة » ، و « يهود الشام منذ مئة عام » للأستاذ المغربي ، و « مميزات بني أمَيّة » للأستاذ محمد كرد علي

(٨) تأريخ الفنون : « التصوير فى الإسلام » للأمير الحسني

(٩) أعلام الإصلاح الإسلامي : « شيخ الإسلام ابن تيمية » الأستاذ البيطار

(١٠) أعلام اللغة والأدب والشعر : « شاعر مُعاويةَ : كَعْبُ بن جُعَيل » للأستاذ خليل مردم بك ، و « بشار بن بُرْد » للأستاذ المغربي ، و « حياة العلامة أحمد تيمور باشا » للأستاذ محمد كرد علي

ومن هذا العرض يدرك القارىء مدى غَناء هذه المحاضرات ، ويلمس فوائدها المتوخاة وما تضمنته من ثروة علمية وعقلية عزيزة المنال

محمد بهجة الأثري

الكشاف عن مخطوطات خزائن الأوقاف

(للدكتور محمد أسعد طلس ، ٤٢٩ صفحة في عمودين ، مطبعة العاني ببغداد ، سنة ١٣٧٣ ، هـ ـ ١٩٥٣ م)

هذا الكتاب فهرست لمخطوطات « مكتبة الأوقاف العامة » ببغداد. وقد أنشئت هذه « المكتبة » في سنة ١٩٢٨ م من تسع خزائن[1] من موقوفات نفر من ولاة الدولة العثمانية وبعض نسائهم ، ومن موقوفات أفراد من العلماء الأجلاء والتجار الأخيار البغداديين ، أودعوها غرف الجوامع والمساجد والتكايا لتكون مثابة روّادها من طلاب العلم ، ولتكون لهم لسان صدق في الآخرين. ومن الفريق الأول : أبو سعيد سليمان باشا ، وداوود باشا ، ونائلة خاتون زوج مراد أفندي المكتوبجي. ومن الفريق الآخر : مفتي بغداد محمد أمين ازند المعروف بالكهيا ، والعلامة ابراهيم فصيح الحيدري ، والعلامة نعمان خير الدين الألوسي ، والحاج أمين الباجهجي وأخوه نعمان الباجهجي.

وقد كان جمع هذه الخزائن التسع في « مكتبة عامة » واحدة من مقتضيات تطور الحياة الاجتماعية ، ومن لوازم حفظ نفائس المخطوطات فيها من العبث والسرقة والتبديد. وقد يسر هذا الصنيع للباحثين الرجوع اليها في محل واحد ، وجعل الانتفاع بها على طرف الثمام من أيدي المنقبين والدارسين ، وكان السعي للظفر بها الى تسعة أماكن متفرقة ومتباعدة بعضها عن بعض أمراً مرهقاً ومطلباً صعب المنال. غير أن هذه « المكتبة العامة » كان يعوزها التنسيق الفني ، والفهرس العلمي المنظم. وقد حقق أمنيتي في الجانب الأول أحد مديري الأوقاف العامين ، فأنتدب لها من نسقها ورتبها بحسب أبواب العلوم والفنون. ثم هيأ الله لتأليف الفهرست العلمي المنظم لمخطوطات هذه الخزائن صديقي الفاضل الدكتور محمد أسعد طلس الحلبي الذي لجأ الى بغداد إثر انقلاب عسكري في دمشق سنة ١٩٥٠ م ، فانصرف الى التنقيب عن ذخائر مخطوطات هذه الخزائن ، وأنفق في اعداد « كشافه » عنها ثلاثة أعوام ونصف عام. فلما أنجزه ، قدرت له مديرية الأوقاف العامة مجهوده النافع ، فطبعت هذا الفهرست الضخم بنفقتها ،

---

(١) الكشاف (ص ٢)

ويسرت للباحثين الاطلاع على ما في هذه الخزائن من ذخائر التراث العقلي الاسلامي

وقد انحصر عمل المصنف الفاضل في وصف المخطوطات العربية وحدها على نمط سهل وضحه في مقدمته ، وزاد في إحسانه أنه عني بتدوين وفيات المؤلفين إذا تحقق منها ، أو القرون التي يعيشون فيها إذا تعذر عليه معرفة سني وفياتهم على وجه التأكيد ، وإذا فاته الوقوف على هذا وذاك وضع تجاه أسمائهم علامة استفهام (؟) ، ثم عقب على ذلك بذكر المراجع والمظان التي رجع اليها في التحقيق وقد توسع في وصف المخطوطات الفريدة أو المهمة ، فذكر نوع ورقها وجنس خطها وتأريخ نسخها واسم ناسخها ، وأشار الى السماعات أو الإجازات المذكورة في أولها أو آخرها ان كان ثمة شيء من ذلك ، وأورد بعض نصوص السماعات والإجازات التي رآها جديرة بالذكر لجلالة صاحبها أو نفاستها وجل اعتماده في تدوين الوفيات ونحوها من تحقيقاته على كشف الظنون للحاج خليفة وذيله لإسماعيل باشا البغدادي وتأريخ آداب اللغة العربية لكارل بروكلمان ومعجم المطبوعات العربية لسركيس ، وعلى فهارس خزائن الكتب العالمية العامة ، ومراجع أخرى من كتب الرجال قديمة وحديثة

وقد قدم لفهرسته مقدمة « في التعريف بالمعاهد التي جمعت منها خزانة دار كتب الأوقاف » اعتمد فيها على « كتاب مساجد بغداد وآثارها » تأليف أستاذنا العلامة السيد محمود شكري الألوسي وتهذيبنا ، وعلى تعليقاتنا عليه ، وختمه بخمسة فهارس هجائية : للأعلام ، وأسماء الكتب ، والبلدان والأماكن ، والتصويبات ، والموضوعات

وقد أحصى في فهرس « التصويبات » زهاء ١٧٠ غلطة مطبعية وأصبت في الكتاب وأنا أتصفحه أشياء غير قليلة مما يعرض لكل انسان من غفلة وسهو وخطأ ، أرى أن التنبيه عليها مما يوجبه الإخلاص للبحث ، وأعلم أن صديقي الكريم يرحب به ولا يضيق بإعلانه ذرعاً ؛ لأنه عالم ، ومن خلق العالم التواضع ، وكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه :

ص (ج) س ١٥ : ذكر كتابي « أعلام العراق » المطبوع بالمطبعة السلفية في القاهرة سنة ١٣٤٥ هـ ، وسها فنسبه الى « الألوسي »

ص ١/٤ : سمى بغداد « دار السلام » ، وإنما هي « مدينة السلام » .

٣٠/٢/٤ : « الإمام ابن ماجة أبي عبد الله ... » ، والصواب : « .. ابن ماجَهْ أبو عبد الله » ، وتكرر ذلك في ٣٤/٢/٢٥١ ، وماجَهْ إنما هو بالهاء الساكنة

ص ١٠/١/٥٢ : « ٥٢٠ ـ شرح نظم الدرر السنية في السير الزكية للعراقي عبد الرحيم .. هو شرح ألفيته في السيرة » ، والصحيح « شرح ألفية السيرة النبوية ... » بدليل ما نقله المصنف نفسه من قول الشارح في المقدمة : « وبعد ، فهذا شرح على ألفية السيرة .. نظم جدنا الأعلى حافظ مصر والشام »

ص ٢٢/٢/٥٥ : عد « كتاب الهدي النبوي » للامام ابن قيم الجوزية من المخطوطات ، وهو مطبوع بمصر ثلاث طبعات

ص ١١/١/٥٦ : « لأنه الذي أتى بالدين صلى الله عليه كل حين »

والصواب : « ... صلى عليه الله كل حين »

ص ٣/٢/٨٦ : « يحيى بن خالد المروزي » بالزاي بعد الواو ، وقد تكرر ذلك في ص ٢٥٥ و ٢٧٨ و ٣٧٥ ، وصوابه « المزوري » بالزاي بعد الميم ثم واو وراء ... وأحسب هذا الغلط سرى اليه من « المسك الأذفر » ثم إنه وضع بجانب اسم هذا المؤلف علامة استفهام اشارة الى جهله سنة وفاته ، وهي مذكورة في رجمته في « المسك الأذفر » وهو من مراجع المصنف في تحقيقاته

ص ٢٧/١/١١٥ : « رسالة الزوراء .. مؤلفها : الجلال الدواني .. » كذا بالتاء المثناة الفوقية ، وانما هو « الدواني » بالنون كما ذكره صحيحاً في مواضع أخرى

ص ١٧/١/١٢١ : عدّ كتاب « الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية » للامام ابن قيم الجوزية من المخطوطات ، وهو مطبوع بالمطبعة الخيرية فى القاهرة سنة ١٣١٩ هـ

ص ١٤/٣/١٢١ : ذكر « كتاب العلوّ للعلي العظيم » لأبي عبد الله الذهبي ، وعده من المخطوطات ، وهو مطبوع بمصر

ص ٢٥/١/١٢١ : « لوامع الأنوار البهية وسواطع الآثار الأثرية لأبي سعيد السفاريني النابلسي ... هو شرح منظومة المسماة بالدرة المضية .. » ، والصواب « شرح منظومته .. » ، والكتاب مطبوع بمطبعة المنار فى القاهرة ، سنة ١٣٢٣ هـ في مجلدين ، واسمه الصحيح والكامل « لوائح الأنوار البهية ، وسواطع الأسرار الأثرية ، لشرح الدرة المضية ، في عقيدة الفرقة المرضية »

ص ٢٤/٢/١٢٤ : « اقتفاء الصراط المستقيم .. مؤلفه : الإمام أحمد بن تيمية الحراني » ، والصحيح « اقتضاء .. » بالضاد المعجمة ، وقد عده من المخطوطات ، وهو مطبوع بالمطبعة الشرفية في القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ وتكرر هذا الغلط في ٤/٢/٢٧٠

ص ٢٣/٢/١٢٥ : « التحفة الاثنا عشرية .. مؤلفه غلام محمد بن محي الدين بن عمر المدعوّ بالأسلمي » وهذا خطأ ، فان المؤلف انما هو علامة الهند شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي (١١٥٩ـ ١٢٣٩ هـ) ألفه بالفارسية عند انتهاء القرن الثاني عشر الهجري أما الشيخ الحافظ غلام محمد بن محي الدين بن عمر الأسلمي ، فهو مترجمه من اللغة الفارسية الى العربية سنة ١٢٢٧ هـ ، وقد اختصر هذه الترجمة وهذبها سنة ١٣٠١ هـ علامة العراق السيد محمود شكري الألوسي .

ص ١٢/٢/١٢٨ : « المصلح بين الإخوان » ، والصواب « صلح الإخوان » لمؤلفه الشيخ داوود بن سليمان بن جرجيس ، وقد وضع المصنف بجانب اسمه علامة استفهام (ـ ؟) اشارة الى أنه يجهل سنة وفاته ، وهو بغدادي توفي سنة ١٢٩٩ هـ ، وكتابه مطبوع ، وعليه ردود كثيرة

ص ٢٨/١/١٣٣ : « إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان » ، والصواب « مصايد » بالياء التحتية ، لأنها أصلية ، بخلاف كتائب وستائر وسرائر ونحوها وقد تكرر هذا الغلط في ص ٢/٣٢١ عند ذكره « فرائد السلوك في مصائد الملوك » ، فهمز « مصايد »

ص ٣٢/٢/١٣٥ : « التعطف على التعرف في الأصلين والتصوف .. مؤلفه : عبد الله بن أبي الثناء محمود الألوسي (ـ ؟) » وقد وضع المصنف هذه العلامة اشارة الى أنه يجهل سنة وفاته ، كما فعل مثل ذلك في ص ١٨٦ و ١٩٠ بجانب اسم العلّامة علي علاء الدين الألوسي ، وفي ص ٢٠١ بجانب اسم عبد الباقي الألوسي ، وفي ص ٣٣٩ بجانب اسم محمد حامد الألوسي وسنوات وفياتهم في « أعلام العراق » ، وهو من مراجع المصنف في تدوين وفيات المؤلفين

ص ١٤/٢/١٥٧ : « ديوان الرضي .. طبع مرات بالشام والهند » ، والصحيح أنه طبع مرة بإحدى مدن الهند ، ومرةً ببيروت ، ومرةً بالقاهرة

ص ٧/٢/١٥٨ : « ديوان العمري : مؤلفه العمري أحمد عزة باشا (ـ ؟) » وما يسميه

ديواناً لا يزيد على بضع صفحات بخط أستاذنا العلامة علي علاء الدين الألوسي رحمه الله ، ولقد تتبعت شعر هذا الشاعر فاجتمع لديّ أضعاف ما في هذه الصفحات ، ولم أستجز تسميها بهذا الاسم الكبير أما الديوان الذي جمع فيه أحمد عزة باشا العمري غرر أشعاره ، فقد احترق في جملة ما احترق من كتبه وآثاره بالنار التي شبت بداره في استنبول وأما سنة وفاته التي لم يهتد اليها المصنف فهي ١٣١٠ ﻫ كما ذكرها في ترجمته فى تاريخي « مشاهير رجال العراق » ، ونشرت خلاصها في مجلة « المعرض » لمنشئها العالم المهذب أحمد عزة الأعظمي رحمه الله

ص ١٩/١/١٦٣ : « شـرح الكلستان لسعدي » وصوابه « شرح كلستان .. » بتجريده من أل

ص ٨/١/١٦٧ : « مجموعة نفيسة .. وأغرب ما فيها قصائد كثيرة منسوبة الى أبي نؤاس وليست في ديوانه .. » وقد همز واو « نواس » ، وهو خطأ يقع فيه معظم الناس ، وقد تكرر في ص ٢/٣٢٠ .

ص ٣٠/٢/١٦٩ : « النكت الظريفة ، على قصيدة مدح الإمام أبي حنيفة ، لعبد الباقي العمري مؤلفه : محمد سعيد بن محمد أمين البغدادي (ـ ؟) من أعيان القرن الثالث عشر » والمؤلف المذكور قد ترجم له العلامة الألوسي كما ترجم لأبيه السيد محمد أمين بن محمد صالح أفندي الشهير بالمدرس ولأخيه محمد أسعد ولأبنائه فى « المسك الأذفر » (٩٥ ـ ١٠١) ، وذكر مؤلفاته ومنها هذا الشـرح ، وقال إنه توفي صبيحة يوم الثلاثاء ثالث عشر شوال من سنة ١٢٧٣ ﻫ ، ودفن في مقبرة الخيزران قرب سرقد الإمام أبي حنيفة ، و « المسك الأذفر » من مراجع المصنف فى تدوين وفيات المؤلفين كما قدمنا مراراً

ص ١٢/٢/١٧٠ : « فيه » ، والصحيح « فيها »

ص ٧/١/١٧١ : « حاشية على شرح رسالة الوضع لعصام الدين ، مؤلفها : صالح الموصلي (ـ ؟) » يشير الى عدم اهتدائه الى سنة وفاته ، وكان صالح السعدي هذا أعجوبة القرن الثالث عشر فى ذكائه ومعرفته بآداب الانة العربية والتركية والفارسية ونظمه بها ، وفي حسن خطه وافتنانه به وكتابته باثني عشر قلماً خطاً رائماً وكتابته على حبة أرزة الكتابة الدقيقة

الفائقة على نحو ما ذاع في أيامنا عن نسيب مـكارم الخطاط اللبناني المشهور ، وفي غير ذلك من الصناعات والفنون والفضائل التي بسطتها في تأريخي : مشاهير رجال العراق وكانت خاتمة هذا النابغة مؤلمة جداً ، فقد ذبح في أيام حكومة محمد أمين باشا والي الموصل (١٢٤٤ ـ ١٢٦٣ هـ) في مؤامرة استهدفت القضاء على الوالي المذكور ونفرس رجال ولايته مهم المترجم ـ وكان كاتب ديوان الإنشاء ـ فعرض له وهو راكب حصانه رجل س المتآمرين ، فأنزله ، وذبحه بيـده في الطريق ولأخيـه الشاعر قاسم بن يحيي الموصلي مرثية حزينة في رثائه قرأتهـا في ديوانه ، وهو مخطوط عند بعض آل السعدي في الموصل ، وعندي مختارات منه وكان عمره يوم ذبح — رحمه الله — اثنتين وخمسين سنة

ص ٢/١/١٧٢ : « أدب الـكاتب ، مؤلفه : ابن قتيبة الدينوري (ـ ٢٧٦) ، مجلد لطيف حديث الخط كتب سنة ١٢٥١ ، وفي آخرها أرجوزة أبي النجم العجلي الفضل بن قدامة :

الحمـــد لله الوهـــوب المجزل أعطى فلم يَبْخَـلْ ولم يُبَخَّـلِ »

وأدب الـكاتب ـ وقد سماه شارحه البطليوسي أدب الـكتّاب ـ طبع عدة مرات في ليبسك وليدن والقاهرة ، وطبع من شروحه الاقتضاب للبطليوسي في بيروت ، وشرح أبي منصور الجواليقي في القاهرة فكان المصنف حرى بأ لا يفوته التنبيه على ذلك ، لئلا يوهم بعض قراء كشافه أن الـكتاب لا يزال مخطوطاً أما أرجوزة أبي النجم المذكورة التي رآها المصنف على ظهر نسخة أدب الـكاتب ، فهي بخط السيد عمر رمضان الهيتي من شعراء بغداد في القرن الثالث الهجري (ورجمته في تأريخي : مشاهير رجال العراق) وكنت ظفرت بها أيام الطلب في آخر هذا الكتاب في خزانة كتب السيد نعمان الألوسي في جامع مرجان ، فنسختها ، وعلقت عليها تعليقات موجزة ، ونشرتها مع بحث كتبته في تأريخ الرجز وترجمة الراجز المذكور في مجلة « المجمع العلمي العربي » بدمشق (م ٨ ص ٣٨٥ ـ ٣٩٤ و ٤٧٢ ـ ٤٧٩) سنة ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨ م ثم جاء بعد ذلك بتسعة أعوام صديقي الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي أستاذ الأدب العربي بجامعة عليكرة بالهند ، فنشرها في كتاب « الطرائف الأدبية » (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٧ م) ، ونقل في مقدمته القصيرة للأرجوزة (ص ٥٥)

شهادة أبي عمرو بن العلاء لها أنها أتم أرجوزة للعرب ، وعلق على كلمة « أتم » بقوله : « كذا في المعاهد عن الأغاني ، ولكن في طبعته (أم الرجز) فحسبه الصديق .. أماً ، وسماها بأم الرجز »
والواقع خلاف ما يقول السيد الراجكوتي ، فان الذي في معاهد التنصيص (١/٨) طبعة المطبعة البهية إنما هو « أتم الرجز » لا « أم الرجز » ، فمن أين أتانا الصديق بهذه الدعوى ؟ واذن فأنا لم أحسبها « أم الرجز » لأنها بها سميت في هذه الطبعة من المعاهد ، وإنما وجدت هذه التسمية في المقدمة التي كتبها الشاعر عمر رمضان الهيتي بين يدي الأرجوزة ، وارتضيتها لأنها لا تخالف المعقول ولا المنقول ، ولأن راويها الهيتي من المحققين الثقات ، وإلى لشديد الأسف على أن أغفلت عند نشر الأرجوزة هذه المقدمة ، وهذا نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم قال أبو النجم الفضل بن قدامة العجلي هذه الأرجوزة ، فذكر جماعة من العلماء أن هذه الأرجوزة (أم الأراجيز) ، وذكر بعضهم أن كل أبياتها يستشهد بها بالعربية واللغة » ، فهي عند العلماء « أم الرجز » أو « أم الأراجيز » لأنها « أتم الرجز » ، وأحسب الصديق الراجكوتي حين منع ذلك راعه أن تكون للرجز أمّ ، ولا يكون له أب ! هلا راعه مثل ذلك من تسمية الفاتحة « أم الكتاب » ، ومكة « أم القُرى » ، والمجَرَّة « أم النجوم » ، والدماغ « أم الرأس » ، وغير ذلك مما يتسع الاحتجاج به في هذا المقام الضيق !؟

ص ١٤/٢/١٧٤ : « يحيى التبريزي اللغوي (ـ ؟) » يريد أنه لم يهتد الى معرفة سنة وفاته ويحيى المذكور هو الشيخ الإمام أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي شارح « حماسة أبي تمام » و « ديوان المتنبي » و « سقط الزند » و « المفضليات » و « المعلقات » ومؤلف « اصلاح المنطق » و « تهذيب الألفاظ » و « الملخص في إعراب القرآن » وغيرها من الكتب الممتعة ، وترجمته على طرف الثمام من كل باحث ، فهي في كتاب وفيات الأعيان وهو من مراجع المصنف في تدوين وفيات المؤلفين ، وفي نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، وفي بغية الوعاة ، وفي مقدمة « كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ » طبعة بيروت سنة ١٨٩٥ م وغيرها ، وفيها : إنه توفي سنة ٥٠٢ هـ ببغداد

ص ٣١/٢/١٧٦ : « الإيضاح شرح المفصل الزمخشري ، مؤلفه : أبو عمرو عثمان بن علي المعروف بابن الحاجب » ، والصواب : أبو عَمْرو عثمان بن عمر كما في وفيات الأعيان (١/٣١٤)

وبغية الوعاة (٣٢٣) وقد ورد على الصحة فى ص ١٩٢

١٩٠ /١/٦ : « نظم الأجرومية ، مؤلفه : علاء الدين علي الآلوسي (ـ؟) » وهذه المنظومة مطبوعة بالمطبعة الأدبية فى بيروت سنة ١٣١٨ هـ باسم « نظم المقدمة الأجرومية في علم النحو أما اسم الناظم فهو علي علاء الدين الألوسي ، وأما سنة وفاته التي يشير المصنف الى عدم اهتدائه اليها ، فهي فى كتابي « أعلام العراق » ، وهو من مراجعه فى تدوين وفيات المؤلفين و « الألوسي » بالقصر على الأصح

ص ٢٠١ /١/٢٥ : « الفوا كه الألوسية على الرسالة الأندلسية ، مؤلفه : سعد الدين عبد الباقي بن محمود بن عبد الله الآلوسي (— ؟) » والصواب « الفوائد الألوسية » ، والرسالة في العروض ، وهي مطبوعة ببغداد ، وترجمة مؤلفها وسنة وفاته فى كتابي « أعلام العراق » وهو من مراجع المصنف فى تحقيقاته وتدوين وفيات المؤلفين ، و « الألوسي » بالقصر على الأصح كما قدمت

ص ٢٢٠ /١/٢٩ : « بلاد العرب ، مؤلفه : لغدة الأصفهاني أبو الحسن بن عبد الله (— ؟) .. كتبه السيد نعمان الألوسي سنة ١٢٩٩ » .. والصواب : أبو علي الحسن بن عبد الله المعروف بلُكُذة ، ويقال لغذة ، وهو من أعلام منتصف القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة فى النحو واللغة والبلدان ترجم له ابن النديم ، وحمزة الأصفهاني ، وياقوت الحموي ، والسيوطي ، وغيرهم وكتابه هذا من أقدم المخطوطات التي وصلت الينا عن بلاد العرب ، وفي خزانة كتب المجمع العلمي العراقي نسخة مصورة منه ، منقولة عن نسخة « مكتبة دار الآثار القديمة » ببغداد ، عن نسخة الألوسي هذه أنظر البحث الذي كتبه عنها الأستاذ الشبيبي في مجلة المجمع العلمي العراقي (١/٣٩)

ص ٢٢١ /١/١٣ : « نشوة المدام في العود الى مدينة دار السلام ، مؤلفه أبو الثناء محمود الآلوسي (— ١٢٨٠) بخط ابنه السيد نعمان ، كتبها سنة ١٢٧٠ » والصواب « نشوة المدام في العود الى مدينة السلام » بحذف « دار » وقد عدّ المصنف هذا الكتاب من المخطوطات أيضاً ، وهو مطبوع مع صنوه « نشوة الشمول في السفر الى اسلامبول » للمؤلف ،

ومن الغريب أنه ذكر قبله هذا الكتاب وأشار الى طبعه ، وفاتته الإشارة الى طبع الثاني ، وهما مجموعان في سفر واحد

ص ١٥/٢/٢٧٧ : « شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم ، مؤلفه : أبو الثناء الآلوسي ... كتب سنة ١٣٩٩ » وأنا قد لخصت هذا الكتاب وجردته من سجعاته وزوائده ، وأضفت اليه فوائد مهمة عن المترجم وعن خزانة كتبه المشهورة في المدينة المنورة ، ونشرت ذلك في مجلة الزهراء في القاهرة لمنشئها الكاتب الكبير الأستاذ محب الدين الخطيب

ص ١٣/١/٢٢٣ : « نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب ، مؤلفه : شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي (ـ ٨٢١) » والذي ورد التعريف به في النسخة المطبوعة ببغداد سنة ١٣٣٢ هـ : « أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن سليمان بن اسماعيل القلقشندي المصري الشافعي الشهير بأبي غدة » ، وسماه ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب « أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي » ، وسماه السخاوي في الضوء اللامع « أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن الشهاب ابن الجمال بن أبي اليمن القلقشندي » واسم الكتاب في صلب النسخة المطبوعة « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » ثم نقل المصنف عن كشف الظنون (٤٠١/٢) قول مؤلفه الحاج خليفة فيمن ألف القلقشندي له كتابه ، ونصه : « ألفه لأبي الجود بقر (كذا) بن راشد أمير العربان الشرقية والغربية » ، وهذا النقل عن كشف الظنون لا ضرورة له تستدعيه ، والمفروض في مثل هذا المقام أن يكون النقل من صلب النسخة المخطوطة الموصوفة ، وأن يعارض ما فيها بما في النسخة المطبوعة ، فاذا وجد خلاف بينهما روي ، وعزز بما يهيأ للباحث من الشواهد ، والذي ورد في النسخة المطبوعة ببغداد أن القلقشندي ألف كتابه هذا « للعزيز الأشرف أبي المحاسن يوسف الأموي ، عزيز المملكة المصرية وسفيرها ، ومدبر الممالك الإسلامية ومشيرها » فهل يخالف هذا النقل عن كشف الظنون النص الذي في صلب النسخة المخطوطة من نهاية الأرب ، أو يؤيده ؟ هذا ما كان ينبغي المصنف أن يوضحه

ص ٢٤٧ : « ... لأبي القاسم المحدث الينساوري (؟) » والصواب « النيساوري » بتقديم النون على الياء المثناة

ص ٨/٢/٢٤٩ : « مقدمة في علوم الحديث لمحمد بن الجزري ، أولها :

يقول راجي عفو رب رؤف محمد بن الجزري السلفي »

والصواب « رئف » بوزن فَرِح ، والرائف والرئف : الراحم

ص ٣١/٢/٢٥١ : «.. هذا تعليق لطيف على سند إمامنا الشافعي » ، والصواب « مسند »

ص ٩/٢/٢٥٥ : ذكر رسالة « الحباء في الإيصاء » للسيد نعمان الألوسي ، وعدهـا من المخطوطات ، وهي مطبوعة بمطبعة « متين » في استنبول سنة ١٣٢٨

٢٥/٢/٢٥٥ : « ١ ـ جواب رسالة من لاهور فى حق سب الصحابة » ، والصواب « .. فى حق من سب الصحابة »

ص ١١/١/٢٥٦ : « وآخر » ، والصواب « وأخَر »

ص ٢١/٢/٢٥٧ : « وحدة » ، والصواب « واحدة »

ص ١٤/١/٢٥٨ : « ٣ ـ العلم الشامخ فى إثيار الحق على الآباء والمشايخ ، والصواب « ايثار » بتقديم الياء المثناة على الثاء المثلثة ، وفى النسخة المطبوعة « تفضيل » مكان « ايثار » ، وهو تأليف العلامة المحقق المجتهد المتحرر صالح بن المهدي المقبلي اليمني المتوفى سنة ١١٠٨ هـ ، وقد سماه المصنف « العقيلي » ، وهو خطأ ، وعد الكتاب مخطوطاً ، وهو مطبوع — مع ذيله المسمى كتاب الأرواح النوافخ للمؤلف نفسه — بمطبعة المنار فى القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ « عن نسخة منقولة من خزانة كتب شيخ الاسلام حسن حسني افندي » ، وهو كتاب عجيب حقاً

ص ٢٦/٠/٢٥٨ : « ٥ ـ خلاصة الفوائد فى العقائد أرجوزة أولها :

الحمد للواحد ذي الجلال المتقن الأشياء على الكمال »

والصواب قصر « الأشياء » ليستقيم الوزن

ص ١٨/١/٢٦٠ : « حاشية على شرح المواقف لخواجة زاده الرومي » والصواب حذف النقطتين من هاء « خواجه »

ص ٢٨/١/٢٦٠ : « الحمد لله صلى ذو الجلال على خلاصة الأنبياء كنز المساكين » .

واستقامة الوزن تتطلب قصر « الأنبياء »

ص ٣٠/١/٢٦٢ : « .. لمصطفى بن علي لفناري » ، والصواب « الفنّاري »

ص ١/٢/٢٦٢ : « حاشية على شرح القاضمير لهداية الحكمة » ، والصواب « القاضي مير » كما ذكر في ١٠٨ ، ١٠٩ ، وجاء اسمه فيهما حسين بن معين الميبدي ، وفي ص ٣١٣ حسن مكان حسين ، وفي ص ٣٥٤ « لميبدي » !

ص ٢٩/١/٢٦٧ : « .. وابن القيم الحرّاني » ، وهو دمشقي وليس بحرّاني ، وستأتي كلمة عنه في آخر هذا البحث ، إنما الحرّاني شيخُهُ الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية

ص ٣٣/١/٢٦٧ : « احتيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لابن رجب » ، والصواب « اختيار .. » بالخاء المعجمة وكرر الخطأ في ص ٢٠/١/٢٨٥ على هذه الصورة : « احتيار الألى في شرح حديث اختصام الملأ »

ص ٨/٢/٢٦٧ : « كتاب بيان فصل علم السلف .. » ، والصواب « فضل علم السلف .. »

ص ٢٢/١/٢٦٨ : « ٢٤ ـ بعض فتاوى ابن القيم وابن تيمية ونقول من كتابه الفوائد » ، والضمير يعود الى أقرب صاحب له ، وهو هنا ابن تيمية ، وليس لابن تيمية كتاب بهذا الاسم ، إنما هو لتلميذه الإمام ابن القيم ، واسمه بدائع الفوائد ، وهو مطبوع بالمطبعة المنيرية في القاهرة في أربعة أجزاء

٣٢/٢/٢٦٩ : « ٧ ـ رسالة في السماع لتقي الدين بن تيمية الحرّاني » ، وقد عدها من المخطوطات ، وهي في الجزء الثاني من مجموعة الرسائل الكبرى للامام المذكور المطبوعة بالمطبعة الشرفية في القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ

ص ٢٠/١/٢٧٠ : « ٣ ـ جواب لابن تيمية في صحة مذهب أهل المدينة » ، « ٤ ـ غزو الجيوش الإسلامية في الرد على المعطلة والجهمية » عدها من المخطوطات وكلاهما مطبوع ، وقد ذكر المصنف في هذه الصفحة رسائل عدة لابن تيمية ، كلها أو معظمها مطبوع ، ولم يشر الى ذلك

ص ١١/١/٢٧٦ : « كتاب النور من كلمات أبي طيفور أبو يزيد البسطامي » كذا ، والكتاب مطبوع بمصر ، ولكنه ليس في متناول يدي الآن

ص ١/٢/٢٨٣ : « التحفة المرسلة الى النبي (ص) في وحدة حدة الوجود للبرهابنوري .. » ، وكلمة (حدة) مقحمة ، والبرهابنوري صوابه البرهانبوري بتقديم النون على الباء الموحدة كما ذكر في ص ٢٧٩

ص ٢٠/٢/٢٨٥ : « لشافعي » والصواب الشافعي ، وفي السطر ال ٣١ « للشيخ » وصوابه « الشيخ »

ص ٣٣/٢/٢٨٩ : « حزب الأوقات وورد الساعات ، العشائري البغدادي ، أوله : الحمد لله » والصواب : « ... لحسين العشاري البغدادي » ، ويجب حذف هذا السطر : العشائري الخ ، لأنه أعيد صحيحاً في أول ص ٢٩٠

ص ١٩/٢/٢٩٧ : « مناظرة محي السنة عبد العزيز الكناني مع بشر بن غياث المريسي ... » ، وهذه المناظرة تسمى « كتاب الحيدة » ، وهو مطبوع بالمطبعة الحسينية في القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ مع الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية وكتاب عقيدة السلف لأبي عثمان اسماعيل بن عبد الرحمان الصابوني ، في سفر واحد طبعه الحاج حنبل الذكير النجدي البصري وجعله وقفاً لله تعالى لايباع ولا يشترى وقد لخصه ، وهو كتاب رائع حقاً ، الأستاذ عبد القادر المغربي في محاضرة له ألقاها في المجمع العلمي العربي بدمشق في ٢٨ آذار سنة ١٩٢٥ م ، ونشرها في الجزء الأول من المجلد التاسع والعشرين من مجلة المجمع المذكور بعنوان « مناظرة عالمين في مجلس المأمون » ، وهي في موضوع (خلق القرآن) الذى آذى الناس به المأمون ثم المعتصم من بعده عفا الله عنهما

ص ٦/٢/٣٠٥ : « اللؤلؤ التنظيم في روم التعلم والتعليم » ، والصواب « اللؤلؤ النظيم »

ص ٢/٢/٣١١ و ٦ : « .. لأبي الفتح بن مخدوم الحسيني » ، ولا أراه الا ابن مخزوم بالزاي

ص ٦/١/٣١٤ : « بعض الفتاوى والمباحث المفقية » ، وصوابها « الفقهية » ، وهو من غلط الطبع

ص ٢٤/١/٣١٦ : « مجموع فيه مباحث لغوية وأبيات وطرائف وأخبار تاريخية » للسيد أحمد حامد بن أبي الثناء الآلوسي .. » ، والصواب : محمد حامد ... والألوسي (بالقصر)

ص ١٤/٢/٣١٧ : « ٥ ـ أرجوزة في الزحافات والعلل .. » ، وإنما هي الزحافات بالزاي

ص ٧/١/٣٢١ : « ٢ ـ مثلثات قطرب النحوي ، وفي آخرها نظم المثلثات لبعضهم » ، ومثلثات قطرب مطبوعة ، وقد فاته التنبيه على طبعها

ص ٢٢/١/٣٢١ : « الغيث المنسجم شرح لامية العجم للخليل بن أيبك الصفدي » ، والكتاب مطبوع في مجلدين ، واسمه فيه وفي كشف الظنون « الغيث المسجم في شرح لامية العجم »

ص ٢٨/١/٣٣٥ : « بدائع الفوائد ، مؤلفه : محمد بن أبي بكر ابن القيم .. مجلد حسن .. طبع بدمشق » ، ولا أعرفه مطبوعاً الا طبعة واحدة هي طبعة المطبعة المنيرية بالقاهرة في أربعة أجزاء كما قدمت والمؤلف من أعاظم أئمة الإسلام ، وهو ـ على ما في شذرات الذهب (١٦٨/٦) ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي ، بل المجتهد المطلق ، المفسر ، النحوي ، الأصولي ، المتكلم ، الشهير بابن قيم الجوزية ولد سنة ٦٩١ هـ ، وتوفي سنة ٧٥١ هـ

والمصنف الفاضل حيث يورد اسم « يحيي » و « محيي الدين » في كتابه ، إنما يكتبهما هكذا : « يحى » و « محى الدين » ، ويسقط همزة الوصل من « ابن » اذا ورد في أول السطر خلافاً لقانون رسم الكتابة ، والتنبيه على ذلك جملةً يغني عن سرده

وبعد ، فلعل ما تركته من مآخذ أكثر مما أوردته ، فقد يقع المتقصي المتعمق على ضعف ما عرضت لتبيانه مما فات « الدكتور » من وفيات المؤلفين ، أو ماعدّه من الكتب مخطوطاً وهو مطبوع ، أو مافاته من الغلط ولم ينبه عليه على أن عمله في تصنيف هذا الكتاب الضخم لايقدم عليه الا المتحلّون بالجراءة والصبر من روّاد المعرفة ، والكتاب مع ما اعتوره من مآخذ كتاب نافع يستوجب تقدير المصنف وشكره والثناء عليه ، ولسنا بالمعصومين فنطلب الكمال من غيرنا ، ولكن الكمال قد يدرك بالتعاون ، وقد يبلغ كله أو بعضه حين يجعل العلماء رائدهم تبيان الحقائق وحين يبتغون الوسيلة اليه غير مستكبرين ولا متعالين

محمد بهجة الأثري

الشرق الأوسط في مؤلفات الأمريكيين

يتألف هذا الكتاب من خمسة فصول ، هي : حضانة الشرق الأوسط للثقافة العربية ، والفنون والآثار الاسلامية ، والسياسة الدولية فى الشرق الا وسط ، وتطبيق مشروعات التنبي فى الشرق الأوسط ، ودروس من الشرق الأوسط وقد كتب هذه الفصول بالانكليزية ـ وهي فى ٢٠٣ صفحات ـ جورج سارتون ، وريشارد أتنكهاوزن ، وكوينس درايب ، وفيلكس بوشنسكي ، ووليم دياموند ، وروجر سولتوه من أساتذة الجامعات الأمريكية وقد جمعها مجيد خدورى ، ونقلها الى العربية الدكتور عمر فروخ ، والدكتور مصطفى زيادة ، والسيد جعفر خياط ، بطلب من مؤسسة فرنكلين ، وهي مؤسسة أمريكية مقرها في مدينة نيويورك ، تكونت من اتحاد جملة شركات للنشر ومن نفر من المعنيين بشؤون الشرق الأوسط وجماعة من أساتذة الجامعات ، وغايتها كما جاء فى مهاجها تعريف العالم العربي بخلاصة الفكر الأمريكي من غير تفكير فى ربح أو خسارة ، لأنها مؤسسة ثقافية تتلقى أموالها مما يقدم اليها من مساعدات وتبرعات وقد أنشأت لها فرعاً فى القاهرة ليتولى الإشراف على طبع ما تقرر الشركة ترجمته ، وليقدم اليها المشورة فى اختيار ما يناسب العالم العربي من الكتب ومن جملة ما قررت ترجمته فى برنامجها لعام ١٩٥٣ م « كتاب مواقف حاسمة فى تاريخ العلم » لجامس كونانت ، و « الفنون الاسلامية » لدعماند ، و « تطور الفكر السياسي » لجورج ساباين ، و « المذاهب الاقتصادية الكبرى » لجورج سول ، و « علم النفس التعليمي » تأليف كيتس ، و « الأطلس الاسلامي » لهاري هاراد ، و « المملكة العربية السعودية » تأليف كارل تويجل ، ومؤلفات أخرى وطائفة من القصص المشهورة للكبار وللصغار

وقد كتب فصل « حضانة الشرق الأوسط للثقافة العربية » عالم خبير بتأريخ العلم ، اشتهر بكتاب « تاريخ العلم » وله فصول قيمة عن الحضارة العربية وجملة محاضرات فى التأريخ الاسلامي ألقاها فى الجامعة الأمريكية ببيروت استهله بموضوع العالم وهل هو فى تقدم أو فى تأخر ، ثم انتقل الى التقدم فى ميدان العلم ، ثم الى مهد المدنية الأولى ، والى أن منشأ العلم هو فى آسية لا في أوربة ، ثم انتقل الى تأثير الشرق على اليونان ، ثم الى ظهور الاسلام وأركانه ، ثم الى

عبقرية اللغة العربية ولغة القرآن الكريم ، وما شابه ذلك وقد كتب بأسلوب علمي لطيف ، فيه عمق ومادة اشتهر بها المؤلف

أما الفصل الثاني ، فهو عن « الفنون والآثار الاسلامية » ، وكاتبه ريتشارد أتنكهاوزن باحث ألماني الأصل ، هاجر الى الولايات المتحدة مع من هاجر اليها من الألمان ، وانصرف الى دراسة الفنون الإسلامية وقد تحدث فيه عن لغة الفن ، وأنها لغة انسانية عالمية ، ثم انتقل الى خصائص الفن الاسلامي ، وأثره في الفن الأوربي في القرون الوسطى فما بعدها ، ثم الى المشتغلين فيه من الأوربيين ، والى فروع هذا الفن

أما فصل « السياسة الدولية في الشرق الأوسط » ، فقد كتبه كوينس رايت ، وهو استعراض عام سريع للحالة السياسية في الشرق الأوسط وهو أشبه ما يكون بمقالات المجلات السياسية ، تكتب على الطريقة الأمريكية في معالجة المشكلات وتمثل هذه الطريقة السهلة المبسطة التي تحاول تبسيط المشكلات ليتمكن الوسط ومن هو دون الوسط من الوقوف عليها ، كتبت الفصول الأخرى

لذة الخرائب

Pleasure of Fuins

يقع هذا الكتاب في « ٤٥٧ » صفحة تليها « ٩ » صفحات هي ثبته ، وقد طبعته شركة Weidenfeld and Nicolson في لندن عام ١٩٥٣ م . وزين بصور « فوطغرافية » وبخيلية كثيرة للخرائب التي ورد ذكرها في ثنايا صفحاته ولبعض الرحالين والكتاب ، زانت الكتاب حسناً وزادته فائدة

والكتاب تأليف سيدة انكليزية من أسرة روز مكولي Rose Macauly من نسل اللورد مكولي الشهير ، كتبته بأسلوب رصين ، ورصعته بأبيات من الشعر وبمقتطفات من كتابات مشاهير الكتاب العالميين مما له علاقة بالآثار وقد استوحته من أثر الخرائب في حسها المرهف ، ومن معارفها التي جمعها في رحلاتها العديدة التي استغرقت سنوات للبحث عن اللذة : لذة الخرائب ، فجاء آية في الفن الكتابي ، وتحفة نفيسة في الأدب الانكليزي في القرن العشرين لا تكاد تبدأ بقراءته حتى تشعر بقوة تصوير صاحبته وبتدرسها الفنية وبعلمها الغزير في الأدب ،

ثم لا تكاد تنتهي من قراءته حتى تكون من عشاق هذه اللذة : لذة الخرائب وما تحدثه فى نفسك من نشوة ولهفة وشوق

وليس هذا الكتاب وصف سياحة أو معالجة موضوع آثاري معين ، إنما هو كتاب فى اللذة التي تنشأ عند الأفراد أو الجماعات من زيارة الخرائب ، حرصت المؤلفة على أن تظهرها فى هذا المؤلف ، فجمعت ما أمكنها جمعه من انطباعات القدماء وكبار المعاصرين عن الآثار من نثر أو شعر ، فأرسلته بين انطباعاتها ، وتعرضت لها بالشرح والتفصيل وبيان ما فيها من سحر وبيان وقد اقتضى ذلك بالطبع أن يكون مع ترتيب الأماكن التي زارتها ومنسجماً مع مقتضى الحال فهو كتاب أدب وكتاب سياحة وكتاب آثار ، وان شئت قلت انه كتاب جامع بين هذه الأمور

دراسات في تاريخ قفقاسية

Studies in Caucasin History

يقع هذا الكتاب المطبوع في سنة ١٩٥٣ فى « ١٧٨ » صفحة مع الفهارس ، خلا « ١٨ » صفحة ألحق بالصفحات المذكورة هي فصل من «كتاب جامع الدول » لأحمد بن لطف الله الملقب بمنجم باشي ، عنوانه « باب الشدادية » المؤلف بالعربية

وقد أخرج هذا الفصل وشرحه ونقله الى الانكليزية المستشرق ولاديمير مينورسكي الأستاذ فى جامعة لندن ، وأضاف اليه فصولاً نافعة فى أصل الأسرة الشدادية وفروعها ، وفي تأريخ صلاح الدين فبحث فى أصله وفى روايات الصليبيين وأقوال الغربيين فيه وتكلم فى الملحق على الأكراد فى عهد الأيوبيين أما الملحق B فقد خصصه بفتوحات الأيوبيين كما تحدث بعد ذلك عن بني رواد « الروادية » وعن بني سالار وألحق بالكتاب ثبتاً بالأعلام الواردة فيه

وولاديمير مينورسكي من المستشرقين المتخصصين بهذه البحوث ، وله تتبعات واسعة فى تأريخ الايرانيين والأكراد . أما النص العربي ، فهو مورد مهم لمعرفة تأريخ القوقاز وارمينية وشمال غربي ايران والأقسام الشمالية من العراق . جاءت فيه أمور مهمة عن تأريخ بني شداد ما بين سنة ٣٤٠ و سنة ٤٦٨ للهجرة . وقد استند المؤلف أحمد بن لطف الله المتوفى بمكة سنة ١١١٣

للهجرة الى موارد عديدة ، منها : تأريخ الباب وشروان ، وهو فى تأريخ باب الأبواب وشروان وأران ، وقد انتهى منه مؤلفه فى سنة ٥٠٠ للهجرة والكتاب وثيقة مهمة وضعها هذا المستشرق بين أيدي المؤرخين

ARABICA

هـذا عنوان مجلة جديدة أصـدرها فى شهر كانون الثاني ١٩٥٤ باللغة الفرنسية المستشرق ليفي بروفنسال E. Levy Provencal مدير معهد الدراسات الإسلامية فى باريس وعضو الموسوعة الاسلامية Encyclopedia of Islam المعروف ببحوثه فى تأريخ العرب فى الأندلس ، وتولت مؤسسة بريل E. J. Brill بمدينة ليدن Leiden طبعها ونشرها

وقد أسهم في تحريرها المستشرقون الفرنسيون : ماسنيون ، وبلاشير ، وبلا ، وأفرد فيها باب لنقد الكتب ، وآخر لأخبار المؤسسات العلمية المشتغلة بالعربيات وقد أشارت المجلة في الصفحة « ١١٩ » الى كتابنا تأريخ العرب قبل الاسلام من مطبوعات هذا المجمع

تذكارات جان سوفاجيه

Memorial Jean Sauvaget

اخرجه المعهد الفرنسي بدمشق ، عدد صفحاته ٣١٢ صفحة من الحجم المتوسط

يتألف هـذا الكتاب من جملة أجزاء ، هذا هو الجزء الأول منها : حوى الاشارة الى مؤلفات المستشرق « سوفاجيه » وبحوثه ، والمظان التي نشرت فيها ، كما جمع بين دفتيه بعض المقالات التي نشرت فى حياته

والغاية من نشر هذا المؤلف أن يكون أثراً يخلد ذكرى هذا العالم وقد جرت عادة الغربيين بأن يقوم أصدقاء المرء الذى يراد تخليد اسمه بنشر مقالات تطبع فى كتاب باسمه ، أو أن تجمع مقالاته المبعثرة فى كتاب ، أو جملة مؤلفات ، أو أن ينشر أثر واحد كبير أو جملة آثار من آثاره تقديراً له وهي عادة حسنة طيبة تدل على نبل وحسن خلق : حرى بنا أن نقتفي أثرها ؛ لأنها تجعل الميت حيا ، وتفيد الآخرين وهي أنفع من أقوال تقال ومن شعر ينظم ، ومن توجع للراحل يظهره الناس ، ثم يذهب كل ذلك مع الذاهبين

جواد علي

أنباء وآراء

الإمارة العربية في ميسان Maecene

نشرت « مجلة المجمع العلمي العراقي » في مجلدها الثاني ترجمة ما كتبه سترابون في صفة « بلاد العرب » : تبتديء بلاد العرب من ناحية بلاد بابل بمدينة مايسيني Maecene ، وفي مقدمة هذه الكورة تقع صحراء العرب من ناحية ، ومن الناحية الأخرى البطائح القابلة لأرض الكلدانيين ، وعلق صاحب المقال على كلمة مايسيني ما يأتي : « لعلها (المسيب) الواقعة على مسافة قليلة شمال (بابل) ، « غوسلين Gosselin » وهذا التعليق لا يمت الى البحث العلمي بصلة ما ، كما أن سترابون لم يكن محقاً فيما بدأ به وصفه بلاد العرب

لم يكن سترابون جغرافياً كجغرافيي العرب الذين يرحلون فيشاهدون ويكتبون ، وإنما كان كما قال السير آرنولد ويلسون : إنه لم ير بلاد الهند والفرس ، وإنما استقى معارفه عنهما من الكتاب الذين تقدموه ، فأخذ عن Aristobulus و Nearchus وعن مؤرخي الإسكندر ، واعتمد في كتابته عن البلاد العربية والهند والبحر الأحمر على Agath archides و Aelius gallus و Artemidorus [1]

لننظر الآن في أحد المصادر التي اعتمد عليها سترابون فيما كتب ، وهو حملة القائد نرخوس الذي قاد أسطول الإسكندر من السند الى خليج البصرة

مخرت الحملة هذه من مياه السند في غرة أيلول في سنة ٣٢٦ ق م ، ويحدثنا تأريخ الحملة هذه أنهم ذكروا مصب نهر Arabius ، وأن مصب هذا النهر يقع في الشرق من Sonmeany ، وأن السكان الذين يطلق عليهم Arabitae قد فروا الى الداخل لما رأوا الإسكندر [2]

---

(١) The Persian gulf P. 47

(٢) Lient - Colouel Chesney, S Expedition in the year 1835 1836 and 1837 vol. 2. P. 342.

وترينا الخارطة المرفقة بهذا التقرير القيم أن Sonmeany تقع بالقرب من الحدود الفاصلة بين السند وبلوجستان أي في مكران

وتحدثنا الحلة أنه لما كان نرخوس فى (هرمز) أتاه الأمير المسمى Mazanes لمساعدته فى طريقه هذا ، وربما كان مجيء الأمير هذا بأمر من الإسكندر ليشارك نرخوس فى تسهيل مهمة الحلة

ثم تحدثنا الحلة أن السفن وصلت الى جزيرة Angam (من المحتمل أن تكون هنكام) ، وبعد ذلك الى Sitakus (أبو شهر) ، ثم الى نهر عظيم يسمى Arosis ويرى الباحثون فى هذه الحلة أنه نهر (طاب) ، وأن هذا النهر يفصل بين ولاية فارس والسوس ويقول ياقوت في معجمه : طاب أعظم نهر بفارس مخرجه من جبال أصبهان بقرب البرج حتى ينصب فى نهر مَسَرِيس ، وهذا يخرج من حدود أصبهان فيظهر بناحية السردن عند قرية تدعى مَسَرِيس ، ثم يجري الى باب أرّجان تحت قنطرة رَكان ، وهى قنطرة بين فارس وخوزستان ، فيسقى رستاق ريشهر ، ثم يقع فى البحر عند تستر (١)

تحدثنا الحلة أن العرب استعمروا السواحل الشرقية الممتدة من خليج البصرة حتى كراشي وتحدثنا الحلة أن القسم الجنوبي من كرمان أي لارستان وغيره كان الجزء المهم من دولة هرمز الحميرية Homyaritie Kingdom of Hormuz ، وأن نرخوس علم من ملك تلك الدولة أن القبر الموجود فى Tyrina (كيشم) هوقبر Erythras الذي أعطى اسمه لجزء من البحر المجاور له (٢)

ويحدثنا ياقوت عند ذكر جزيرة (قيس) ، ويذكر مكانتها الجغرافية فيقول : وقيس جزيرة ، وهي كيش في بحر عُمان ، دورها أربعة فراسخ ، وهى مدينة مليحة المنظر ذات بساتين وعمارات جيدة ، وبها مسكن ملك ذلك البحر صاحب عمان ، وله ثلثا دخل البحرين ، وهي مرفأ مراكب الهند وبر فارس ... الخ (٣)

وكان فى هذه البعثة أيضاً (أنيسوورث) الذي كتب كتاباً مستقلاً يصف فيه ما رآه وما شاهد في أثناء التطواف ، فأراد أن يثبت مكان كورة ميسان Mesene التي تعود للأمير العربي زمن

(١) معجم البلدان ٦/٢

(٢) شبنجر ٢٩١/١ ، وانظر ما نقله (ويلسن) في ص ٤٤ من كتابه (٣) ١٩٦/٧ .

الإسكندر المكدوني فى القرن الرابع قبل الميلاد

استند (اينسوورث) الى وصف Xiphilius الذى يقول فيه : وكان ثمة ، أي فى مصب خليج البصرة ، جزيرة متكونة من مياه دجلة يقال لها Messana بادارة حكومة Athambilus ، ويفهم مما ذكره Xiphilius أن كورة Mesene فى عهد راجان الروماني كانت تقريباً تمتد الى الجنوب (١)

ونقل اينسوورث ما لاحظه السير هنري رولنسن : أن الفرس القدماء سموا جزيرة عبادان باسم مَيان (Or Mizan) روذان أي (وسط الأنهار) ، وأنهم في هذه التسمية تابعوا الإغريق الذين أطلقوا عليها اسم Mesene ، ويرى رولنسن أيضاً أنه من المحتمل أن الشرقيين أخذوا اسم ميسان من هذه التسمية (٢)

ويقول ياقوت : مَيان رُوذان فارسي معناه (وسط الأنهار) ، وهي جزيرة تحت البصرة فيها عبادان ، يحيط بها دجلة من جانبيها ، وتصب فى البحر الأعظم فى موضعين : أحدهما يركب فيه الراكب القاصد الى البحرين ، والآخر يركب فيه القاصد الى كيش وبرّ فارس فهذه الجزيرة مثلثة الشكل من جانبيها دجلة ، والجانب الثالث البحر الأعظم ، وفيها نخل وعمارة وقرى من جملتها المحرزي التي هي مرفأ سفن البحر اليوم (٣)

وبقيت كورة ميسان Mesene فى عهد السلوقيين ، إلّا أن مؤرخيهم يقولون : إن إدارتها كانت منفصلة ، وإنها تابعة لادارة البحر الأحمر (٤) وأما فى زمن الدولة الفارسية ، فانا نرى أنها كانت إمارة عربية في الكورة السلوقية القديمة التابعة للبحر الأريثري حوالي سنة ١٢٩ ق م (٥) ، كما أنها كانت معلومة عند أبناء السريان في المشرق باسم (ميشان) ، إذ يقول أدي شير : وإمارة ميشان أوبراث ميشان وقيل لها بالعربية (دست ميسان) وباليونانية (خارك) كانت على خليج العجم بأسفل أرض البصرة (٦)

---

(١) أينسوورث ١٨٠/٢ (٢) المصدر ذاته ١٨٩/٢ (٣) المعجم ٢١٩/٨

(٤) The House of seleucus by E. R. Bevan vol. 1 P. 252.

(٥) A political History of Parthia by N. E. Deleevoise P. 38.

(٦) تاريخ كلدو وآثور لأدي شير ١٧٩/١

لسب الآن بصدد كتابة تأريخ هذه الكورة كتابة واسعة ، وإنما أريد القول : إن العرب كانوا يملكون إمارة في هذه البقعة العربية منذ حين من الزمن ، وربما كان الزمن بعيداً جداً كما سيأتي

كان العرب يملكون هذا البحر من العالم ، وكانوا يسمونه (البحر الأخضر) [1]

وان المرء ليستغرب من تسمية القدامى لهذا البحر بالبحر الأحمر في بعض الأحيان

ويرينا التاريخ أنه كان عرب في الأهواز زمن انسياح العرب للفتح ، وكان في مناذر ونهر تيرى قبيلة بني العم [2]

ومناذر بلدتان من نواحي خوزستان : مناذر الكبرى ، ومناذر الصغرى [3] وتيرى بلد من نواحي الأهواز [4]

كما أن أسطول العرب غزا بلاد فارس من البحرين ، ولم ير له مقاومة من أحدما [5] ، مما يدل على تملك العرب لهذه البقعة وسيادتهم فيها براً وبحراً وكانت ميسان معلومة وقت الفتح العربي ، وذكرت في تواريخ الفتح ، ونود الآن أن نعرف سعة هذه الكورة استناداً الى ما ورد في الكتب العربية

ذكر ياقوت في مادة الحلة : « وحلة بني دبيس بن عفيف الأسدي قرب الحوزة من ميسان بين واسط والبصرة والأهواز [6] »

وقال أيضاً : « المذار في ميسان بين واسط والبصرة ، وهي قصبة ميسان ، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام ، وبها مشهد عامر كبير جليل عظيم قد أنفق على عمارته الأموال الجليلة وعليه الوقوف وتساق اليه النذور ، وهو قبر عبد الله (الصحيح عبيد الله) بن علي بن أبي طالب ، ويقال إن الحريري أبا محمد القاسم بن علي صاحب المقامات مات بها [7] » وقبر عبيد الله بن علي ابن أبي طالب لايزال موجوداً ومعروفاً في (قلعة صالح)

---

(١) أنظر مادة البحرين في ياقوت
(٢) أنظر الطبري في حوادث سنة ١٧
(٣) ياقوت ١٦٠/٨
(٤) ياقوت ٣٣٨/٨
(٥) أنظر الطبري في حوادث سنة ١٧
(٦) المعجم ٣٢٨/٣
(٧) المعجم ٤٣٣/٧

لا نستطيع كتابة جغرافية هذه الإمارة كتابة دقيقة ، لأن وضع الأرض في هـذه البقعة يتغير بتأثير ما تحدثه المياه من الطمي

يذكر لنا التاريخ أن نهر كارون فى زمن الإسكندر يصب رأساً فى البحر [١] ، أي أن شط العرب ــ كما هو اليوم ــ لم يكن حائلا بينه وبين البحر

أود أن أختم الموضوع بالفقرتين الآتيتين :

(الأولى) أنـه كان للعرب فى هذا الجزء من العالم دولة أطلق عليها الأستاذ (دوغرتى) دولة (سيف العرب) ، ونشر كتاباً سماه The Sealand Of Ancient Arabia وقد أجاد المؤلف وضع اسم Sealand لـكان هذه الدولة ، لان للعرب إمارات فى هذه الأسياف المحيطة بالبحر الأخضر

يقول الفيروز أبادي فى القاموس ما يأتي : « السيف بالكسر ساحل البحر ، وساحل الوادي ، أو لـكل ساحل سيف ، وإنما يقال ذلك لسيف عُمان » ، ثم يقول أيضاً : « وخور السيف دون سيراف »

وكان فى سواحل بحر فارس أسياف ثلاثة :

(١) سيف بني زهير ، وحد السيف هذا من تحت بجيرم الى حد بني عُمارة ، ومسكن آل أبي زهير كوان .

(٢) سيف بني الصفار ، وهم من آل الجلندي

(٣) سيف آل المظفر ، وهو من آل أبي زهير المقدم ذكرهم

ويقول ياقوت : « وكان المظفر بن جعفر بن أبي زهير معظماً ، استولى على سيف طويل فملـكه ، وعلك عامة الدستقان ، وله مملـكة السيف من حد جَيّ الى مجيرم مسكنه بالساحل [٢] .

ويقول فى (الديكدان) : « إنها قلعة عظيمة على ساحل البحر قريبة من جزيرة هرمز المقـابلة لجزيرة قيس بن عميرة ، تعرف بقلعة بني عمارة ، وتنسب الى الجلندي ، ولا يقدر أحد يرتقي اليها بنفسه ، إلا أن يرتقي فى شيء من المحامل ، ولم تفتح قط عنوة ، وهي مرصد لآل عمارة في البحر ، يعشرون فيها المراكب »

---

(١) شـى ١٩٩/١ (٢) معجم البلدان ١٩٧/٥ — ١٩٨

ونقل عن الإصطخري ما ذكره في بيوتات فارس ، فقال : « منهم آل عمارة يعرفون بآل الجلندي ، ولهم مملكة عريضة وضياع كثيرة على سيف البحر بفارس ، متاخمة لحد كرمان ، ويزعمون أن ملكهم هنالك قبل موسى بن عمران عليه السلام ، وأن الذي قال الله تبارك وتعالى فيه : (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) هو الجلندي ، وهم قوم من أزد اليمن ، ولهم الى يومنا هذا منعة وحد وبأس وعدد ، لا يستطيع السلطان قهرهم ، واليهم أرصاد البحر وعشور السفن [١] »

إن هذه البقعة العربية أصابها ما أصاب العراق من المد والجزر بين العرب والعجم ، فقد كان في زمن ياقوت (المتوفى سنة ٦٢٦) أمير فارسي في جزيرة قيس التي هي كيش في بحر عمان . ويصف الأمير بما يأتي : « وهو فارسي ، شكله ولبسه مثل الديلم [٢] »

وكفى قولاً ما قاله (ناصر خسرو علوي) في تحديد بلاد العرب من الشرق ، فان ذلك القول أحسن تفسير لما مضى ، حيث يقول في التحديد : « يحدها — أي الجزيرة — شرقاً بحر البصرة [٣] »

ويذكر لنا أيضاً اسم شط العرب لأول مرة في التاريخ ، وكان ذلك في سنة ٤٤٣ للهجرة ، حيث يقول : « للبصرة سور عظيم يحيط بها ما عدا الجزء المطل على النهر ، وهذا النهر هو شط العرب ، ويلتقي دجلة والفرات عند حدود مدينة البصرة ، ويلتقي بهما أيضاً قناة الحويزة فيسمى النهر حينئذٍ (شط العرب) » [٤]

ثم يذكر الأُبُلَّةَ ، فيقول : « والشط الكبير الذي هو دجلة والفرات مجتمعين والمسمى شط العرب ، يقع شرقي الأُبُلَّةِ ، والمدينة في الجنوب ، ويلتقي نهر الأُبُلَّة ومعقل عند البصرة [٥] »

فما تقدم نفهم أن حدود جزيرة العرب في الشرق يبدأ من بحر البصرة الذي تقع فيه إمارة ميسان Maecene التي ذكرها سترابون

وكان خليج البصرة زمن الفتح العربي يسمى (فرج الهند) ، ويقول الطبري : « فرج

(١) معجم البلدان ١٨٦/٤ (٢) المعجم ١٩٧/٧ (٣) سفرنامه ص ٩٥
(٤) سفرنامه ص ٧٨ (٥) سفرنامه ص ٩٩

أهل السند والهند يومئذ الأُبُلَّة » (١)

(الثانية) أن ميســـان كلة بابلية ، وهى مركبة من : « ما » بألف ممالة وهى « المآء » بالعربية ، و « سان » ، وهى تعطي معنى « القمر - الالـه » الذي كان معبوداً فى أرض بابل ، بل فى الأرضين التي تقع على ساحل البحر من حضرموت حتى السند

فكلمة ميسان البابلية تعطي معنى مآء القمر ، ويقصد بذلك - كما يلوح لي - المياه التي تتأثر من أوضاع القمر وإحداثه المد والجزر ، وهذا الرأي - وإن لم يظهر لنا فى الـكتابات البابلية فى يومنا هذا - أراه قريباً من الحقيقة إن لم يكن الحقيقة نفسها كما ستكشف عنه الأيام القبلة .

عبد الرزاق الحصان

الـكيّ « البجع » لا « الحيّ »

جاء فى قصيدة ابن نباتة الطردية المنشورة فى المجلد الثانى من هذه المجلة (ص ٣٠٤) قوله :

وكل حِى حسن الوسامه تخـاله فى أفقه غمـامه

وقال ناشرها الدكتور الفاضل محمد أسعد طلس ، وهو يعلق على كلمة « حىّ » ، ما هذا نصه : « في المخطوطة : وكل كيّ » وهذا يدل على استرجاحه كلمة « حى » على « كي » ، وهو خطأ ؛ لأن القصيدة فى ذكر « طير الواجب » المعروف أيضاً بالطير الجليل ، على حسب اصطلاح رُماة الفتيان أولي الفتوّة و « الـكي » الذي هو البجع من أنواعها الأربعة عشر ، وقد ذكرت أسماؤها فى قصيدة ابن نباتة المشار اليها آنفاً ، وهي « التم الـكيّ « البجع » الاوز الأنيسة الحبرج « الحبارى » النسر العقاب الـكركي الغرنوق المرزم السبيطر « اللقلق » اللغلغ العنّاز الصوغ » ولم يذكر ابن نباتة الصُوغ وجاء فى كتاب « مجموع » فى رمي البندق واصطلاحاته :

أيا سائلي ما الطير صنّفْ وكم له شروط إذا ما الرام خالطه الوهم ؟

---

(١) الطبري ٤/٥ طبعة الحسينية .

تمهلْ رعاكَ الله ، أما عدادهـا — فعد ليالي البدر إذ زانه التمّ
إوز وكي اللغ وأنيسـة — عقاب ونسر حبرج بعده سم
وكركي غرنوق وصوغ ومرزم — وعنازها بعد السبيطر يا سهم [(١)]

وقال عفيف الدين علي بن عدلان الموصلي فى شرح « ديوان المتنبي » المنسوب غلطاً الى أبي البقاء العكبري ، شارحاً قول المتنبي ٢/٤٤١ من الطبعة المصرية القديمة :

وملمومة سـيفية ربعيـة — يصيح الحصا فيها صياح اللقالق

« واللقالق جمع اللقلق ، وهو طائر كبير يسكن العمران فى أرض العراق ، وهو كثير فى قرى العراق ، يخوت على صدوح الطير (كذا) ، وهو من طيور الخليل (كذا أي الجليل) ، وهو أربعة عشر صنفاً يجمعها قولك : « أإن صالحك عمك عشت : إوز نسر صرد أنوق لقلق حبرج . كركي عبار (أي عناز) مرزم كـكم [(٢)] عقاب شرشور تدرج » وأسماؤها تختلف باختلاف البلاد ، فالكي هو البجع ، وهو « الحوصل » قال الدميري فى حياة الحيوان : « الحوصل : طائر كبير له حوصلة عظيمة ، يتخذ منها الفرو ، وجمعه حواصل قال ابن البيطار : وهذا الطائر يكون بمصر كثيراً ، ويعرف بالبجع وجمل المـاء ، والـكي : بضم الـكاف وسكون الياء المثناة من تحت ... »

مصطفى جواد

حول منظومة منسوبة الى الشاعر « الأخرس »

— ١ —

كنت نشرت فى المجلد الثاني من هذه المجلة قصيدة للشـاعر عبد الغفار الأخرس ، نفى الفاضل السيد محمد بهجة الأثري أن تكون للأخرس لأنها دون شعره . لاجدال فى أن القصيدة المذكورة هى من الشعر الدون ، ولـكني لا أنفي نسبها للأخرس بتاتاً ، فلعله نظمهـا فى صباه أثناء نزهة ربيعية مع إخوان له ، حشر فيها أسماء الأزهار التي تنبت حول بلدة الموصل من قبيل

(١) المجموع المحفوظ بدار كتب باريس « ٤٦٣٩ عربيات ورقة ٨٣ »
(٢) الـككم : طائر آخر ليس من الجليل

اللهو ، فكتبوها عنه أطلعني على القصيدة المذكورة السيد سعيد الديوهجي في مجموعة خطية استعارها من مكتبة آل النقيب بالموصل ، فنقلتها منها ، وجعلتها وسيلة لذكر الأسماء العلمية للنباتات الواردة فيها

الدكتور داوود الجلبي

ـ ٢ ـ

تضمنت هذه الكلمة أمرين اثنين استند اليهما كاتبها « الدكتور داوود الجلبي » في عَزْوِهِ « المنظومة » المنشورة في هذه المجلة (٢/٣٧٠) الى الشاعر عبد الغفار الأخرس المتوفى سنة ١٢٩١ هـ :

(١) إجازته أن تكون مما قاله في صِباه (٢) قوله إنه نقلها من مجموعة خطّية مستعارة من خزانة كتب آل النقيب بالموصل

وكلا الأمرين قد توقعت ـ في تعليقي الذي نُشِرَ في هذه المجلة (٢/٣٧٤ـ٣٧٧) ـ إمكان الاعتراض بهما ، فأوردتهما ونقضتهما بما فيه الكفاية قبل أن يوردهما الدكتور بأكثر من عام !

فأما الأمر الأول ، فكان مما قلته فيه : « ولا يحتج علينا بأن هذه الأبيات جائز أن تكون مما نظمه « الأخرس » في أوائل عهده بالنظم ... ذلك أننا ننفي عن الشاعر « الشاعر » أن تكون أوليّته كأوليّة صاحب « النونية الغزلانية » ذات الكصيب والتريك والطقيق والحاج كبّي فمن شب وهو لا يقول إلا مثلها ، يستحيل عليه أن يرتقي الى مثل طبقة « الأخرس » ؛ لأن الطبع الشعري مفقود فيها ، وكلّ لفظ فيها لا يدلّ إلّا على فسولة الطبع وبلادة الحسّ وموت الشعور وقد تعوّدنا أن نرى النوابغ مجيدين منذ يتفجّر ينبوع الشعر على ألسنتهم في صغرهم ، ثم لا يزدادون في الكبر إلّا حكمة التجارب وسعة الحيلة الفنية أما الطبع الشعري فهو في الكبر كما هو في الصغر ... » الى أن قلت : « ولا ريب في أن « الأخرس » كان على جانب كبير من أصالة الطبع الشعري ، فليس من الجائز عليه أنه كان في أوليّته ينظم مثل هذه المنظومة .... فانّ من يبدأ حياته الأدبية بمثلها ، يعجز كلّ العجز عن السموّ الى الأفق الذي حلّق فيه الأخرس »

والعلماء بالشعر يدركون وجاهة هذا الاحتجاج ، ويعرفون رجحانه في موازين النقد الفني والشعر والذوق

وأما الأمر الثاني ـ أو الآخر على الأصح ـ فقد عرضت له في تعليقي أيضاً ، حين شرحت المسالك التي يثبت بها إسناد الشيء الى صاحبه ، وكونه صادراً عنه حقاً ، فقلت : « .. وإذ أنتفى عنه هذا وذاك ، لم يبق إلا أن « الدكتور » إما روي المنظومة عن راوٍ زعم له نسبها إلى الأخرس ، أو هو قد نقلها من مجموعة من هذه المجاميع الخطية ، أصابها فيها منسوبة اليه فاطمأن اليها ورواها عنها ، ونسي أن يعزوها اليها ويسميها وأحد هذين الاحتمالين هو الشيء الطبيعي في مثل هذه الحال »

وها قد اعترف الدكتور بالشق الثاني من الاحتمالين المذكورين ، إذ صرح أنه نقل « المنظومة » من مجموعة خطية مستعارة وهو ليس بالحجة القاطعة المثبتة صحة العزو ؛ لأنني ـ كما قلت ـ أتهم الراوي (حاشاه) والمجموعة جميعاً ، ولا أراهما صادقين في حمل هذه المنظومة على « الأخرس » وقد عللت ـ من قبلُ ـ منعي نسبها اليه بأنها ليست من جنس شعره ، وقلت « إن الناحية الفنية وحدها هي التي تفصل في المسألة ، وتعين نسبة القصيدة الى صاحبها بلا جدال »

وقد شرحت هذه الناحية الفنية في تعليقي ، وفي الرجوع اليها غنى عن الإعادة

محمد بهجة الأثري

قصيدة « أخرسية » مجهولة

هذه قصيدة في مدح علي رضا باشا أحد ولاة بغداد ، للشاعر المشهور السيد عبد الغفار الأخرس الموصلي مولداً ، والبغدادي منشأ وثقافة ، والبصري الزبيري داراً ومدفناً ظفرت بنسختها في خزانة كتب آل باش أعيان بالبصرة في رحلتي اليها (مارت ١٩٥٣ م) للبحث عن نفائس التراث العقلي العربي التي قرر مجمعنا التنقيب عنها ، وتصويرها ، ليعمل على نشر ما يستطيع نشره منها ، ولتكون في متناول الباحثين الراجعين الى خزانة كتبه للتنقيب والتحقيق

وهي بخط الشاعر كما أعرفه من بعض أمثلته المحفوظة في خزانة كتبي الخاصة ، وعليها شهادة

مالكها الأول الشيخ عبد الله أفندي عميد آل باش أعيان رحمه الله كما تراها في الحاشية ، خلا منها ديوانه الموسوم بـ (الطراز الأنفس في شعر الأخرس) الذي جمعه بعد وفاته أحمد عزة باشا العمري ، وطبعه في استنبول

ولهاتين المزيّتين صورها وإن كانت مدحاً ، وننشرها هاهنا كما هي بخط الشاعر وشهادة المالك

محمد بهجة الأثري

ألا إنّ هذا الفؤاد اضطرم … فهل من مجير لهذا السقم
وفي كل بارقة لوعة … تشبّ وفي كل نصب ألم
وأيقظ وجدي برق يلوح … وقد نام عني من لم ينم
ولما سرى موهناً في الدجى … بكيت له من جوى وابتسم
وباحت دموعي بسر المصو … ن وسر الصبابة لا يكتتم
فلله برق أثار الغرام … ولله دمع جرى وانسجم
تصاممت عن عاذلي في الهوى … فما بي وديد الهوى من صمم
فمن منصفي من غرام [illegible] … ومن منصفي من حبيب ظلم
فلا سلم الصبر من مغرم … إذا ذكر الحي في ذي سلم
أملّ نفسي بنيل المنى … وما لي إلى نيلها معتصم
ومن لي بعزم الجريء الأبي … فلا ينثني عزمه إن عزم
وإني على شغفي بالخمول … أبرم من الدهر ما لم يرم
وقد شيبتني صروف الزما … ن وصرف الزمان يشيب اللمم
فما لي أقمت بأرض العراق … ولولا الخمول بها لم أقم
وكنت ترحلت عن وطني … إذا كنت في غيره لم أضم
إلى قايد عسكر المسلمين … ومقدامهم في الحروب الدهم
علي الرضى مشرق الفناء … وغيث العطاء غياث الأمم
قريب النوال مجيب السؤال … رحيب المنال رفيع الهمم
جزيل الثواب مجيد العقاب … شديد العقاب إذا ما انتقم
أذل الطغاة وأردى الكماة … وساق الصناديد سوق الغنم
إذا حارب الأمم الفاجرين … تصدع من شعبها ما التأم
بسيف مبيد ورأي سديد … وحزم شديد وأنف أشم
حسام لدولة عبد الحميد … مليك الملوك وسيف خذم
يقد به الهام ممن عصاه … ويفلق في شعره القمم
وإن هالك الحرب يوم النزا … ل تصدى لأهوالها واقتحم

للسيد عبد الغفار الأخرس … [illegible] … والي بغداد

[illegible]

وحسبك ان الملك اه لعفاه … ودولاً دفع الاهم الاهم
فكان اذا استحزن الآذرين … راى من على . في الذمم
فمن مثل صدق على ا رنى … تبلج صبح الرنى وابتسم
تقربه من علاه الملك … فكان البجل والمحتشم
وفي عدل هذا الملك العظيم … حماة الرعية من كل غم
اذا ابصرته ملوك الزمان … تقبل منه مكان القدم
به اعتصمت من جميع الخطوب … وفي مثل دوا المعتصم
بصنع اجاد وفضل عاد … وقرن اجاد وادب وعم
وتلك المواهب بين الملوك … مواهب كانت له في القدم
تلوذ باكنافه الخائفون … فنامن من كل امر مهم
وان كان بابا النيل المراد … فلا شك في بابه المزدحم
اهله شرعة الاردبن … بحيث النوال وحيث الكرم
مواردة نعمة تنتقى … وانظاره نعمة تغتنم
وقد خلق الله كفيهما … لحتف دنى او لرزق قسم
اعاد الى الملك شرخ الشباب … وعهد الشبيبة بعد الهرم
رقاها ببيض السيوف الحداد … فما برح الدا حتى انحسم
فاينع من روضها ما ذوى … وشيد من ركنها ما انهدم
حمى حوزة الدين في صارم … اذا اسر الموت فيه انهزم
تهدي الانام لسلطانه … بحسن الثناء وطيب الكلم
دعاة لدولته يستجاب … وعهد لخدمته يلتزم
وقفت له يا على الرضى … وهل ينفع الغادرين الندم
وقمت لخدمته قائما … لكرب الم وخطب هجم
ولله درك من صادق … اذا ميز الصدق والمتهم
ولاحت خفايا اسد ور الرجا … ل واصبح امرهم قد علم
الا لابرحت سرور الوجود … بمن اوجد الخلق بعد العدم
مليك نعيد الثناء الجميل … وبدء البداية والمختتم
وقد نظم العبد بيك القريض … نسل عن شبل لما قد نظم
يوم جناب على الجناب … ومن حق حضرته ان تؤم
يري عماليه للناظرين … لامثل نار باعلى علم
وانطق بالمدح مني اللسان … واسمع بالصيت صم الاصم
حمد افرغت في الفا … شكرانه سائغ في كل فم
لقد شملتنا له نعمة … وقد اوجب الله شكر النعم
فيا ليتني كنت في ظله … وكنت اكون كبعض الخدم
افوز بباب على الجناب … فاروي محاسن تلك الشيم
وانشده الشعر … يترجم عنه لسان القلم

خلاصة عن أعمال المجمع العلمي العراقي

هذه تذكرة لما قام به المجمع في غضون المدة التي انصرمت بين آخر مجلد صدر من هذه المجلة ، وهذا الجزء الذي يقدم الى القرّاء ، روعي فيها أن تكون خلاصة موجزة لأعمال المجمع في هذه المدة ، وقسمت الى جمل وفقرات بحسب الأعمال والموضوعات

الميزانية : لم ترتفع موازنة المجمع السنوية في كل من السنتين الخاليتين عن مبلغ (١٠ر٠٠٠)

دينار ، وهو مبلغ يسير جداً بالقياس الى حاجات المجمع ومطالبه ، تدخل فيه جميع نفقات المجمع : من كراء ، وبناء ، وابتياع أدوات تكميلية للمطبعة وللشعبة الفنية وكتب مطبوعـة ومخطوطات لخزانة كتبه ، وجوائز مالية للمتسابقين في المباريات ، ومسـاعدات للمتقدمين بطلب العون المالي لطبع كتبهم ، وبدلات التملك ، ومخصصات الأعضاء ، ورواتب الموظفين والمستخدمين ، ونفقات التأليف والمجلة ولذلك راعى جانب الاقتصاد التام بتقديم الأهم على المهم

المطبعة : شرعت مطبعـة المجمع ، ولله الحمد ، في أعمالها ، فأخرجت هذا الجزء من المجلة ، وأكملت طبع الجزء الأول من القسم العراقي من كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) للعماد الأصفهاني ، الذي شرحه وضبطه وحققه الأستاذ محمد بهجة الأثري ، وشاركه في إخراجه الدكتور جميل سعيد ، بعد أن تعثر طبعه زمناً في المطابع الأهلية وتقوم الآن بطبع بقية مطبوعاته وقد تخلص بانشاء هذه المطبعة من أهم عقبة كانت تحول بينه وبين الطباعة الفنية المضبوطة الدقيقة ، والإخراج المتقن ، كما تخلص من تحكم المطابع الأهلية ، ومن تسويفها في طبع مطبوعاته التي كانت تحال عليها بالمناقصة على يد مطبعة الحكومة ، والمناقصة جائزة في كل شيء إلا في الطبع ولا يعلم إلا القليل من الناس مقدار ما عاناه المجمع في طبع مطبوعاته ، وفي إخراجها في المدد التي قدرها ورآها ، والتي كانت تطول وتدور مع الشكليات « الروتينيات » المعروفة

وقوام مطبعة المجمع ، في الوقت الحاضر ، مطبعة كبيرة لطبع الـكتب ، ومطبعة صغيرة قرر شراءها ، وستصل قريباً ، لطبع الأغلفة والبطاقات والأمور الطباعية الصغيرة ، وحروف عربية بأحجام مختلفة ، وبرسوم متعددة ، ثم حروف « لاطينية » وقد قرر ابتياع حروف « لاطينية » لضبط الأعلام على وفق الطريقة الرسمية المقررة عند المحققين من علماء العربيـة والاستشراق كما قرر شـــراء « مخيطـة » ، ومقص ورق ، وما تحتاجه شعبة التجليد من أدوات

أما ملاك المطبعة ، فلاحظ في قرر المجمع تعيينه في هـذه السنة ، وطباع واحد ، وثلاثة مرتبين والمجمع ، على حداثة عهده ، أول مجمع عربي تمكن من التخلص من تحكم المطابع الأهلية فيه ، بانشاء مطبعة خاصة به ، ابتاعها من ميزانيته الخاصة الضئيلة ، من غير معاونة من موازنة المعارف أو الجهات الرسمية الأخرى

أعماله العلمية : واصل المجمع عمله في دراسة المصطلحات العلمية التي قدمهـا اليه الدوائر الحـكومية ، ونُشِرَ قسم منها في المجلد الثاني من هذه المجلة ، كما بحث في المصطلحات

« الكيمياوية » التي أرسلها مجمع اللغة العربية بالقاهرة اليه لابداء رأيه فيها في ضمن خطته المتبعة في الاستئناس بآراء الدوائر المختصة ، فدرسها وأبدى رأيه فيها . وستنشر هذه المصطلحات في الجزء الآتي من المجلة

وقد عقد المجمع في خلال هذه المدة (٥٨) جلسة مجمعية . عقدت في أمسياء كل سبت من أيام الدوام الرسمي وأكثر من هذا العدد جلسات فرعية ، تتألف من أعضاء اللجان التي اقترح المجمع تأليفها لدراسة موضوع معين ، وبحث طارئ.

وأجاب عن أسئلة عديدة تواردت عليه من أنحاء متعددة من العراق والخارج ، ومن الدوائر أيضاً ، في موضوعات شتى منها في النحو ، ومنها في اللغة ، ومنها في « الفيزياء » ، حتى « شجرة ابراهيم » ، وهي شجرة كان لها مقام في القرنة ، يقصدها الانكليز والأمريكان حين يذهبون الى تلك المدينة ، فيزورونها ، ويقدم سكان « القرية » الشموع والنذور اليها ظانين أنها شجرة قديمة هي شجرة ابراهيم ، ثم جفت وماتت قبل سنين وبقي أصلها ، أقول قد سأل المجمع عن هذه الشجرة بريطانيٌّ اسمه « سيدرك دوفر » من أعضاء « جمعية الإنسان والشجرة » بلندن

وواصل ـ على سنته ـ إلقاء المحاضرات في قاعته ، ويقوم في العادة بإلقائها أعضاؤه العاملون ، أو محاضرون زائرون من العلماء الذين يفدون الى العراق وقد تضمنت الخلاصتان السالفتان عناوين المحاضرات التي ألقيت من قبل مع أسماء أصحابها ، وعقبها المحاضرات الآتية على الترتيب التأريخيّ :

(١) الربط البغدادية وأثرها في الثقافة : للدكتور مصطفى جواد ، في ١٩٥٣/١١/١٤

(٢) أسس التعليم في الطب اليوناني : للدكتور هاشم الوتري ، في ١٩٥٣/١٢/١٢

(٣) أسس التعليم في الطب العربي : للدكتور هاشم الوتري ، في ١٩٥٤/١/٢

(٤) الحرية والسلام والحكم في الإسلام : للأستاذ منير القاضي في ١٩٥٤/٢/٢٨

(٥) عناصر القوة القومية في الأمة العربية : للدكتور محمد عبدالله العربي ، في ١٩٥٤/٣/٢٧

الكتب والآثار : عرض في المجلد الأخير من مجلة المجمع للكتب والآثار التي طبعها المجمع ونشرها في هذا الجزء الى ما تم طبعه ، والى ما قدم الى المطبعة حديثاً ، والى الآثار التي تقرر تقديم مساعدات مالية لأصحابها معاونة منه في نشرها

لقد أنجز قبل أشهر طبع الجزء الثالث من كتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) ، ووضع بين أيدي القراء ، وأنجز طبع الجزء الأول من القسم العراقي من كتاب (خريدة القصر) للعماد الأصبهاني ، وسيكون فى متناول أيدي المتشوقين اليه بعد أيام قلائل ، وقد طبع القسم الأكبر منه فى مطبعة المجمع ويكاد ينتهي أيضاً طبع الجزء الأول عن (ابن الفوطي) ويتضمن هذا الجزء مقدمة فى تأريخ الدولة العباسية بقلم الأستاذ محمد رضا الشبيبي وأنجز طبع كتاب (أرض الخلافة) تأليف لسترنج وترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عوّاد ، وسيكون فى أيدي القراء قريباً ، وشرعت مطبعة المجمع فى طبع الجزء الرابع من (تأريخ العرب قبل الاسلام) وستقدم الى المطبعة بعد أيام مسودات كتاب (الخطاط البغدادي ابن البواب) تأليف الدكتور سهيل أنور من علماء الأتراك ، وترجمة : الأستاذ محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع العلمي العراقي الأول ، والأستاذ عزيز سامي .

هـــذا وقد أنجز فى خلال هذه المدة طبع (كتاب الديارات) للشابشتي : بتحقيق السيد كوركيس عواد ، و (كتاب شرفنامه) فى تأريخ الإمارات الكردية : تأليف الأمير البدليسي وترجمة السيد جميل بندي الروزبياني ، وهما من الكتب التي ساعد المجمع فى إحيائها مساعدة مالية ، وسيطبع في أثناء هذا الصيف بمساعدة المجمع كتاب (الدستور وحقوق الإنسان) لمؤلفه السيد عطا بكري ، وذلك جرياً على سنته في تشجيع المتعاطين للتأليف والترجمة ، غير مبالغ في التشديد ، ليكون ذلك أدعى الى انبعاثهم للعمل وتجويده بالمرانة والاستمرار

الجوائز : واستمر المجمع على طريقته فى تشجيع المؤلفين والترجمين بإقامة المباريات بينهم وقد اجهد فى هذه المرة أن تكون موضوعات التأليف مكتوبة غير مطبوعة ، وأن تكون معينة يعينها المجمع نفسه وجوّز اشتراك أكثر من مؤلف واحد في تأليف الكتاب ، وراعى التنويع فى الموضوعات المقترحة حتى تكون أعم نفعاً وأكثر فائدة ، تمثل مختلف جهـــات التخصص والمشارب والأذواق وراعى فى موضوعات الترجمة ما راعاه في التأليف من التنويع ، والفائدة ، وجعل الترجمة مطلقة غير مقيـــدة ، فلم يخصصها بلغة واحدة ، بل طلب أن تكون من جميع اللغات الأوربية الحية الى اللغة العربية .

ووفقاً للبيان الذي أذاعه بخصوص مباريات الترجمة ، درس في جلسته السابعة والعشرين المنعقدة في ١٩٥٤/٦/٥ م الطلبات المقدمة اليه دراسة دقيقة شاملة ، فوجد ما قدم اليه لا يلائم ما عناه وما رمى اليه من غايات ، ودون المستوى الذي يطلبه

أما بشأن المباريات فلا يزال المجال مفتوحاً أمام الراغبين في التأليف في الموضوعات التي اقترحها على الباحثين على نحو ما يراها القاري في البيان المنشور بعد هذه الخلاصة من أعمال المجمع

العناية بالتراث العراقي : ومن أعماله العلمية رعايته للتراث العراقي ، وقد عُني به عناية خاصةً ، لحفظه من تعدي الزمان عليه ، ولتقريبه الى أيدي الباحثين ، فكتب الى الوزارات كافة يطلب منها موافاته بما عندها من وثائق وسندات ذات قيمة تأريخية لتصويرها ، وابتاع ما ظفر به من الجرائد والمجلات العراقية التي صدرت في العهد العثماني وفي عهدي الاحتلال والاستقلال ، كما صور بعض الوثائق المهمة التي تتعلق بالثورة العراقية والعهود الوطنية الأخرى ، وهو جادّ في توسيعها بقدر الطاقة

واتصل ــ بواسطة السفارة العراقية في أنقرة ــ بالسلطات التركية ، لتصوير بعض الوثائق التركية المتعلقة بتأريخ العراق ، فحصل على « أفلام » لها ، حفظت في خزانة كتبه ، ووضعت تحت تصرف المراجعين

كما عُني بجمع ما طبعته المطابع العراقية الأولى من كتب وآثار ، ليكون سجلاً لتطور الطباعة في العراق ، ومرجعاً يرجع اليه أصحاب الطلب

ولم يغفل المجمع عن الحصول على نماذج من خطوط البارزين من العراقيين ، وقد كتب الى جماعة من البيوتات لتزويدها بما عندها من ذلك ، هبةً أو بيعاً

تصوير المخطوطات : وفي جملة ما قرره المجمع ، المحافظة على البقية الباقية من المخطوطات في العراق ، بتصويرها ، وحفظ صورها في خزانة كتبه وقد سافر من أجل ذلك الأستاذ السيد محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع العلمي الأول الى البصرة في مارت سنة ١٩٥٣ م ، وصحب معه مصور الشعبة الفنية بالمجمع لتصوير طائفة من المخطوطات النفيسة في مكتبة آل باش أعيان ، كما اختارت لجنة المخطوطات المؤلفة من الأستاذ الأثري ومن الدكتور مصطفى جواد جملة أخرى

من مخطوطات خزانة كتب الأوقاف العامة ، فصورها الشعبة المذكورة ، كما صورت مخطوطات من مكتبات الموصل حفظت فى خزانة كتب المجمع . وتدور الآن مراسلات بين المجمع ومديرية الأوقاف العامة لتصوير ما في خزانة كتب الروضة الحيدرية في النجف من نفائس المخطوطات

ومما صوّره الأستاذ الأثري للمجمع من خزانة كتب آل باش أعيان : كتاب الإيضاح فى الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري ، ومجلد من تفسير الإمام الماوردي ، وواقعة العجم وهي جزء من كتاب مطالع السعود في أخبار داوود لعثمان بن سند البصري بخط يده ، وكتاب الصارم القرضاب ، ورسالة الطيف ، وكلاهما لابن سند أيضاً ، وأدب القضاة لشرف الدين القرشي ، والنصرة فى تأريخ البصرة لأحمد نور الأنصاري قاضي البصرة ، وشرح مقصورة أبن دريد لأبن خالويه ، وطبقات الأسنوي ، وملخص كتاب الاعتقاد فى الفرق بين الظاء والضاد لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي ، وعنوان المجد فى تأريخ بغداد والبصرة ونجد لإبراهيم فصيح الحيدري ، وخبايا الزوايا لشهاب الدين أحمد الخفاجي ، وكتاب أخبار بغداد وما جاورها من البلاد للعلامة السيد محمود شكري الألوسي ، وقصيدة للشاعر العراقي المشهور السيد عبد الغفار الأخرس بخط يده ، وهي غير منشورة فى ديوانه

ومما صوره المجمع من خزانة كتب الأوقاف : شرح لامية العرب للشاوي ، وشرح لامية العرب للسويدي ، وقطعة صغيرة من ديوان أحمد عزت باشا العمري ، ومجموعة صالح أفندي الموصلي [1] ، وشهي النغم في ترجمة شيخ الاسلام عارف الحكم لأبي الثناء محمود الألوسي ، وبناء المقالة العلوية فى نقض الرسالة العثمانية لجمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر المشهور بابن طاووس ، وسرّ الصناعة لأبي الفتح عثمان بن جني النحوي ، وعمدة الكتّاب وعدة ذوي الألباب لأبي القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجي

وفى خزانة كتبه من المصورات التي سعى للحصول عليها : ديوان أبي الفتح بن أبى حصينة السلمي ، وهى نسخة رقت برقم ١٦٢ مخطوطات صوّرت بـ « الفوطغرافيا » عن « قلم » أرسل اليه من « مدريد » ، والمغني فى الطب لابن النفيس ، ونيل مصر للشيخ محمد البكري ، والجزء

(١) اقرأ موجز ترجمته في مقالة الأستاذ الأثري في هذا الجزء (ص ١٨٧)

الثالث من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ، وكتاب ابن أبارة ، وسر الأنساب العلوية لأبي نصر سهل البخاري النسابة ، والفتحية في الموسيقى لمحمد بن عبد الحميد اللاذقي ، وديوان الشيخ حسين العشاري بخطه وقد صوره من خزانة كتب الأستاذ السيد هاشم الألوسي ، وشرح الأسطرلاب للموصلي ، ومجالس أبي مسلم محمد بن أحمد الكاتب المعروف بكاتب حنظلة ، ومخطوطة تأريخ الجزري ، وتأريخ الغياني ، وأنموذج القتال في لعب الشطرنج لابن أبي حجلة ، والمقتضب من جمرة النسب ، والمستفاد من ذيل تأريخ بغداد لابن النجار ، والجمهرة في نسب قريش للزبيري

هذا وفي عزم المجمع وضع فهرست لهذه المخطوطات والمصورات يصفها فيه ، وبذكر معالمها ، ويضمنها نبذاً من سير أصحابها على نمط ما تفعله كبريات خزائن الكتب

خزانة كتبه : لم تكن للمجمع ـ يوم أنشيء ـ خزانة كتب ، أما الآن فقد توفر له ولله الحمد ما ينيف على ثمانية آلاف كتاب مطبوع وبضع مئات من مخطوطات ومن صور مخطوطات ، ولولا الظروف القاهرة التي ليس للمجمع يد فيها ، ولا قدرة لها على قهرها ، مثل القيود المالية التي لا تسمح له بشراء ما يزيد على خمسة دنانير من الكتب في كل مرة ، وضيق ميزانيته وبنايته ، وعدم تمكنه من تعيين خبير متخصص بالكتب لتصنيفها وتبويبها وطبع فهرست ثابت لها ، لكانت خزانة كتب بالشكل الذي يرضاه ، ويود أن تكون عليه على أنه لم ين يوماً ما في تذليل أمثال هذه الصعاب التي تقف في سبيله ، وسيبلغ غايته بإذن الله وانه لفخور بأن تكون خزانة كتبه غنية جداً بما تحويه من مؤلفات عن تأريخ العرب في الغابر والحاضر ، وهو جادّ في تكملة ما يعوزه في هذا الباب وقد حصل على مؤلفات نادرة لا يمكن الحصول عليها في خزانات كتب الشرق الأدنى التي يزيد عمرها على عمر خزانة كتبه عشرات السنين

الشعبة الفنية : قامت الشعبة الفنية ـ المكونة من قسم « الفوتستات » و « المايكرو فلم » والتصوير بـ « الفوطغراف » ـ بتصوير عدد من المخطوطات ارتأى المجمع الحصول على نسخ لها لحفظها في خزانة كتبه ، كما صور مخطوطات وكتباً نادرةً ووثائق مهمة وخوارط لدوائر رسمية

متغددة ، منها : وزارة الخارجية ، ومديرية الآثار القديمة العامة ، وكليات الطب والصيدلة والعلوم والآداب

وووردت عليه طلبات تصوير عديدة من الخارج : من مديرية معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة ، ومن مديرية معارف الكويت ، ومن المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومن معهد الدراسات الشرقية الإفريقية بجامعة لندن ، ومن جامعة واشنطن بالولايات الأمريكية ، ومن جامعة استنبول في تركية ، ومن الملحق الثقافي للسفارة الايرانية ببغداد وقد انجزها كلها وأرسلها اليها ، كما صور بعض المخطوطات المحفوظة في الموصل وفي مكتبات بغداد لبعض المستشرقين ، منهم : ماسنيون ، ووليم مارسيه ، والدكتور هوزباخ

هذا ولم تقتصر أعمال هذه الشعبة على تلبية طلبات المؤسسات الرسمية والأجنبية ، بل أجابت طلبات الأهلين ، فصورت لهم ما طلبوا تصويره من مخطوطات ومن وثائق ، كما كبرت لهم بعض « أفلام المايكرو » المرسلة اليهم من الخارج بأجور زهيدة ، لا تزيد على الكلفة

وقد أقامت هذه الشعبة اثنتي عشرة حفلة « سينمائية » عرض في خلالها ما يزيد على ثلاثين شريطاً ثقافياً ، تدخل في جملة مشروعات المجمع للثقافة العامة

الزائرون الأجانب : وقصد المجمعَ عدد من المستشرقين والزائرين لبغداد من البلاد الاسلامية والشرقية ، فقدم اليهم ما أمكنه تقديمه من مساعدات في باب التصوير وفي الموارد للاستفادة منها في كتابة الدراسات

المجلة : تقوم الأوضاع الرسمية حائلاً بين المجمع وبين إصدار المجلة في أوقات معينة ، وقليل من الناس يعلمون ما كابدت لجنة المجلة من جهد في طبعها بالمطابع الأهلية فقد طبع المجلد الأول في مطبعتين ومع ذلك لم تنجزاه الا في مدة طويلة استغرقت ستة عشر شهراً ، وطبع المجلد الثاني في مطبعتين كذلك وفي مدة ثمانية عشر شهراً وكنا ننقل الورق المطبوع من مطبعة الى أخرى أما الآن ، وقد وفق المجمع لإنشاء مطبعة خاصة به ، فقد قرر إصدار جزءين منها في هذه السنة ، وثلاثة أجزاء في السنة المجمعية المقبلة بزيادة ملحوظة في عدد الصفحات .

تجديد الرئاسة وانتخاب أعضاء مراسلين جدد : بحكم المادة التاسعة من نظام المجمع تجديد انتخاب الرئيس ونائبيه في مفتتح كل عام مجمعي ، وقد عقدت الجلسة الأولى لسنة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ م في الأسبوع الأول من تشرين الأول لتنفيذ هذه المادة ، فانتخب بالاقتراع السري الدكتور ناجي الأصيل رئيساً ، والأستاذ محمد بهجة الأثري نائب الرئيس الأول ، والدكتور مصطفى جواد نائب الرئيس الثاني

ثم تداول المجلس الرأي في انتخاب أعضاء مراسلين جدد توسيعاً لنطاق المجمع ، فقرر انتخاب الدكتور مصطفى نظيف وكيل جامعة (القاهرة) ، والدكتورة سلوى نصار رئيسة دائرة الفيزياء في الجامعة الأمريكية (بيروت) عضوين مراسلين في المجمع وفي جلسته السابعة عشرة المنعقدة في ١٩٥٤/٢/٦ نظر في انتخاب أعضاء آخرين من علماء العراق والأقطار العربية والأوربية ، ودرس قائمة المرشحين لهذه العضوية ، فانتخب تسعة منهم ، وهم حضرات السادة : الأستاذ محمد الخال (السليمانية) ، والأستاذ محمد بهجة البيطار (دمشق) ، والأستاذ حمد الجاسر (الرياض) ، والأستاذ عادل زعيتر (عمان) ، والأستاذ أحمد حسن الزيات ، والدكتور أحمد زكي ، والدكتور ابراهيم بيومي مدكور (القاهرة) ، والأستاذ مكس ملون أستاذ الآثار الشرقية بجامعة لندن (انكلترة) ، والأستاذ أميليو كارسيا كومس الأستاذ بجامعة مدريد (اسبانيا)

ولقد فجع المجمع خلال سنة ١٩٥٣ و ١٩٥٤ بفقد ثلاثة علماء من أعضائه ، فكانت فجيعته بهم عظيمة عنده ، وهم بحسب ترتيب وفياتهم : الأستاذ العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ، والدكتور شريف عسيران عضو المجمع العامل والأستاذ بدار المعلمين العالية ببغداد ، والأستاذ أحمد أمين العالم المصري المشهور ، رحمهم الله ونفع بآثارهم

بناية المجمع : لا يزال المجمع في بناية ضيقة ، لا تفي بحاجاته ولا أغراضه ، بعيداً عن بناية مطبعته وقد تشبث بمختلف الوسائل الممكنة للحصول على المال اللازم لبناء داره على الأرض التي خصصت له ، وأقيمت مطبعته عليها في حي الوزيرية ، ومساحتها زهاء ستة آلاف متر مربع ، ولكنه كان يجابه في كل مرة بصعوبات وعقبات وقد أنجز وضع الخطط اللازم للبناية ، وقدمه

الى مديرية الأشغال العامة لإقراره ولتقدير كلفته ، فجوبه بكارثة الفيضان ، وأجّل المشروع
الى حين نرجو ألا يكون أمده طويلاً

دور الاستقرار : هذا ولا يزال المجمع في عهد تكوين وإنشاء ، والمجامع العلمية لا تشبه
في طبيعتها المؤسسات الأخرى ، فمن طبيعتها العمل بأناة في جو هادىء مستقر بعيد عن
التدخلات والتعقيدات التي تقيد حرية عمله ، وهو يرجو لذلك من الله أن يسدد خطاه ، وأن
ييسر أمره ، وأن يبعد عنه التدخلات والتغيير والتبديل ، ليتمكن من إنجاز الأعمال المنوط به
تحقيقها لخدمة الثقافة والحضارة والنهوض باللغة العربية التي هي لسان العلم الرسمي للبلاد

ج • ع

بيان

خصص المجمع العلمي العراقي بمباريات سنة ١٩٥٣ — ١٩٥٤ التالية ١٦٠ دينـار جوائز للمؤلفين الفائزين ، ونفقات لطبع كتبهم ، على النحو الآتي :

١ — ٢٠٠ دينار لمن يكتب أحسن « دراسة اجتماعية تحليلية للمجتمع العراقي » على ألا تقل كلمات الكتاب عن خمسين ألف كلمة ، ولا مانع من أن يشترك في كتابة هذا البحث كاتبان أو أكثر

٢ — ١٥٠ ديناراً لمن يكتب أحسن « دراسة عامة فى أثر العلوم الفيزياثية والكيميائية والرياضية في سير المدنية الحديثة » على ألا تقل كلماتها عن أربعين ألف كلمة

٣ — ١٥٠ ديناراً لمن يكتب أحسن « دراسة علمية تحليلية لشعر الفتوة والحرب عند العرب في القرنين السادس والسابع الهجريين » على ألا تقل كلماتها عن أربعين ألف كلمة

٤ — ١٠٠ دينار لمن ينظم أحسن « رواية شعرية عن فتح العرب للعراق » على ألا تقل أبياتها عن ألفيْ بيت

٥ — وقد خصص ١٠٠٠ر١ دينـار من المبلغ المذكور لمساعدة المؤلفين الفائزين في طبع كتبهم ، على أن يقدم المؤلف ما لايقل عن خمسين نسخة من مطبوعه

٦ — الشروط :

(أ) تقدم نسخة من الكتاب الى المجمع في مدة أقصاها ١ نيسان ١٩٥٥ م

(ب) يجب أن تكون لغة الكتاب سليمة لفظاً وأسلوباً

(ج) المباراة خاصة بالعراقيين والعراقيات

٧ — لا يجوز لأعضاء المجمع العاملين أن يشاركوا في هذه المباريات

٨ — تعلن نتائج المباريات قبل ١ حزيران ١٩٥٥

٩ — اذا لم يجد المجمع الشروط متوافرة في الكتب التي تقدم اليه لهذه المباريات ، فانه يبطل الجائزة ؟

رئيس المجمع العلمي العراقي

أعضاء المجمع العلمي العراقي

في سنة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤

الأعضاء العاملون

الدكتور ناجي الأصيل (الرئيس)	بغداد
الأستاذ محمد بهجة الأثري (نائب الرئيس الأول)	»
الدكتور مصطفى جواد (نائب الرئيس الثاني)	»
» جواد علي (« السكرتير »)	»
الأستاذ منير القاضي	»
الدكتور هاشم الوتري	»
» أحمد سوسه	»
الأستاذ محي الدين يوسف	»
» شيث نعمان	»

الأعضاء المراسلون

الدكتور داوود الجلبي	الموصل
الخوري سليمان الصائغ	»
الأستاذ محمد الخال	السليمانية
الأستاذ عبد القادر المغربي	دمشق
» فارس الخوري	»
» خليل مردم بك	»
» محمد بهجة البيطار	»

الأستاذ جميل بيهم	بيروت
الدكتور قسطنطين زريق	»
الدكتورة سلوى نصّار	»
الأستاذ أحمد لطفي السيد	القاهرة
» محمد الخضر حسين	»
» ساطع الحصري	»
» عباس محمود العقاد	»
» أحمد حسن الزيات	»
» أحمد العوامري	»
الدكتور طـه حسين	»
» عبد الوهاب عزام	»
» منصور فهمي	»
» مصطفى نظيف	»
» أحمد زكي	»
» ابراهيم بيومي مدكور	»
الأستاذ عادل زعيتر	عمان
» حَمَد الجاسر	الرياض
» حسن حسني عبد الوهاب	تونس
» ظفر الله خان	كراجي
» مكرمين خليل	الأستانة
» علي أصغر حكمة	طهران
» أبو الكلام آزاد	دهلي
» جب	لندن

الأستاذ ألفريد كيوم	لندن
» مكس ملون	»
» ماسينيون	باريس
» وليم مارسيه	»
» أميليو كارسيا كومس	مدريد

الأعضاء الفخريون

الأستاذ طـه الهاشمي	بغداد
الدكتور محمد فاضل الجمالي	»
» متي عقراوي	»
الأستاذ يعقوب سركيس	»

الأعضاء الراحلون :

وقد فقد المجمع الأعضاء الآتية أسماؤهم ، وهو إذ يذكرهم يكرر أسفه عليهم ويرجو لهم من الله الرحمة والمثوبة على ما خدموا به الثقافة والحضارة واللغة العربية ، وهم : الشيخ محمد السماوي (النجف) الدكتور علي مصطفى مشرفة (القـاهرة) الأستاذ محمد كرد علي (دمشق) الدكتور شريف عسيران (بغداد) الأستاذ أحمد أمين (القاهرة)

فهرست الجزء الأول من المجلد الثالث

المقالات

الكتب

أنباء وآراء

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

١ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الأول)

٢ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثاني)

٣ ـ كتاب النغم ليحيى بن علي بن يحيى المنجم ـ تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري ومقدمة الدكتور جواد علي

٤ ـ تأريخ العرب قبل الإسلام ـ تأليف الدكتور جواد علي (الجزء الأول)

٥ ـ « « « « ـ « « « « (الجزء الثاني)

٦ ـ « « « « ـ « « « « (الجزء الثالث)

٧ ـ « « « « ـ « « « « (الجزء الرابع) « تحت الطبع »

٨ ـ صورة الأرض للشريف الادريسي ، تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي

٩ ـ موجز الدورة الدموية في الكلية ـ للدكتور هاشم الوتري

١٠ ـ المختصر المحتاج اليه من تأريخ بغداد للحافظ ابن الدبيثي ـ انتقاء الامام الذهبي ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

١١ ـ ابن الفوطي ـ للأستاذ محمد رضا الشبيبي « يصدر قريباً »

١٢ ـ مقدمة للرياضيات ـ تأليف وايتهيد ، ترجمة الأستاذ محي الدين يوسف

١٣ ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ للعماد الأصبهاني الكاتب ، تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري ، والدكتور جميل سعيد « يصدر قريباً »

١٤ ـ الدينار الإسلامي في المتحف العراقي : تأليف السيد ناصر النقشبندي .

١٥ ـ الخطاط البغدادي علي بن هلال ـ تأليف الدكتور سهيل أنور ، ترجمة الأستاذين محمد بهجة الأثري وعزيز سامي « تحت الطبع »

١٦ ـ خارطة بغداد قديماً وحديثاً ـ وضع الدكتور أحمد سوسة ، والدكتور مصطفى جواد ، والسيد أحمد حامد الصراف

١٧ ـ الوقاية من السل الرئوي والـ بي. سي جي ـ للدكتور شريف عسيران

١٨ ـ نزهة الأرواح وروضة الأفراح ـ تأليف شمس الدين الشهرزوري ، وتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري « معد للطبع »

١٩ ـ تأريخ الموصل (الجزء الثاني) ـ تأليف الشيخ أبي زكريا الأزدي ، وتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري « معد للطبع »

٢٠ ـ مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب ـ تأليف ابن الفوطي وتحقيق الدكتور مصطفى جواد « معد للطبع »

٢١ ـ منازع الفكر الحديث ـ تأليف سي. أم. جود ، وترجمة المرحوم الاستاذ عباس فضلي خماس ، ومراجعة الدكتور عبد العزيز البسام « تحت الطبع »

٢٢ ـ معجم الرياضيات ـ تأليف جماعة من كبار الاختصاصيين الأمريكيين ، وترجمة الأساتذة : محيي الدين يوسف ، ومحمد بهجة الأثري ، والدكتور مصطفى جواد ، والدكتور عبد الجبار عبد الله ، والدكتور حامي ستارة ، وسعدي الدبوني « معد للطبع »

٢٣ ـ أرض الخلافة ـ تأليف لسترنج ، وترجمة : بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد « يصدر قريباً »

٢٤ ـ اليزيدية ـ تأليف السيد صديق الدملوجي

٢٥ ـ أنت والوراثة ـ تأليف أمرام شاينفلد ، وترجمة السيد بشير اللوس

٢٦ ـ المدخل الى الفلسفة الحديثة ـ تأليف سي أم جود ، وترجمة السيد كريم مي

٢٧ ـ الديارات ـ للشابشتي ، تحقيق السيد كوركيس عواد

٢٨ ـ الشرفنامه ـ تأليف الأمير البدليسي ، وترجمة السيد جميل بندي الروزبياني

٢٩ ـ ديوان الشرر ـ للسيد أحمد الصافي النجفي

٣٠ ـ الدستور وحقوق الإنسان ـ للسيد عطا بكري